جامعة علي لونيسي – البليدة 2
كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

محاضرات مقياس

جيوسياسة العلاقات الدولية

مقدمة لطلبة

السنة اولى الدكتوراه

تخصص الدراسات الأمنية والاستراتيجية

من اعداد

د. سفيان بلمادي

السنة الدراسية 2023/2022

بطاقة تعريفية عن المقياس:

ظهر علم الجغرافيا السياسية اولا كفرع من علم الجغرافيا العامة التي تدرس من خلالها مجموعة فروع متصلة، كعلم الجغرافيا البشرية والجغرافيا الحضارية وغيرها من المجالات، فتطور عبر الوقت على ايدي العديد من العلماء الذين سعو من خلاله تفسير الظواهر السياسية المرتبطة والمؤثرة في كيان الدول من مختلف الابعاد، فهو مجال فكري في حقل العلاقات الدولية يدرس أثر كل المحددات التي تدخل في نطاق جغرافي بكل معطياته وسلوكه السياسي والاجتماعي والثقافي...، لتفسير وفهم الفواعل في البيئة الدولية.

هدف المقياس:

تهدف المحاضرات المقدمة في علم الجغرافيا السياسية الى تدريب الطلبة على كيفيات التحليل والتفسير للظواهر الجيوسياسية وقياس قوة وضعف الوحدات السياسية من الداخل والخارج، من اجل استشراف مختلف الفرص والتهديدات على مختلف الاصعدة السياسية، الاقتصادية، الامنية، الثقافية وغيرها من المجالات، ما يساعد على بناء تفكير جيوسياسي متميز يساعد على فهم التحولات العالمية وبناء خطط مستقبلية قوية.

يعتمد التحليل الجيوسياسي للقضايا المحلية والاقليمية والعالمية على المعطى الجغرافي بالدرجة الاولى، لما له من ارتباط وثيق على السلوك الاجتماعي والسياسي المراد دراسته وتحليله، في حين ان التحليل الجيوسياسي لا يقتصر على اقاليم محددة، بل على مختلف مستويات (النظام المحلي، الانظمة الفرعية، الانظمة عبر الجهوية، الانظمة فوق قومية) بتحليل مختلف العوامل والمحددات المؤثرة في سلوك الدول وتطورها.

الاهداف العامة:

ايصال الطالب الى مستوى إدراك ووعي يمكنه من فهم الظواهر والتفاعلات في البيئة الدولية، ويمنحه القدرة على استخدام اسس التحليل الجيوسياسي لاستشراف ولتفسير وفهم الاحداث والوضعيات الدولية والعالمية.

الاهداف الخاصة:

1- يسعى محتوى المقياس من خلال المحاضرات المقدمة الى تعريف الطالب بالمفاهيم الاساسية لعلم الجغرافيا السياسية، انطلاقا بدراسة المفاهيم والافكار التقليدية وصولا الى المفاهيم والافكار الحديثة.

2- إدراك الاطر المعرفية والقواعد المرتبطة بالجغرافيا السياسية وفق منحى تصاعدي، من ابسط القضايا الجيوسياسية الى اعقدها.

3- دراسة نظريات مدارس الجغرافيا السياسية وكيفيات تحليلها لظواهر العلاقات الدولية لتمكين الطاب من اكتساب قدرة تصورية للاحداث من اجل الخروج بتحليلات مختلفة الابعاد.

4- العمل على وضع دراسات تطبيقية تطرح من خلالها قضايا جيوسياسية عالمية، والسعي الى التركيز على القضايا المحلية داخليا وخارجيا.

المكتسبات القبلية:

يمكن للطالب فهم مقياس الجغرافيا السياسية من منطلق ادراكاته السابقة لجملة المقاييس المدرسة في التخصص، كمدخل العلاقات الدولية ونظريات العلاقات الدولية وتاريخ الفكر السياسي والاقتصاد السياسي وغيره.

محاضرات مقياس جيوسياسة العلاقات الدولية

1- مدخل مفاهيمي عام لعلم الجغرافيا السياسية

2- لمحة عن الفكر الجيوبوليتيكي القديم الغربي والاسلامي

3- المدرسة الالمانية (فريديريك راتزل 1844-1904)

4- المدرسة البريطانية (هالفورد ج. ماكندر 1861-1947)

5- المدرسة الامريكية (الفرد ثاير ماهان 1893- 1943)

(نيكولاس سبيكمان 1893-1943)

6- المدرسة الروسية (بيوتر نيكولافيتش سافيتسكي 1895-1968)

7- المدرسة الفرنسية (فيدال دي لا بلانش 1845-1918)

8- المدرسة الفرنسية (ايف لاكوست Yeve Lacost)

9- اطروحة نهاية التاريخ لـ (فرانسيس فوكوياما)

10-اطروحة صدام الحضارات لـ (صامويل هتينغتون)

11-العولمة ونظرية السيطرة العالمية.

12-جيوسياسة الطاقة وأثرها على العلاقات الدولية.

13-جيوسياسة الطاقة والامن البيئي.

14-الطاقة في الشرق الأوسط من المنظور الاستراتيجي والأمني للدول الكبرى.

15-جيوسياسة الماء.

16-جيوسياسة الاعلام – بين التحكم والاختراق.

17-جيوسياسة الحروب وتطورها.

المحاضرة الاولى

مدخل مفاهيمي عام لعلم الجغرافيا السياسية

مقدمة:

ان التطور العلمي و المعرفي لحقل العلاقات الدولية رافقه ظهور العديد من العلوم والأطر المعرفية المفّسرة للأحداث و الوقائع الدولية سواء في اطارها التعاوني أو التنافسي، والمعلوم أن قوانين تفسيرية لكل ظاهرة سياسية في الطبيعة، ومهمة الباحثين هي البحث عن هذه القوانين، كما تاثر علم الجغرافيا السياسية بالتغيرات التي طرات على مناهج و طرق واساليب البحث في العلوم السياسية، ومن هذا المنطلق، اسهم العديد من مفكري القرن التاسع عشر في اخراج علم جديد في حقل العلاقات الدولية ساهم بقوة في تفسير وتحليل الأوضاع الدولية وفق قانون "الأرض" أو "الجغرافيا" سواء من الناحية النظرية أو التطبيقية، بمساهمته في رسم و صياغة التوجهات الداخلية و الخارجية للدول، ألا و هو "علم الجغرافيا السياسية."

المحور الاول: إبستيمولوجيا علم الجيوبوليتيك أو الجيوسياسية :Geopolitics -

قبل التطرق إلى مفهوم علم الجغرافيا السياسية أو الجيوبوليتيكا، لابد علينا أولا التفريق بين مصطلح الإبستيمولوجيا ومصطلح الإيتيمولوجيا اللذان يساعدانا في دراسة المفهوم، فالإبستيمولوجيا هو: علم العلم أي أخد شيء علمي و دراسته بطريقة علمية[1]، أما الإيتيمولوجيا فتعني البحث في أصل المصطلحات و معرفة تاريخها واستعمالاتها[2].

فمن الناحية الإيتيمولوجية ترتبط كلمة "**Geopolitic**" باليونانيين القدامى، بحيث تشير كلمة Geia إلى آلهة الأرض و Polis إلى دولة المدينة، وعليه Geiapolis عند اليونانيين تعني: "استكشاف للأشكال الأرضية للمجال و الأرض و مراقبتها وتنظيمها بواسطة الجنس البشري."

أما من الناحية الإبستيمولوجية فمصطلح الجيوبولتيكا مكون من شقين Geo و تعني الجغرافيا، و Politic تعنى السياسة مما يوحى لنا بوجود علاقة بين الأرض أو الجغرافيا مع السياسة، و منه فالجغرافيا السياسية أو الجيوبوليتيك هي علم دراسة تأثير الأرض على السياسة في مقابل مسعى السياسة للاستفادة من هذه المميزات وفق منظور مستقبلي أي (علاقة تأثُر وتأثِير)، وهناك من يصفُها " بعلم سياسة الأرض" بمعنى العلم الذي يُعنى بدراسة تأثير السلوك السياسي في تغيير الأبعاد الجغرافية للدولة[3]، مما يستحضر في أذهاننا أن هناك فاعل يُمارس علاقة قوة في إطار جغرافي معين. وعليه يمكننا القول بأن علم الجغرافيا السياسية في أبسط معانيه هو العلم الذي يقُودُنا إلى دراسة كيفية استخدام الجغرافيا كمصدر قوة للتعبير عن المواقف السياسية.

يؤكد الكسندر دوقين على ان الجيوبوليتيكا - العلم الجديد- هو وجهة نظر السلطة، هو علم السلطة، و من اجل السلطة، و يكشف ان تاريخها بطوله على ان من عكفوا على دراستها

---

[1] - **النذير عبد الله ثاني محمد:** ابستيمولوجيا علوم الاعلام و الاتصال، دار الاديب، وهران، 2017، ص 34.

[2] - **السلامة سليمان محمد امين:** الايتيمولوجيا وتاصيل المفردات في اللغة العربية،مجلة الدراسات اللغوية جامعة تبوك، السعودية، 2015

[3] - **هارون على احمد:** الجغرافيا السياسية المعاصرة دراسة الجغرافيا و العلاقات الدولية، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1998، ص11.

كانوا دون استثناء ممن شاركوا في حكم الدول و الأمم او ممن يهيؤون انفسهم للقيام بتلك الأدوار[1]، فهي تمثل في العالم المعاصر دليل رجل السلطة، او بعبارة ادق هو "كتاب السلطة"، يقدم ملخصا ينبغي وضعه في الحساب في اتخاذ القرارات الكونية المصيرية، كعقد التحالفات و شن الحروب و القيام بإصلاحات او الاجراءات الاقتصادية والسياسية و غيرها على مستوى واسع، اذا الجيوبوليتيكا هي " **علم الحكم**".

تتفاوت مجموعات المؤلفين و المعاجم فيما بينها في تحديدها للمادة الاساسية التي يدرسها هذا العلم، و في مبادئه المنهجية الأساسية، و ينطلق هذا التفاوت من الظروف التاريخية مثلما ينطلق من العلاقة التي تربط الجيوبوليتيكا بالسياسة العالمية[2]، وبقضايا السلطة و الاديولوجيات السائدة والطابع الجغرافي، التاريخي، علم السكان، الاستراتيجيا، الاثنوغرافيا، علم الاديان و علم البيئة، فضلا عن السياسة و الاقتصاد و غيرها من العلوم، و بما ان لمجموع هذه العلوم، السياسية والعسكرية وغيرها اعداد كبيرة من المدارس و الاتجاهات، لا يعود مجال للحديث من ضرب من الصرامة او احادية المعنى في الجيوبوليتيكا.

وقد تعددت التعريفات المقدمة لهذا العلم، ولعل سبب هذا الاختلاف والتعدد يعود إلى عاملين أساسيين: أولهما، تعدد الاتجاهات الفكرية، وثانيهما، اختلاف الفترات الزمنية والأحداث الدولية.

حيث عرفّهُ كذلك **(Rudolf Kjellen رودولف كيلين)** ، الذي يعد أول من استخدم مصطلح الجيوبوليتيك عام 1905 في كتابه "الدولة مظهر من مظاهر الحياة" على أنه: "دراسة البيئة الطبيعية للدولة، وأن أهم ما تعنى به الدولة هو القوة، كما أن حياة الدول تعتمد على التربّية والثقافة والاقتصاد والحكم وقوة السلطان"،

---

[1]- **الكسندر دوغين:** اسس الجيوبوليتيكا-مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، تر. عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس،2004، ص 81.

[2]- **Longman Dictionary of Contemporary English**, *Essex: Longman, 1987, p. 433*

اما **(Gerry Kearns)** فيعرف الجغرافيا السياسية بـ "ذلك الخطاب يصف ويشرح ويعزز طرقًا معينة لرؤية كيفية تكوين القوى الإقليمية وممارستها"[1].

عرفه ايضا (**Isaiah Bowman** - ايسايا يومان) بانه: "العلم الذي يساعد على تحديد الاسباب الجغرافية المؤثرة على السلوك السياسي للانسان".[2]

أما **كارل هاوسهوفر Karle Hawshofer** - فقد عرف علم الجيوبوليتيك على أنه: "العلم القومي الجديد للدولة، وهي عقيدة تقوم على حتمية المجال الحيّوي بالنسبة لكل العمليات السياسية"، حيث اِعتبره بمثابة العلم الجديد للدولة الذي يستند إلى الجغرافيا السياسية بدل أمور أخرى[3].

في حين عرفه **بيار ماري كلاوس Piene Marie Gallois** - على أنّه: "دراسة العلاقات الموجودة بين تسيير أو قيادة القوة على المستوى العالمي والإطار الجغرافي الذي تمارس فيه."

أما **إف لاكوست Yves Lacoste** - فقد اعتبره: "دراسة لمختلف أشكال صراع السلطة على الأرض، والقدرة تقاس بالموارد التي يحتويها الإقليم وبالقدرة على التخطيط خارج الإقليم[4]."

في حين **بارتس شابمن Bert Chapman** - عرفَه من منطلق العلم الذّي يعكس الواقع الدولي ومجموعة القوى العالمية المنبثقة عن تفاعل الجغرافيا من جهة، والتكنولوجيا والتنمية الاقتصادية من جهة أخرى، وتتسم بالطابع الديناميكي لا الثابت[5].

انطلاقاً من التعريفات سابقة الذكر يمكننا أن نلاحظ مدى الاختلاف والتعدد حول مدلول علم الجيوسياسية أو الجيوبوليتيك بين مختلف الاتجاهات العلمية، لكن من جهة

---

[1] - **Gerry Kearns Imperial Geopolitics:** Geopolitical Visions at the Dawn of the American Century, *Katharyne Mitchell, Gerard Toal eds., A Companion to Political Geography, Oxford: Blackwell, 2003, p. 173.*

[2]- **Bowman Isaiah: Political Geography of Power**, *Geographical Review, vol.32, n°2, avril 1942, pp.349-352.*

[3]- **Karl Haushofer: Why Geopolitik?,‖** *in Gerard Toal, Simon Dalby, Paul Routledge, (eds.), The Geopolitics Reader, London: Routledge, 1998, p.33.*

[4]- **Yves Lacoste: Géopolitique de la Méditerranée**, *Edition Armond Colin, France, 2006, p20.*

[5]- **Chapman, Bert**: **Geopolitics : A Guide to the Issues**, *"Nicholas J. Spykman, 1893-1943", in Bert Chapman 'ed, New York, Praeger, 2011, p23.*

أخرى نلمس قدر من الاتفاق بين البعض منهم، ولتبسيط نقاط الاختلاف والاتفاق الموجود سوف نقسم هذه الاتجاهات إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى :عرفتْ الجيوليتيك في إطار المنظور الوضعي الويستفالي، حيث نجد كل من رودولف كيلين، كارل هاوسهوفر و بيار **كلاوس** يركزون على الدولة كفاعل وحيد الذي يمتلك القوة المتمثلة في الجغرافيا فقط، فالجيوبوليتيك حسبهم كما يقول **هارتشول-Hartchol**عبارة عن "سم ذهني" بحيث من يعتنق الجيوبوليتيك أو يخطط من منطلق جيوبوليتيكي يكون ذو نزعة عدوانية ويجد الحل دائماً في الجغرافيا.

المجموعة الثانية : ركزت في تعريف الجيوسياسية أو الجيوبوليتيك على منطلقات المنظورات أخرى، فتعريف كل من **ايف لاكوست** و **بارتس شابمن**، لم يتخذ الدولة كفاعل وحيد بل هناك فواعل أخرى على غرار القوة الصّلبة مؤثرة، كالتكنولوجيا، الجنس، النوع...، وعليه انطلاقا من كل ما سبق من تعاريف، يمكننا تقديم تعريفاً عاماً لعلم الجيوبوليتيك بأنه: **"معرفة علمية تتضمن مجموعة من المفاهيم، والتي تنطلق من المعطيات الفيزيائية والبشرية الصادرة عن الفواعل السياسية، وتهدف للسيطرة على مجال جغرافي معين."**

و عليه فالجغرافيا السياسية تدرس الإمكانات الجغرافية المتاحة للدولة أي تدرس كيان الدولة الجغرافي كما هو في الواقع، و تعنى بالبحث عن الاحتياجات التي تتطلبها هذه الدولة حتى لو كان ما وراء الحدود أي ترسم خطة لما يجب أن تكون عليه الدولة مستقبلاً.

1- مراحل تطور علم الجغرافيا السياسية(Geopolitics):

إن أفكار الجغرافيا السياسية قديمة قدم البشرية حيث بدأت ملامح العلم تتضح منذ أن أخذت المجتمعات البشرية تتجه نحو إقامة الدولة أين بدأ اهتمام المفكرين بدراسة تأثيرات البيئة الجغرافية على الشؤون السياسية[1]، ومنها توصل المؤرخ اليوناني **هيرودوت Hiroudot** إلى أن سياسة الدولة تعتمد على جغرافيتها، من هنا كانت الانطلاقة من قبل المفكر اليوناني **أرسطو Aristo** - الذي ربط تاثير السلوك البشري بالبيئة الطبيعية، فكتب عن

[1]- **محمد ابراهيم الديب**: الجغرافيا السياسية (اسس و تطبيقات)، القاهرة، 1984، ص13.

علاقة السياسة بالجغرافيا في مُؤلفه "السياسية The Politics - "الذي أكد فيه أنَّ موقع اليونان الجغرافي في الإقليم المعتدل "المناخي" قد أهل الإغريق إلى السيادة العالمية على شعوب الشمال "البارد" والجنوب "الحار"، و قد تبنى سياسته على تقسيمات **بارمينيدس- Parminides** للعالم إلى خمسة أقسام: إقليم شديد الحرارة وإقليمان شديدا البرودة و إقليمان معتدلان، وأكد أن الإقليم المعتدل الذي يسكنه الإغريق هو الإقليم الذي يحمل في طياته بذور القوة[1].

إلاّ أن التطور الفعلي لعلم الجغرافيا السياسية بدأ مع القران التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين مع المفكر **فريديريك راتزل Frederik Ratzel** - الملقب بأب الجغرافيا السياسية[2]، إذْ يعتبر أول من استخدم مصطلح الجغرافيا السياسية في مُؤلفه "الجغرافيا السياسية" عام 1897، حيث آمن **راتزل** بأفكار **داروين Darwin** - في التطور البيولوجي وصاغ من خلالها نظريته في تحليل قوة الدولة، فهي بالنسبة له كائن حي يستمد خصائصه من جغرافيته، وبما أن الكائن الحي ينمو فيكبر فتضيق عليه ملابسه فيضطر لتوسيعها، كذلك الدولة، ستضطر إلى توسيع حدودها السياسية وزحزحتها كلما زاد عدد سكانها وتعاظمت طموحاتها، فحدود الدول حدود زئبقية قابلة للتوسع والانكماش ويجب على الدولة دائما أن تحافظ على رغبتها في التوسع لأن أي تراجع أو انكماش يجعلها عرضة للالتهام من قبل دول أخرى أقوى (البقاء للأقوى).

في الوقت الذي تحدث فيه راتزل عن الجغرافيا السياسية التي تنظر للدولة كوحدة استاتيكية (Static) و في ظل مناخ سياسي مغاير خطى مفكرين آخرين ألمان منحى جديد في تطوير هذا العلم وتحدثوا عن علم السياسات الأرضية أو ما أُصطلح على تسميته بالجيوبوليتيك، مع المفكر **رودولف كيلين Rudolf Kjellen**- الذي انطلق من فكرة أن الدولة كائن عضوي لكنه متطور و ليس ثابت[3]، وشبه البناء العضوي للدولة بالبناء العضوي للكائن

---

[1]- **محمد رياض:** الاصول العامة في الجغرافيا السياسية و الجيوبوليتيكا، مؤسسو الهنداوي للتعليم و الثقافة، مصر، 2012، ص55.

[2]**- Silviu COSTACHIE : Ratzel and the German Geopolitical School -The Inception of Culture as essential element and factor in the political Geography,** *revista Romana de Geografie Politica, no2, University of Bucharest, 2010, p 298.*

[3] **- Ola TUNANDER: Swedish-German geopolitics for a new century Rudolf Kjellén's 'The State as a Living Organism'**, *Review of International Studies Association(2001), 27, 451*

الحي، فالأرض بالنسبة للدولة هي الجسد وعاصمتها بمثابة القلب والرئتان، أما الأنهار والطرق وسكك الحديد فهي بمثابة الأوردة والشرايين للدولة، في حين أن المناطق تعد المصدر الذي يمدها بالمعادن والموارد الأولية اللازمة لنموها، والأفراد داخل الدولة هم الخلايا عند الكائن الحي والعامل المحرك للدولة، وقد اتفق مع **راتزل** بأن الهدف النهائي لنمو الدولة هو تحقيق القوة، و قرر أن الدولة تتكون من خمسة أعضاء: الحكومة، السكان، الأحوال الاجتماعية، المركب الاقتصادي والمركب الطبيعي، والقانون الطبيعي يفرض حتمية النمو البيولوجي للدولة، هذا النمو الذي يؤدى بها للنزاع الذي لا ينتهي إلا بمعادلة صفرية تؤدى بأفول الدولة الأضعف لصالح الدولة الأقوى.

وبتطور هذا العلم ونظرا لزيادة الاهتمام بالجغرافيا أصبح معظم الباحثين والمفكرين اليوم يعتمدون عليه في تحليل الأوضاع الدولية خاصة في شقها النزاعي، وأصبحنا نتكلم عن التحليل الجيوبوليتيكي للأحداث.

علاقة الجغرافيا السياسية بالعلوم الاخرى:

يمكن القول ان النصف الثاني من القرن التاسع عشر، هو الذي شهد كل العمل الحقيقي والدراسات الاصيلة التي ارست القواعد الراسخة للجغرافية السياسية، وثبتت ملامحها كفرع من فروع الجغرافيا البشرية، و كان هذا التأخير في حد ذاته مدعاة لتفسير عدم الاستقرار او عدم وضوح الفهم المتكامل للجغرافية السياسية، وهو سببا منطقيا يمكن ان يفسر عدم التناسق بين جملة المناهج التي يمارسها الباحثون في الجغرافيا السياسية، و لعله ما يفسر كذلك التناقض بين اساليب المدارس الجغرافية في ادراك واستيعاب المجال الواسع للمفهوم المتكامل للجغرافيا السياسية و ادائها الوظيفي المتخصص، وعليه فان هناك حاجة ملحة لان تستعين بنتائج علوم اخرى كثيرة التي تساعد في فهم مدى تاثير العوامل، وليس من الضروري ان ترجع فقط العوامل الثابتة التي تتصل بالمقومات الطبيعية، وكثيرا ما تكون العوامل المتغيرة التي تؤدي اليها المقومات البشرية، شريكة في صنع المشكلة او مؤدية اليها.

علم السياسية

ترتبط الجغرافيا السياسية وعلم السياسية بعلاقات وثيقة، فكليهما يدرس الدولة لكن كل من وجهة نظره الخاصة، وبالرغم من ذلك، فالعلاقة بينهما ليست قدرية، فعلم السياسة يهتم بسيادة وسياسة الدولة بينما تركز الجغرافيا السياسية على دراسة القوة والعلاقات المكانية للدولة.

علم التاريخ

يلتقط من علم التاريخ النتائج التي تكشف عن الحقائق وتفسرها، وتلقي الاضواء على الاحداث والاسس التاريخية، التي تتركز عليها المشكلات، وتعتبر المتابعة العميقة لتاريخ فلسكين – مثلا – على امتداد الزمن سبيلا من اهم السبل التي تحدد ابعاد عوامل كثيرة تتصل بمشكلة خطيرة يعاني منها جزء من العالم. فعلم التاريخ كدراسة متسلسلة لجميع العصور يجب أن يدخل بقوة في أي سياق الجغرافيا بشكل عام والجغرافيا السياسية بشكل خاص، وذلك لأنه يتعين على الدارسون في هذا الشان أن يستشهدوا بصفحات التاريخ وأمثلته في صياغة المبادئ ووضع الأسس لتفسير المشكلات الجارية وتحليلها [1].

علم العلاقات الدولية

ياخذ من علم العلاقات الدولية نتائج تتصل بالقوانين و الاتفاقيات الدولية، بل إن كثيرا من النظريات المستعملة التي تنطوي عليها العلاقات الدولية تكون هي الأخرى جزءا هاما من الجغرافيا السياسية، يهتدي بها الباحث في فهم جوانب المشكلات التي يعالجها، كمشاكل الحدود و المضايق البحرية و المياه الاقليمية والنقل البري والبحري و الجوي و غيرها من القضايا التي تؤثر في بيئة العلاقات الدولية.

علم الانثروبوليوجيا

يركز الباحث كذلك على نتائج متنوعة من حصيلة هائلة ينتهي اليها علم الانثروبوليوجيا - الطبيعية و الاجتماعية- في تفهم ما يتصل بالتركيب الهيكلي للكيان البشري في الوحدات

---

[1]- **SEMRA RAN GÖKMEN:** Geopolitics and the study of International Relations, *Doctorat thesis, Middleast Technical University, 2010, p16.*

السياسية، وفي ادراك ما قد يبنى على ذلك من تناسق او عدم تناسق داخل الوحدة ذاتها، وقد لا يستطيع الجغرافي تفسير المشكلات التي ترجع الى عدم التناسق إلا من خلال الاحاطة به و ما ينتهي اليه من نتائج، التي تساعده في تجسيم معنى الاقليات او مشكلات التفرقة و التميز العنصري.[1]

الديموغرافيا

بما أن الديموغرافيا تهتم بدراسة السكان دراسة علمية من حيث العوامل المؤثرة عليهم وحركتهم ونموهم وتركيبهم، فهي تركز على معلومات تعتبر عنصر مهم من عناصر الدولة (السكان)، إذ لا بد لأي فهم صحيح للدولة ومشكلاتها أن يضع في الاعتبار الاحصاءات الحيوية وتركيب السكان ونموهم لكي تكون الفكرة وافية عنهم و تكون التحليلات والنتائج مستندة إلى حقائق دقيقة[2].

علم الاقتصاد

يلتمس الجغرافي ايضا في علم الاقتصاد، سبل التأثير المتبادل بين السياسة و الاقتصاد، ففضلا عن الالمام بمعطيات عن القوة الاقتضادية للدولة فيما يخص قدراتها من الثروات الطبيعية والموارد المتاحة ومصادر تموينها والقوة العاملة وجميع العوامل الاخرى المشكلة لبناء اقتصادها، وادراك النتائج التي تمثل ضوابط حاكمة للمذاهب الاقتصادية، وما تمليه على التوجه السياسي الذي تتبعه الدولة في تعاملاتها مع الدول، ويتبين اثر تداخل السياسة في تركيبة البنيان الاقتصادي، او كيف يملي الاقتصاد ويسوق السياسة الى مواقف محددة على الصعيد المحلي او الاقليمي او العالمي، ومن غير استيعاب لذلك كله، لا يحقق التناسق الموضوعي بين الجغرافيا والمشكلات على السياسة نتائجها المرجوة، بل يفقد البحث اهم المتغيرات التي تلعب دورا في دنيا السياسة و ما تنتج عنه من حالات السلم و الحرب.[3]

---

[1] - **Lisa Wedeen :** Reflections on Ethnographic Work in Political Science, *Annual Review of Political Science, University of Chicago,2010, pp 256-258.*

[2] - **Rodrigo Rodrigues-Silveira :** *The Politics of Demography Censuses as resources for political analysis, Salamanca University, Spain, 2014, p2.*

[3] - **Gilles Saint-Paul :** Economic Science and Political Influence, *Journal of the European Economic Association, Volume 11, Issue 5, 1 October 2013, Pages 1015.*

من كل ما سبق، يمكن فهم ان الجغرافيا السياسة تقتضي احاطة واسعة و معرفة شاملة لمختلف العلوم، بل تتطلب مهارة و تفوقا في القدرة على جمع تلك المعطيات و النتائج و الارتكاز اليها في مواجهة الدراسة الموضوعية للمسائل التي تدرسها، ومهارة وقدرة عالية في تحليل وتفسير الظواهر السياسية المختلفة ويجد لها حلولا.

فروع الجغرافية الأخرى

تمتد الجغرافيا السياسية بجميع فروعها الطبيعية والبشرية بالمعلومات اللامة عن مقومات الدولة، وكذلك توضح لها العلاقة بين الارض والسكان، ويدخل في هذا تحديد علاقتها بغيرها، وهذا يعود إلى أن الجغرافيا السياسية تدرس الدولة كوحدة سياسية تنتمي إلى نظام سياسي واقتصادي واجتماعي خاص بها، كما ترتبط الجغرافيا السياسية بدرجات متفاوتة بمختلف الميادين العلمية التي تاخذ اهميتها في بناء قوة الدولة حسب ظروف الزمان و المكان و التطورات و التفاعلات الحاصلة والمتجددة على جميع الاصعدة و المستويات (المحلية،الاقليمية و العالمية).

مناهج البحث في الجغرافيا السياسية:

تعددت مناهج البحث في الجغرافيا السياسية نتيجة لتنوع المواضيع التي يدرسها، وهذا الاختلاف يمثل نتيجة طبيعية تبنى على الفرق الواضح في الطرق والاساليب التي يلجا اليها الباحث في عرض الموضوع ودراسته، فهي تدرس الدولة والقضايا السياسية الدولية او المحلية، كذلك الحدود السياسية و مقومات قوة الدولة في اي منطقة من العالم، ويهم في هذا المجال الاشارة الى مجموعة مناهج مختلفة، يسير عليها الباحث في الجغرافيا السياسية، ومن هذه المناهج ما يلي:

المنهج التاريخي:

هو نقطة الالتقاء بين حصيلة و نتائج الدراسات الجغرافية و الدراسات التاريخية، فيكون بذلك المنطق الذي ينطلق من البحث متوخيا في التناسق من اجل استنباط جملة من القواعد العامة و الاصول التي تخضع لها السياسة، او التي تحكم مسالة العرض العام

للمشكلات السياسية، التي يصنعهاالمنهج التاريخي لتقييم المشكلات، او تقدير ما من شانه ان يكشف الغطاء عن وجهها الحقيقي، او للغوص وراء الجذور العميقة لها.[1]

المنهج التحليلي:

يعمل هذا المنهج على معالجة القضايا باسلوب مختلف تماما، و ابعد ما يكون عن التقيد بالقواعد العامة، بحيث يلجا الى معالجة الموضوع الذي يشمل وحدة سياسية او اكثر على اعتبار انها تتضمن الارض، مثلما تتضمن الناس، و من ثم يدرك الباحث ان خصائص الارض و الضوابط الطبيعية المحيطة بها، تشترك مع خصائص الناس و الضوابط البشرية النابعة من صميم وجودهم ومستواهم الحضاري ونشاطهم في صنع اهم العوامل المتغيرة. وهذا يعني ان هذا المنهج يتسم بالواقعية و عدم الجمود او التقيد بالنمطية و القوالب الجامدة، لذلك انه يدعوا الباحث للاهتمام بكل خصائص الوحدة السياسية، من حيث الموقع الجغرافي و الشكل العام و المساحة و الحدود والموارد المتاحة وغيرها من الخصائص التابعة لها، و لان يهتم ايضا بالناس وظروفهم المحيطة، وبتجمعهم على تلك الارض و ولائهم لها و نشاطاتهم ومشاكلهم داخليا وخارجيا.[2]

وهذا ما انتهى اليه الاستاذ ماكندر في تشكيل للفلسفة التي تأثرت بها الدراسات الجغرافية السياسية، وتأكيد وظيفتها وماهيتها، و لعل اهم مانتهى إليه هو الايمان المطلق بتأثير الحقائق الجغرافية الطبيعية و البشرية على تطور الاحداث وسير حركة التاريخ البشري من ناحية، و على سياسات الدول والمشكلات السياسية التي تعاني منها من ناحية اخرى.

المنهج الاقليمي:

هذا المنهج تقليدي، يقوم على دراسة البيئة في دولة معينة او اقليم معين لكي يتخذ منها مرتكزا تنطلق منه الدراسة والنتائج التي يستهدف من خلالها تصوير المشكلات وتحليلها، لكن بات هذا المنهج مهزوز نوعا ما بسبب تغير مفهوم الاتصال و التواصل بين اطراف العالم و دوله،

---

[1] - صلاح الدين الشامي: مرجع سابق، ص27.

[2] - **Jon Pierre and B. Guy Peters:** Governance, Politics and the State, *Political Analysis, Colin Hay, Red Globe Prress, USA, 2019, p27.*

ومنطق توازن القوى السياسية و الاقتصادية الذي بات لا يعترف بالحدود التقليدية الجامدة بين الاقاليم الجغرافية او لا تتوقف عندها، فباتت تفرض ابعادا ونتائج مؤثرة.[1]

يقوم هذا المنهج بتحليل الوحدة السياسية من حيث العناصر التي تتكون منها أو التي تكونها مثل الظواهر الطبيعية والاقتصادية والبشرية، وشكل وحجم ومناخ الدولة والسكان وغيرها، وتحليل التاريخ السياسي للدولة، وحدودها، وعلاقاتها السياسية بالعالم الخارجي ويعيب هذا المنهج كم المعلومات الكبير الذي يخشى معه على الباحث أن ينتهي به الأمر إلى وصف مجموعة من الدول وصفا إقليميا، والجغرافيا السياسية بهذا الشكل لن تكون لها شخصيتها المميزة، فعلى الباحث الجغرافي في هذا المجال أن يستفيد من هذا المنهج في إبراز المشكلة موضوع دراسته بتحليل المعلومات والبيانات المختلفة بطريقة " الجغرافي الإقليمي " الذي يختار ما يريده من الدراسة الإقليمية التي تفيد في فهم طبيعة المشكلة وأسبابها الجغرافية.

منهج تحليل النظم العالمية The world systems Analysis Approach

يتعلق هذا التحليل بالكيفية التي نتصور بها التحولات السياسية و الاجتماعية على المستوى العالمي، فلقد درج الباحثون على الخلط بين مصطلح "المجتمع" ومصطلح "البلدان" وبذلك خرجوا بنتائج عن بعض المجتمعات ثم طبقوها على بعض البلدان، ومن ثم نتحدث عن بعض المجتمعات مثل المجتمع الفرنسي، والمجتمع الأمريكي، والمجتمع الصيني، والمجتمع المصري.. الخ ولما كان هنا أكثر من مائتي دولة في عالم اليوم، فان هذا يعني أن يتوجب على دارسي التغير الاجتماعي أن يتعاملوا مع ما يقارب على الأقل مائتي مجتمع، كما يقوم منهج تحليل النظم بتحليل أبعاد المنظومة التاريخية، وديناميكيات الاقتصاد العالمي، والبنية المكانية للاقتصاد العالمي، والنطاق الجغرافي للنظام، والقوة السياسية في الاقتصاد العالمي، وطبيعة القوة (الأفراد – المؤسسات – الطبقيات – الشعوب).[2]

المنهج الوظيفي The Functiona Approach

---

[1]- **صلاح الدين الشامي: مرجع سابق، ص 26.**

[2]- **ايمانويل وولرسين :** تحليل النظم الدولية، تر.**اكرم علي حمدان**، مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2015، ص19.

يهدف إلى دراسة الدولة من حيث علاقاتها الخارجية والداخلية، وكيف يمكن للدولة أن تحافظ على كيانها الداخلي في ظل منظومة مجتمع دولي متكامل، وأثر العوامل الجغرافية كالمناخ، والتضاريس، والقوميات المتعددة أو جماعات الشعوب على الأنشطة السياسية للدولة، وكذلك أثر المظاهر السياسية بدورها على العوامل غير السياسية، كأنماط الاستقرار واستخدام الموارد وتطور شبكات النقل والاتصال، ونمو الخدمات والمرافق وغيرها، كما يدرس قدرة الدولة على التكيف والبقاء والنمو في ظل الظروف الأوضاع الخارجية حولها، ومشكلاته الإقليمية مع الدول المجاورة[1]. ومن هنا يمكن القول ان المنهج الوظيفي يهدف إلى التحليل السياسي للوحدة السياسية من خلال الوظائف الداخلية والخارجية التي تؤديها.

المنهج المورفولوجي The Morphological Approach

يقوم هذا المنهج على تحليل أنماط الظواهر السياسية للدولة وتراكيبها، حيث يوجد نمط التنظيم السياسي الإداري داخل الدولة أو نمط التنظيم الإقليمي كتل إقليمية (أو تنظيمات عالمية اتحادات دولية)، أما تركيب الظواهر السياسية فتمثيل عواصم الدول وشعوبها، ومواردها الاقتصادية، وشكل الحدود و البيئة الجغرافية المتنوعة، والمشكلات التي تواجه المناطق المختلفة[2].

المنهج الوصفي The landscape Approach

يهتم هذا المنهج بدراسة المسرح السياسي للدولة (الوصف من المنظور الطبيعي)، من حيث الموقع الجغرافي، والمساحة، الشكل، ونواة الدولة وقلبها، والأقسام السياسية بها، والشكل الداخلي وصف السلالات واللغة، الدين، الأجناس، الاحزاب السياسية وميولها والتمثيل النيابي، الحقوق المدنية، كما تدريس العناصر الخارجية وصا الحدود السياسية وتطورها وتركيبها ومشكلاتها وشكلها العام(، وكذلك شكل الدولة ووصا علاقاتها الدولية الأخرى وكذلك وصف

---

[1] - **Roger E. Kasperson & Julian V. Minghi :** The Structure of Political Geography, *Routledge, 1st Edition, 2011, p16.*

[2] - **F. Zwicky and A. G. Wilson (eds.):** New Methods of Thought and Procedure. Contributions to the Symposium on Methodologies, *May 22-24, 1967, Pasadena. New York: Springer-Verlag, 1967, p28.*

للمجتمع البشري بتركيباته المتعددة، والأسلوب الاقتصادي الذي تتبعه الدولة وأثره في قوتها وضعفها.[1]

من المناهج المستخدمة للتحليل الجيوسياسي و قوانين الجغرافيا السياسية متكاملة بصورة كبيرة ومساعدة بشكل واضح لتحليل التاريخ السياسي والدبلوماسي ووضع الخطط الإستراتيجية، ولهذا العلم عدد كبير من التداخلات مع علم الاجتماع و علم السياسة و والإستراتيجية العسكرية وتاريخ الأديان والاثنولوجيا، فضلا عن الاقتصاد، حتى ان بعض العلماء اتفقوا على تأسيس علم جديد هو علم "الجغرافيا الاقتصادية".

بالإضافة الى ذلك، يبدو دور الجغرافيا السياسية اكثر حضورا على الصعيد الاجتماعي الواسع، فمستوى تطور الإعلام و الاجتذاب الفعال للإنسان العادي الى الاحداث الدائرة على مساحة العالم كله، و"عولمة" وسائل الإعلام كل هذا يدفع الى التفكير في المدى المكاني من خلال مصطلحات جيوسياسية برتبة اولى، لذلك التفكير الذي يساعد على تصنيف الشعوب و الدول والنظم و الاديان وفقا لسلم مبسط يغدو مفهوما ولو بصورة تقريبية، المعنى الذي يتضمنه حتى ابسط الاخبار المذاعة عبر مختلف الوسائط الإعلامية فباستخدام الشبكة الجيوسياسية الاقرب الى البساطة "قلب العالم، الهلال الداخلي، جزيرة العالم" في تفسير اي مادة اعلامية تتعلق بالأحداث العالمية لا ترسم امامنا على التو الانموذج الموضح الذي لا يطالب بكميات اضافية من المعارف المتخصصة الضيقة، "توسع الناتو نحو الشرق" يعني من هذا المنطلق " توسيع مساحة Rimland لصالح التالاسوكراتيا "، "الاتفاق بين المانيا و فرنسا على انشاء قوات مسلحة خاصة اوروبية صرفة " هي خطوة في اتجاه انشاء بنية تيليروكراتية قارية "، " النزاع بين العراق و الكويت "، " سعي دولة قارية الى ازاحة تشكيل تلاسوكراتي مفتعل يحول دون السيطرة المباشرة على منطقة ساحلية " وهكذا.

كما انه من جهة أخرى حول تأثير المنهجية الجيوسياسية على السياسة الداخلية و الخارجية للدولة، اذا كان المغزى الجيوسياسي للخطوات المحددة للأحزاب و الحركات السياسية، بالإضافة الى البنى السلطوية واضحا لتمكن بسهولة من نسبيها الى نظام المصالح العالمية،

---

[1] - **Marleen Buizer & Others** : Landscape Approaches: A State-of-the-Art Review, *Annual Review of Environment and Resources, University of Groningen, the Netherlands, 2017, p450.*

وبالتالي كان سهلا تشفير اهدافها البعيدة، فالتكامل - مثلا – بين روسيا و الدول الاوروبية و بخاصة ألمانيا خطوة من طرف القوى التيليروكراتية (الاوراسيين)، ومن هنا يمكن التنبؤ بتعزيز الميول " الايديوكراتي". وعلى العكس من ذلك فان تقارب موسكو مع واشنطن يعني الخضوع للخط التالاسوكراتي، وعلى هذه المنوال وفي ضوء القوانين الجيوسياسية الداخلية يمكن فهم و تفسير العمليات السياسية الداخلية و الخارجية المختلفة، فكل حدث يكسب معنى واضح في ضوء الجيوسياسة.

2- أسس التحليل الجيوسياسي:

لقد وضع **هارتشورن Hartshorne** أربع اسس مختلفة في مجال التحليل الجيوسياسي:[1]

1- تحليل القوة.
2- تحليل التاريخ.
3- التحليل المورفولوجي.
4- التحليل الوظيفي.

أضاف **كوهين Cohen** طريقتين أخريين: سلوكية ومنهجية. إلى كل هذه الأساليب، كما يمكن اضافة **"طريقة التحليل العاملي- Factorial Analytical Method"**.[2]، وطريقة التفكير الجيوسياسي. فمن جانبه، سمح تصنيف أساليب دراسة الجيوسياسية التي صممها كوهين بتطوير الأسلوب الجيو-عسكري كأحد الخيارات الممكنة التي توفرها أساليب تحليل السلطة.

بمجرد تحديد المستويات الثلاثة للأنظمة (النسق/النظام السياسي للإطار الجيوسياسي - الانظمة الفرعية، و الانظمة الفوق-قومية)، كما يجب تحديد مجالات التأثير الجيوسياسي لمختلف العوامل الجيوسياسية قيد الدراسة. بعبارة أخرى، يجب أن تحديد أي مجموعة من المجالات/ الركائز الجيوسياسية" للعوامل والمحددات الجيوسياسية التي سيقوم البحث فيها في

---

[1] **- Miguel Angel Ballesteros Martin : Method for the analysis of geopolitical regions (MARG),** *Journal of the spanish Institute for Strategic Studies, Spain, 2015, p4.*

[2] **- Miguel Angel Ballesteros Martin :** *Op.Cit p4.*

إطار المقياس النظامي المختار (مستوى **"النظام"** أو مستوى**"الأنظمة الفرعية"** او مستوى**" الانظمة فوق قومية".**[1]

من أجل اتباع ترتيب عقلاني في تحليل تأثيرات العوامل الجيوسياسية، يجب أن يبدأ التحقيق من مستوى "**الأنظمة العليا**" وتستمر في مستوى "**النظام**". يجب أن يثبت مثل هذا الترتيب التسلسلي لأنه في معظم الحالات، إذا تم الانتهاء من تحليل تأثيرات العوامل الجيوسياسية على مستوى الأنظمة الفرعية، وإذا تم تحديدها بشكل صحيح، فإن التحليل المعني على مستوى النظام بأكمله سيكون ذو نتائج دقيقة.

اضافة الى مجموعة محددات اخرى، يتم فحص الركائز التي سيتم ذكرها من حيث القوة والضعف، الفرص و التهديدات كل على حدى، كاستعمال " مصفوفة **(S.W.O.T)** على سبيل المثال، ويمكن تحديد الركائز الجيوسياسية المختلفة انطلالقا من مقومات و مجموعة محددات قوة الدول المختلفة فيما يلي:

1- **المحدد الجغرافي.**
2- **المحدد البشري.**
3- **المحدد الاجتماعي - الثقافي - التاريخي.**
4- **المحدد السياسي- الدبلوماسي.**
5- **محدد سياسيات الدفاع و الأمن.**
6- **المحدد الاقتصادي.**
7- **المحدد التكنولوجي.**

[1] **- Ioannis TH.MAZIS : Geopolitics Academic Dissertations (1983-2008),** *Methodology for Systematic Geopolitical Analysis According to the Lakatosian model,* Vol1(2), Athens, Greece,2016, p678

المحاضرة الثانية

لمحة عن الفكر الجيوبوليتيكي القديم

الغربي و الاسلامي

الفكر الجيوبوليتيكي القديم:

منذ نشأة الدولة توقف الفكر السياسي عند اثار البيئة الجغرافية في قوة الدولة و سياستها، ولكن بدون تحديد دقيق لتلك الاثار و بدون معرفة مسبباتها، وبدون معرفة قواعدها التي يمكن ان تطبق في مكان اخر من العالم. فالفيلسوف اليوناني ارسطو اعتبر ان موقع اليونان الجغرافي في الاقليم المعتدل يساعد الاغريق على تصدر السيادة العالمية اكثر من دول الشمال في الاقاليم الباردة[1]، ودول الجنوب في الاقاليم الحارة، حيث نجد ان خريطة " هيكاتيوس" قسمت العالم الى اقليمين مناخيين هما: الاقليم الاول بارد، يشمل اوروبا و شمال آسيا و الثاني اقليم حار او دافئ ويشمل اسيا و افريقيا. واتبع المصريون سياسة الجيوبوليتيكا قوامها ان الدفاع على مصر ، يبدا على اراض بعيدة عنها، اي من منطقة شرق البحر الابيض المتوسط، واكتشفوا هذه القاعدة من خلال صراعهم المستمر مع الحثيين القادمين من المشرق.

اعتبر الجغرافي الروماني Strabo ان القوى العالمية مركزة في الاقاليم الكبيرة المساحة[2]، وليس في الهوامش البحرية، و ان اوروبا مركز هذه القوى العالمية، و هي قادرة على تحقيق النمو الفكري والاجتماعي. و اشار في تقسيمه للعالم الى القوى ذات الاهمية الموجودة من جبل طارق الى خليج المحيط الشرقي(بلاد البنغال)، ومن ايرلندا شمالا الى سلان (سريلانكا) جنوبا، وفضل استخدام الفواصل الارضية حدودا مثل برزخ السويس بين اسيا و إفريقيا وطوروس بين اسيا واوروبا. ورأى الجغرافي " بليني" ان حدود الامبراطورية الرومانية تنتهي في اطرافها حيث تنتهي طرق المواصلات الى عوائق طبيعية، نهرية او بحرية.

ويفيد الدارسون ان مراكز القوى توزعت خلال ثلاثة آلاف سنة بين الشرق الاوسط واوروبا في المواقع الآتية مصر، العراق، فارس، اليونان، روما، قرطاجة، بيزنطة، دمشق، إستانا إسبانيا البرتغال، فرنسا، انجلترا، هولندا،المانيا. اي ان هذه المراكز توزعت في حوض البحر الابيض المتوسط، حيث شكلت المنطقة العربية موقعا مميزا بينها، وتكون هذه المراكز في مجموعها العالم ذي الاهمية.

---

[1]- **محمد رياض:** مرجع سابق، ص 54.

[2]- المرجع نفسه، ص 55.

الفكر الجيوبوليتيكي الاسلامي:

برع العرب خلال العصور الوسطى بالجغرافيا الوصفية و الفلكية و رسم الخرائط، ووضعوا قواعد علمية جديدة في هذا الصدد، ومن اشهر علمائهم الجغرافيين:

ابن حوقل: رحالة وجغرافي في القرن العاشر، تنقل في العالم الاسلامي بين بلاد الهند و اسبانيا خلال ثلاثون سنة، ووضع كتاب " صورة الارض" الجامع لمشاهداته ودراساته.

المقدسي: الواضع كتاب "احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم في القرن العاشر، وقد تضمن ذكر الاقاليم الاسلامية ومافيها، وحددها باربعة عشر إقليما وقام بدراستها طبيعيا وحضاريا.

ابن بطوطة: جاب البر و البحر، وقطع المسافات الطويلة التي قدرت بـ 120 الف كلم، وصف حالة المجتمع الاسلامي في ال ق14، اضافة الى واقعه الجغرافي.

عبد الرحمن بن خلدون: الذي قال عنه الأوربيون أنه أول مكتشف بطبيعة البحث الجغرافي وميدانه، فلم يتسم نهجه في الجغرافيا السياسية بالحتم الصارم ، وقد أضاف الكثير إلى الفكر الجغرافي السياسي في مقدمته الشهيرة، ويعتبر هو واضع الاطار العام الذي عرف من بعده بدورة حياة الدولة ، وتحدث بن خلدون عن عوامل قيام الدولة وهرمها وسقوطها.

ابو عبد الله محمد بن محمد بن ادريس: ولد عام 1099م و توفي عام 1166م، و يعتبر من ابرز علماء الجغرافيا المسلمين، فقد الف كتاب " **نزهة المشتاق في اختراق الافاق**" تكلم فيه عن الجغرافيا العالمية، كما ترجم كتابه الى اللغة اللاتينية، وقد خدم الادريسي لدى الملك رزجر الثاني ملك صقلية، و عمل كذلك مع الملك في باليرمو، و الاكثر من ذلك انه استطاع حساب محيط الارض بدقة متناهية فقدره بحوالي 37.014.912 كم، في حين ان القياسات الحديثة بالاقمار الصناعية قدرت بـ 40.075.160 كلم، و هذا يظهر الدقة المتناهية والقدرة الكبيرة للادريسي على التصور و القيس الجغرافي.[1]

يقول ول ديورانت عن الخرائط التي رسمها الإدريسي: "وكانت هذه الخرائط أعظم ما أنتجه علم رسم الخرائط في العصور الوسطى، لم ترسم قبلها خرائط أتم منها، أو أدق، أو أوسع

---

[1]- **ابي عبد الله محمد بن محمد بن ادريس:** نزهة المشتاق في اختراق الافاق، المجلد الاول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،2002، ص 5.

وأعظم تفصيلاً. وكان الإدريسي يجزم كما تجزم الكثرة الغالبة من علماء المسلمين بكريَّة الأرض، ويرى أن هذه حقيقة مُسلَّم بصحتها.[1]

اهتم المسلمون بدراسة المدن بصورة تفصيلية، و تركزت اعمالهم على منهجين هما: دراسة المدن من الخارج و دراستها من الداخل. وهم اول من تحدث عن ظاهرتي تآكل الجبال و ارتفاع الوديان. وقسمت النظرة الاسلامية العالم الشمالي من الارض الى قسمين رئيسين هما: اوروبا في الشمال و اسيا و افريقيا في الجنوب، واعتبرت هاتين الاخيرتين بمثابة كتلة واحدة. فكان العالم الاسلامي في معظمه جنوب وشرق البحر المتوسط، وكان العالم النصراني الاوروبي شمال هذا البحر – باستثناء مرحلة وصول المسلمون بلاد الأندلس وكانت روما مركز القارة الاوروبية والبحر المتوسط، وكانت دمشق ثم بغداد مركز العالم الافرو-اسيوي و المحيط الهندي.

قلب هذه الكتلة هو المنطقة الاسلامية بين جبال طوروس و هضبة ارمينيا و جبال القوقاز وبحر قزوين شمالا، وبين بحر العرب و بلوشيستان في الجنوب و اطراف السند وخوراسان وما بين النهرين شرقا، والحلقة الخارجية للقلب او ما يسمى بالعالم الإسلامي كانت تمتد غربا الى اسبانيا وغرب افريقيا وشرقا الى الهند و تركستان، وجنوبا الى موريطانيا و سواحل افريقيا الشرقية.

بعد حركة الكشوف البحرية للأوروبيين وخاصة الاسبان و البرتغاليين، تحول مراكز القوى الى الهامش الاوروبي الغربي في البرتغال واسبانيا وهولندا وفرنسا و بريطانيا، فتراجعت اهمية موقع القلب العربي والكتلة الإسلامية ليتقدم الموقع الاوروبي الغربي ومعه افكار السيطرة البحرية.

فكانت الافكار الاسلامية الجيوبوليتيكية موجهة نحو الحركة التجارية البرية و البحرية و نحو السيادة القارية. وابتعدت هذه الافكار والى حد بعيد عن فكرة التوسع الاقليمي و العنف الحربي مع وجودقوة عسكرية قادرة على الدفاع.

---

[1]- **قاسم الجواري :** العناصر الاساسية للخارطة عند الشريف الادريسي، مجلة التربية و العلم، المجلد 19، العدد5، العراق، 2012، ص356.

المحاضرة الثالثة

المدرسة الالمانية

فريدريك راتزل

الدول ككائنات حية في المدى المكاني (الجغرافي)

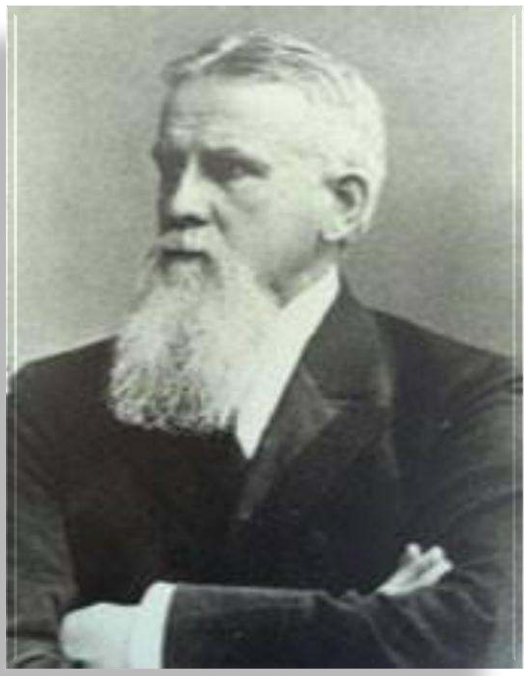

المدرسة "العضوية" الالمانية:

يمكن اعتبار (فريديريك راتزل) (1844-1904) "اب الجيوبوليتيكا ". على الرغم انه لم يستخدم ذلك المصطلح في اعماله. فقد كتب عن (الجغرافيا السياسية) و سميت دراسته الاهم.الني رات النور عام 1897بـ :.politische geographie.[1]

انها راتزل جامعة البوليتيكنيك في كارلسروه (Karlsruhe). حيث استمع الى محاضران الجيولوجيا و الباليوتولوجيا (علم الحفريات القديمة) و علم زوولوجيا (علم الحيوانات). و اكمل دراسته في هايدلبرغ حيث تتلمذ على يد البروفيسور ايرنست غيكل (الذي كان اول من استخدم مصطلح علم البيئة) وقد بنيت الرؤية الفكرية لراتزل على التطورية و الداروينية واصطبغت باهتمامه المعبر عنه بوضوح نحو علم الحياة.

عام 1876 يناقش راتزل اطروحته حول " الهجرة في الصين"، في سنة 1882 تصدر دراسته " الانتروبوجغرافيا Antropogoegraphie. و التي يصوغ فيها افكاره الأساسية حول العلاقة بين تطور الشعوب و الديمغرافيا و بين المعطيات الجغرافية، و تأثير التضاريس المكاني على التكوين الثقافي والسياسي للشعوب و ما الى ذلك. إلا ان كتابه الاكثر اهمية هو (الجغرافيا السياسية).

وضح راتزل أهمية العلاقة بين الأرض الدولة و تطور قوتها في كتابه، حيث اعتبرها عضوا حيا منشغل بالتنافس و الصراع من أجل البقاء ضد الدول الأخرى التي تسعى الى تحقيق نفس الهدف، وكان متأثرا بالداروينية. في رأيه، الدولة عليها أن تتوسع وإلا ستواجه الاختناق ثم الموت، وفي داروينيته الاجتماعية مجد الدولة الألمانية واعتبر الأرض والأمّة الألمانية متفوقين على الأراضي والأمم الأخرى، لذلك يجب عليها أن تتوسع على حساب الكائنات العضوية الأخرى لكي تجد لنفسها مجالا حيويا للعيش والتقدم.

ومن أفكار داروين في التطور البيولوجي، صبغ راتزل صياغته لتحليل قوة الدولة بالأفكار داروين, وأكد على أن الدولة لا تثبت حدودها السياسية, وكانت الدولة لديه أشبه بإنسان ينمو فتضيق عليه ملابسه بالتطور فيضطر إلى توسيعها، وعليه تضطر الدولة إلى تغيير حدودها السياسية كلما ازداد عدد سكانها وتعاظمت قوتها و مطامحها، كذلك تأثر راتزل بفكرة

[1]- الكسندر دوغين: مرجع سابق، ص 75.

الحتم البيئي التي تقول بان نشاط الإنسان يخضع لضوابط البيئة الطبيعية وقوانينها بما في ذلك النشاط السياسي للإنسان, الدولة كائن حي يرتبط مصيره بالمجال الأرضي ومن اجل البقاء لابد لها من توسيع هذا المجال حتى ولو بالقوة وان لم تتوسع فستنهار، فكانت كتاباته بمثابة تبرير مرحب بالتوسع الإمبراطوري.

1-2: الدول ككائنات حية:

يبن راتزل في دراسته هذه ان التر بة هي المعطر المؤسس الوطيد الذي تدور حوله مصالح الشعوب. و حركة التاريخ محددة مسبقا بالتربة والأرض، و تلي ذلك نتيجة يستخلصها المؤلف على اساس التطور و هي ان (الدولة كائن حي)، إلا انه كائن (متجذر في التربة)، فالدولة تتكون من السطح الارضي البعد المساحي و من وعي الشعب لهما، و على هذا ينعكس في الدولة المعطى الجغرافي الموضوعي و الوعي الذاتي القومي العام لهذا المعطى، و الذي يتم التعبير عنه بالسياسة ، و يرى راتزل ان الدولة (الطبيعية) هي التي تجمع بصفة عضوية بين الكميات المتغيرة للامة الجغرافية منها و الديمغرافيا والاثنوثقافية.[1]

يكتب الكسندر في كتابه: " ينظر الى الدول خلال كل مراحل تطورها على انها كائنات عضوية تحافظ بفعل الضرورة على علاقاتها بتربة أرضها و لهذا يجب ان تدرس من وجهة النظر الجغرافية وعلى نحو ما تظهر الاثنوغرافيا و التاريخ فان الدول تتطور على قاعدة تتفاعل معها و تذوب بها اكثر فأكثر وتستخلص منها كميات من الطاقة اكثر و أكثر ولهذا فان الدول تبدو ظواهر منكانية يوجهها ويحييها هذا المكان و يجب ان تقوم الجغرافيا بوصفها ومقارنتها و قياسها و تدخل الدول في سلسلة ظواهر تطور الحياة لتغدوا الذروة العليا لهذه الظواهر. (الجغرافيا السياسية).[2]

---

[1]- الكسندر دوغين: مرجع سابق، ص 76.

[2]- المرجع نفسه، ص 77.

من هذه النظرة (العضوية) يتضح بجلاء ان راتزل يفهم التطزر الزاحف للدولة على انه عملية طبيعية حية، شبيهة بنمو الكائنات الحية. و بهذا المعنى يكون راتزل الوريث المباشر لمجموع مدرسة السوسيولوجيا (العضوية) الالمانية.

3-1: التنظيم السياسي للتربة "Raum:

مصطلح **"Raum"** مقتبس من كلمة **"Lebensraum"**، **فهي تعني " مكان العيش او السكن، اما كلمة "Leben" تعني " العيش"**، اما كلمة **"Raum"** تعني في قاموس اللغة الالمانية: **" Raum, Umkreis, in dem sich jemand oder eine Gemeinschaft [frei] bewegen und entfalten kann"**، اي " مساحة يستطيع فيها شخص ما او مجتمع ان يتحرك و يتطور (بحرية)، فمصطلح **"Lebensraum "** يقصد به **" الموطن او البلد".**[1]

تتشكل الدولة مثل كائن حي مرتبط بجزء محدد من سطح الارض و تتكور سماتها طبقا لسمات الشعب و التربة، اما السمات الاهم فهي الأبعاد و مكان التوضع و الحدود، تلي ذلك انماك التربة مضافة الى نوعية النبات و الري و اخيرا العلاقة مع بقية خلائط السطح الأرضي و بالدرجة الاولى مع البحار المتاخمة و الارضي غير المأهولة التي لا تمثل –للوهلة الاولى – اهمية سياسية خاصة.[2]

ان اجتماع هذه السماة كافة يكون البلاد (**Das Land**)، ولكن عندما يتناول الكلام (بلادنا) يضاف الى ذلك كل ما قام الانسان بابداعه و كل ما يرتبط بالارض من ذكريات، و هكذا فان المفهوم الذي هو في صورته الاولى جغرافي صرف يتحول الى علاقة روحية عاطفية بين سكان البلاد وتاريخهم.

و الدولة جهاز حي، ليس لأنها فقط تستنكق حياة الشعب فوق تربة ثابتة، بل لان هذه العلاقة التبادلية تتقوى بصورة متبادلة لتغدو شيا ما متوحدا لا يمكن تصوره بمعزل عن واحد من مكونيه الاثنين. و الاماد غير الماهولة غير القادرة على اطعام الدولة هي ارض تاريخية مراح، اما الاراضي الماهولة فهي ، على العكس من ذلك، تساعد على تطوير الدولة و بخاصة اذا كانت

---

[1] **- Collinsdictionary.com/***dictionary/german-english/raum*

[2] **- SEMRA RAN GÖKMEN:** *Op.Cit, p23.*

هطه الاماد مطوقة بحدود طبيعية، و عندما يحس الشعب بانه على ارضه بصورة طبيعية فانه يقوم وبصفة مستمرة باعادة انتاج نفس السماة التي تنبثق من التربة، و تكون هذه السماة مرقونة فيها.

4-1: قانون التوسع:

النظرة الى الدولة على انها جهاز حي افترضت الانصراف عن فكرة (حصانة الحدود)، فالدولة كالكائن الحي تولد وتنمو و تموت، و على هذا فان توسعها و تقلصها المكاني عمليتان طبيعيتان مرتبطتان بدورتها الحياتية الداخلية، و في كتابه (حول قوانين تطور الدولة في المجال) (1901) حدد راتزل سبعة قوانين للتوسع:[1]

1- امتداد الدولة يتسع وفقا لتطور ثقافتها، و إن رقعة الدولة تزداد بنمو الثقافة و انتشارها بانتشار السكان و حملوا معهم طابعا ثقافيا خاصا فإن الأراضي الجديدة التي يحتلها هؤلاء تزيد من مساحة الدولة.

2- توسع الدولة في المدى المكاني يترافق مع المظاهر الاخرى لتطورها: في ميادين الاديولوجيا، الانتاج، النشاط التجاري، فإن نمو الدولة عملية لاحقة لمختلف مظاهر نمو سكانها، وذلك النمو الذي يجب أن يتم قبل أن تبدأ الدولة في التوسع.

3- تتوسع الدولة من خلال ابتلاعها للوحدات السياسية الثانوية الاهمية. بمعنى ان نمو الدولة يستمر حتى تصل إلى مرحلة الضم، وذلك بإضافة وحدات صغرى إليها.

4- الحدود: هي جهاز متوضع على اطراف الدولة، التي تفهم على انها جهاز حي). بحيث ان الحدود لا تعيّن مدى ضمانة سلامة الدولة فحسب، بل إنها تعيّن أيضا مدى نموها.

5- إن الدولة في نموها تسعى إلى امتصاص الأقسام ذات القيمة السياسية، بحيث عندما تقوم الدولة بتحقيق توسعها في المدى المكاني تحاول الاستيلاء على المناطق الاكثر اهمية بالنسبة لتطورها: الضفاف الأنهار الوديان...و على العموم جميع المناطق الغنية بالثروات الطبيعية الغنية و ذات قيمة حيوية كبرى.

---

[1] - **Roger E. Kasperson & Julian V. Minghi :** *Op.Cit, p28.*

6- الباعث على التوسع يأتي من الخارج، اذ ان الدولة تثار للتوسع على حساب الدولة (الاراضي) ذات الحضارة الادنى. ومعنى هذا أن الدول الكبرى **ذات الثقافة تحمل أفكارها إلى الجماعات البدائية** التي تدفعها زيادة عدد السكان نحو الشعور بالحاجة إلى التوسّع.

7- الميل العام نحو صهر الامم الاضعف و تمثلها يدفع الى المزيد من توسيع المساحة في حركة مستمرة للضم و الانتشار.

وسع راتزل القانون السابع فقال إن (هذا الكوكب الصغير لا يتسع إلا لدولة عظيمه واحدة) وذكر ان استغلال المساحات الكبيرة ستكون أهم ظاهرة سياسيه في القرن العشرين, وأكد على أن تاريخ العالم ستتحكم فيه الدول الكبيرة المساحة كروسيا في أوراسيا والولايات المتحدة في أمريكا الشمالية، ومنذ البدء يمكن تحديد ثلاث مصادر رئيسيّة ذات عمق سياسيّ واقتصادي للصراعات وهي[1]:

أولا، الصراع من أجل السيطرة على الموارد.
ثانيا، الصراع والاقتتال من أجل السيطرة على المناطق الجغرافية.
ثالثا، الصراع والاقتتال من أجل الهيمنة الأيديولوجية والعرقية والوطنية.

ولتوضح العلاقة بين مصادر الصراع الثلاث نقول إن الاستيلاء على الموارد أو التحكم بها يستدعي الاستيلاء على المساحات الجغرافيّة أو التّحكّم بها، ولكي يتم الاستيلاء والتّحكم بالمناطق الجغرافيّة التي تحتوي على الموارد لابد من الثّقافة ومن الإيديولوجية لكي تبرّرا عقلانيّة القتال والكفاح وتشرعنا الحرب والغزو.

أما الصراع من أجل بسط الهيمنة الإيديولوجيّة الإثنية والقوميّة فإنه متجذر في الترويج لهويّة رمزيّة تجعل البلد منتميا **لمجموعة جغرافيّة من الأفكار ويجعل إيمانه بتلك الهويّة يسعى إلى بسط نفوذه** لأنّ الإيديولوجية تصوّره على أنّه الأحسن والأرقى أو بأنّ شعبه شعب مختار أو ينتمي لعرق مقدّس. إلاّ أنّ الصراع الإيديولوجيّ والقومي و الإثني يغطي، في الحقيقة، المصالح الحقيقيّة التي تطمح إليها البلدان عبر الإستراتيجية و الأرضويّة مرتبطة بالهويّة

[1] - **SEMRA :** *op.cit. p34.*

القوميّة التي هي منظومة رمزيّة تشمل الأمجاد الماضية وذاكرة يملؤها تذكر الأراضي القديمة التي كانت تنتمي للدّولة الأمّة والتّأسّف على ضياعها وكذلك التوق إلى استعادتها أو الحصول على أراضي جديدة أو المطالبة بأراضي كانت تابعة للدّولة الأمّة وتقع تحت سيطرة الدّول المجاورة أو غيرها

الحدود لها وظيفة سياسية، فهي تتطوّر تاريخيا وتلعب دورا في المحافظة على الاستقلالية، فالحدود تتطور وتتغير لكن التخوم لا تتغير، وتصبح التّخوم سياسية عندما تشكّل حدودا فعليّة تفصل بين بلدين أو أكثر. وكثيرا ما تكون التّخوم محلّ صراع أيضا إذ قد يُنظر إليها على أنّها حدود طبيعيّة وقد تسعى دولة ما إلى تجاوزها عندما أقلّية إثنية ما تابعة لتلك الدّولة مقيمة فيما وراء التّخوم. في هذه الحال تنظر الدّولة إلى التّخوم في إطار إثنيّ ثقافيّ وتغفل المعايير والعوامل الجغرافية الطبيعية.

كان أدولف هتلر أوّل من استعمل افكار راتزل وعمل على تطبيقها كأساس لتوجهات السّياسة الخارجيّة الالمانية، التي تبنت فكرة المساحة الحيويّة من أجل العيش، في هذه الأثناء كانت ألمانيا تعيش بعد الهزيمة التي منيت بها في الحرب العالمية الأولى في انتكاسة قومية بسبب ما اقتطع منها من أراض كإجراءات عقابية لها من قبل المنتصرين، وتقسيم مستعمراتها بين إنجلترا وفرنسا[1]، وفرض عليها حصار عسكري ومالي, كما تم توظيف نتائج بحث الجغرافيا التاريخية والآثار لتقديم معلومات عن أحقية ألمانيا في أراض وبلدان تبعد عنها مئات الأميال شرق أوربا، و قد تجلى ذلك فيما اتخذه هتلر من خطوات بعد الوصول إلى موقع القرار في ألمانيا.

1-5: الـ (القوة العالمية Weltmacht) و البحر:

مما ترك اثره في نفس راتزل والى حدود ملموسة، تعرفه على امريكا الشمالية التي درسها جيدا، فقد كرس لها كتابين " خرائط مدن الشمال الامريكي و حضاراته" 1874، و " الولايات المتحدة الامريكية الشمالية" 1878-1880، فقد اشار الى الاحساس بالمدى متطور الى ابعد

[1] - **Wickham Steed:** From Frederic the Great to Hitler: *The Consistency of German Aims,‖ International Affairs, Vol. 17, No. 5, 1938, pp. 655-681;*

الحدود[1]، لأنهم كانوا قد وضعوا امام مهمة غزو الاماد (المناطق الخالية)، بينما كانت وراء ظهورهم التجربة السياسية-الجغرافية للتاريخ الأوروبي و بناء على ذلك انجز الامريكيون بطريقة واعية

الشيء الذي كان العالم القديم قد توصل إليه و قد لاحظ راتزل ان الدول الكبرى تعيش خلال تطورها احساسا بالميل الى التوسع الجغرافي في حدوده القصوى، الذي يبلغ تدريجيا مستوى الكرة الارضية.

بناء على ذلك، كان على التطور الجغرافي ان يصل عاجلا ام اجلا الى طوره القاراتي. وباستخدام هذا المبدأ المستنبط من التجربة الامريكية للتوحيد السياسي و الاستراتيجي للآماد القارية مطبقا على ألمانيا كان راتزل قد تنبأ لها بمصير الدولة العظمى القارية.

كما انه كان سباقا الى موضوع اخر من موضوعات الجيوبوليتيكا، ففي كتابه " **البحر مصدر قوة الشعوب**" 1900، اشار الى ضرورة ان تقوم كل دولة عظمى بتطوير قواتها البحرية الحربية. و ما حققته بعض الدول كإنجلترا و إسبانيا و هولندا و ما الى ذلك بطريقة عفوية – يجب على الدول البرية العظمى ان تحققه بوعيها، فتطوير الاسطول هو الشرط اللازم للاقتراب من وضع (Weltmacht).[2]، البحر و الدولة العالمية العظمى، متلازمان لدى راتزل على الرغم من ان هذا الموضوع سيكتسب لدا الخبراء الجيوبوليتيكا المتأخرين (ماهان، ماكندر، هاوسهوفر، و شميدت بشكل خاص) صيغته النهائية و مركزيته.

---

[1]- الكسندر دوغين: مرجع سابق، ص 79.

[2] **- Mark BASSIN : Imperialism and the nation state in Friedrich Ratzel's Political Goegraphy,** *Department of Geography, University of Wisconsin, USA, Vol1, 1987, p 476.*

المحاضرة الثالثة

المدرسة البريطانية

هالفورد جون ماكيندر- Halford John Makinder

المحور الجغرافي للتاريخ
The Geographical Pivot of History

المدرسة البريطانية

هالفورد جون ماكيندر Halford John Makinder

المحور الجغرافي للتاريخ

The Geographical Pivot of History

1-2 سيرة العالم و السياسي:

هالفورد ج. ماكندر- Halford John Makinder (1861-1947)، يعتبر الشخصية الاكثر تألقا بين علماء الاستراتيجيا و الجيوبوليتيكا، فبعد ان انهى دراساته في علم الجغرافيا، اخذ منذ عام 1887 يعمل في التدريس في اوكسفورد الى ان عين مديرا للمدرسة الاقتصادية في لندن، و اصبح بين 1910-1922 عضو مجلس العموم، و كان بين 1919-1920 الموفد البريطاني الى روسيا الجنوبية.[1]

يشتهر ماكيندر بمقامه الرفيع في عالم السياسية الانجليزية التي ترك تأثيره العميق على توجهاتها الدولية، وبكونه فضلا على ذلك، صاحب المخطط الأكثر جرأة و الاكثر ثورية بين المخططات التأويل السياسي لتاريخ العالم، فقد تميز على مدار نصف قرن تقريبا بمشاركته الفعالة في بناء الاستراتيجية الانجليزية المتعلقة بالقضايا الدولية على اساس من تأويله للتاريخ السياسي و الجغرافي للعالم، مما زاد بأهمية الجيوبوليتيكا و فعاليتها كمنظومة علمية.

2-2 المحور الجغرافي للتاريخ و نظرية قلب العالم:

كان أول اعمال ماكيندر و أهمها تقريره حول (المحور الجغرافي للتاريخ)، الذي نشر عام 1904في (المجلة الجغرافية) وفيه عرض أساس رؤيته للتاريخ و الجغرافيا. تلك الرؤية التي طورها في أعماله التي تلت، وكان أول من وضع تصورا موسعا في كيفية التفكير في العالم كوحدة سياسية واحدة قابلة للتحكم، فقد قدم ماكندر مفهوم **قلب العالم The Heart – Land**ليشرح لبريطانيا الحاجة الماسة إلى دراسة الانتشار و التوسع الروسي باتجاه الخليج

---

[1]- الكسندر دوغين: مرجع سابق، ص 85.

العربي، في وقت كانت روسيا تعزز بشدة نظام القوة البرية للوقوف في وجه بريطانيا كقوة بحرية، وهذا يمنح مزايا حاسمة في جزيرة العالم.

يؤكد ماكندر على أن الموقع الجيوبولتيكي الأفضل لكل دولة هو الوضع المتوسط المركزي. والمركزية مفهوم نسبي و يمكنها أن تتبدل مع كل سياق جغرافي محدد، إلا أن القارة الأوراسية من وجهة النظر الكونية تقع في مركز العالم و يقع في مركزها (قلب العالم)، فهو عبارة هو تجمع الكتلة القارية الأوراسية. و هذا هو رأس الجسر الجغرافي الأكثر ملاءمة للسيادة على العالم بأسره.

الـ Heart Land هي المنطقة الأكثر أهمية في السياق الأعم ضمن حدود الجزيرة العالمية. ويدخل ماكيندر في الجزيرة العالمية آسيا و أفريقيا و أوروبا.[1]، و على هذا يقوم ماكيندر بتدريج **المدى الكوني** عبر **نظام الدوائر المتحدة المركز**، و في الوسط بالذات يقوم المحور الجغرافي للتاريخ أو (المنطقية المحورية) (Pivote area)، و ذلك الواقع (المحوري) يسمى الـ Heart Land أي (القلب الأرض).

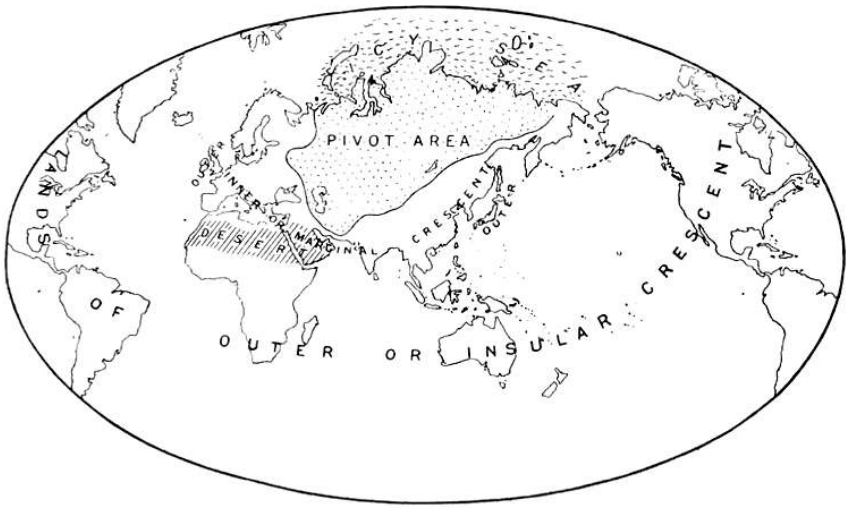

[1] - **SEMRA :** *op.cit. p30.*

نظرية قلب العالم: الحدود و المميزات.

تعتبر نظرية قلب الأرض لماكندر حساسة للغاية، فقد حملت في طياتها مفاتيح السيطرة على العالم، بالسيطرة على قلبه، فكما ان الإنسان لا يستطيع العيش بدون قلب، كذلك العالم، فأساس السيطرة عليه لا يمكن إلا بالسيطرة على قلبه، باعتبار أن التاريخ السياسي هو صراع مستمر للسيطرة على العالم بين القوى القارية البرية والقوى البحرية، وإذا تمكنت قوة برية من السيطرة على العالم فستهزم القوى البحرية بالضرورة.

قدم ماكندر من خلال هذه النظرية المختصة بدراسة مجال صراع القوى العالمية، التي تنظر إلى العالم نظرة كونية، و ربط بين المساحات الكبرى والموقع المكاني، فقد شكلت هذه النظرية البوصلة الحقيقية بالنسبة للسياسات الأوروبية بعد الحرب العالمية الأولى، والإستراتيجية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، بحيث وجد أن مسطحات الماء تشغل ثلاثة أرباع مساحة العالم، بينما اليابسة تشغل ربع مساحتها فقط، كما وجد أن قارات العالم القديم الثلاث (آسيا وأفريقيا وأوروبا) تشغل ثلثي مساحة اليابسة الكلية، ويسكن هذه القارات الثلاث نحو 90 % من سكان المعمورة، بينما لا يسكن القارات الأخرى سوى 10 %، و اطلق تسمية " جزيرة العالم The World Island " على قارات العالم القديم الثلاث و اعتبرها قارة واحدة، كما رأى بأن[1]:

1- من يتحكم بمنطقة القلب يتحكم في جزيرة العالم.
2- من يسيطر على جزيرة العالم يسود العالم كله.
3- الماء يشغل ثلاثة أرباع الكرة الأرضية واليابسة تشغل الربع المتبقي. قارات العالم القديم الثلاث (آسيا إفريقيا، أوروبا) تشكل ثلث مساحة اليابسة، ويسكنها تسعون في المائة من سكان العالم.
4- أن أي قوة بحرية لن تقف في وجه القوة البرية، بحكم أن الأخيرة ستكون مسيطرة على هوامش الجزيرة العالمية بما في ذلك القواعد البحرية.

[1] - **SEMRA :** *op.cit. p32.*

5- أن القوة البرية بما لها من إمكانات بشرية وموارد طبيعية ستكون في مركز أقوى يمكنها من غزو أية قارة أخرى و فرض السيطرة.

6- الدولة التي تسيطر على قلب العالم ستكون هي القوة العظمى، لأنها ستكون بمنأى عن أي هجوم باستثناء الغرب، تتمتع هذه الدولة بأمانٍ كاف، يجعلها تستغل مواردها وإمكاناتها بشكل كبير بحيث تصبح دولة متقدمة في كافة المجالات وتتحول إلى قوة اقتصادية كبيرة، كما تستطيع بناء قوة عسكرية كبيرة قادرة على الزحف في كل الاتجاهات.

بالتالي يرى ماكندر أن "السيطرة على جزيرة العالم لن تتحقق من دون السيطرة على قلب هذا العالم."

الهلال الدخلي و الهلال الخارجي المحيط بقلب العالم:

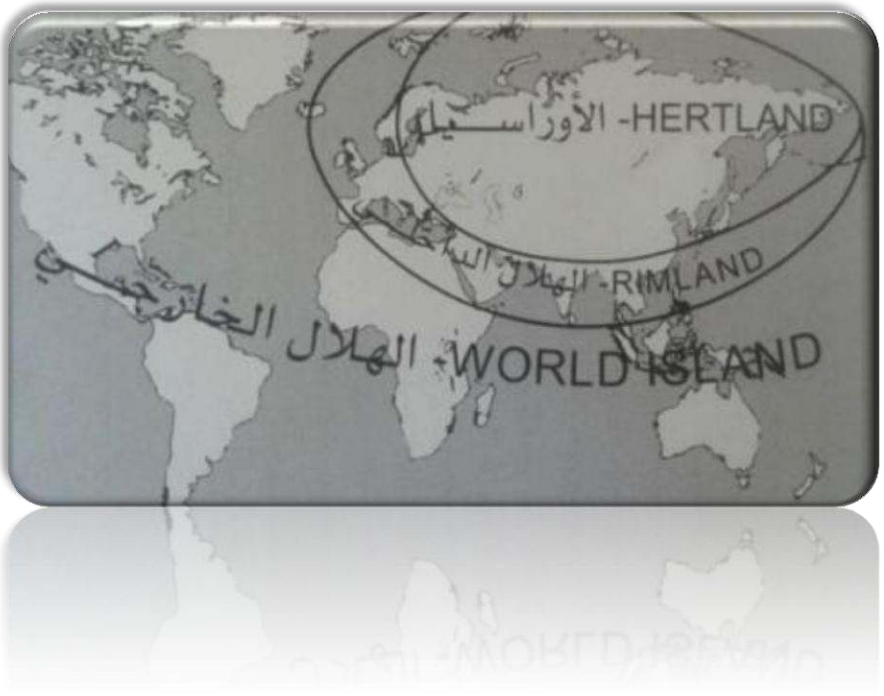

الهلال الداخلي او الحدي (Inter - Crescent):

هو الطوق المتطابق مع مجالات الحافة في القارة الأوراسية، يمثل وفقا لنظرية ماكيندر منطقة حضارة و ثقافة، و ذات تطور اكثر كثافة، و هو ما يتفق و الفرضية القائلة بان الحضارة ظهرت لأول مرة على ضفاف الانهار و البحار. ينبغي الاشارة الى ان هذه النظرية تمثل لحظة

جوهرية بالنسبة لجميع النظم الجيوبولتيكية، فالتقاطع بين المدارات المائية و البرية يمثل عاملا أساسيا في تاريخ الشعوب و الدول.[1]

يتكون هذا الهلال من: (المناطق الساحلية الأوروبية غرب جبال الأورال، شبه الجزيرة العربية والصحراء العربية الكبرى، الهند وجنوب شرق و غرب آسيا، الهند و جزء من الصين)، يتميز هذا الهلال بأنهاره الصالحة للملاحة و التجارة، يقع وراء قلب العالم، وينفصل عنه بمجموعة من العوائق الطبيعية.

الهلال الخارجي (Outre - Crescent):

الهلال الخارجي أو الجزيري هي المنطقة الخارجية بصيغة كلية (من الناحية الجغرافية والثقافية) بالنسبة للجزيرة العالمية. الهلال الخارجي، يتكون من الأمريكيتين، كندا وجنوب الصحراء العربية الكبرى، جنوب إفريقيا أستراليا وبريطانيا واليابان، ويشكل هذا الهلال نطاق القوة البحرية الضخمة، كما يرى ماكيندر ان مسيرة التاريخ محكومه بالعمليات التالية: من مركز القلب وباتجاه الاطراف يجري الضغط المستمر لمن يسمون بـ "قراصنة البر "، و هو ما تجسد بالصورة الاكثر وضوحا في الغزوات المنغوليه، إلا ان الصقالبه* الهون** و اللان*** وسواهم سبقوهم الى ذلك، والحضارات التي تنسب من المحور الجغرافي للتاريخ.

ومن الخارج مناطق " الهلال الجزيري " يتحقق ضغط ما يسمى بـ" **قراصنه البحر**" او " **سكان الجزر** " على الجزيرة العالمية، الحملات الاستعمارية المنطلقه من خارج المركز الاوراسي والتي تحاول ان توازن فيهما بين الدفعات البريه المنطلقه من التخوم الداخليه للقارة، و من مميزات حضارة " الهلال الخارجي " الطابع التجاري و"الصيغ الديمقراطيه الغربية" للسياسة. وفي العهود القديمه كانت اثينا وقرطاج تتسمان بمثل هذا الطابع.

يرى ماكيندر أن المهمة الأولى للجيوبوليتيكا الأنجلوساكسونية هي الحيلولة دون تشكل الاستراتيجي القاري حول (قلب العالم)، و عليه فان استراتيجية قوى الهلال الخارجي تتمثل في انتزاع أكبر قدر ممكن من الآماد الشاطئية من الـ Heart land ووضعها تحت سيطرة " الحضارة الجزيرية ".

---

[1]- الكسندر دوغين: مرجع سابق، ص 85.

من الناحية الجغرافيه يدور التاريخ - وفقا لنظرية ماكيندر - حول المركز القاري، وتظهر تجليات هذا التاريخ بأوضح صوره في مجال الهلال الداخلي بينما يخيم ضمن الـ (Heart Land) القدم المتحجر (التقليدية)، ويسود الهلال الخارجي نوعا من **الفوضى الحضارية.**

ماكندر لم يكن يبني الفرضيات النظرية فقط، بل وكان يشارك بفعالية في تنظيم دعم (**الأنتانتا***) الدولي للحركة البيضاء التي رأى فيها توجها أطلسيا يرمي إلى إضعاف قوة المشاعر المؤيدة للألمان لدى البلشفيك- الأوراسيين، فكان بصفته الشخصية يقدم نصائحه لقادة العمل الأبيض محاولا أن يتحصل على أكبر قدر من الدعم من حكومة إنجلترا. فكأنما كان يشهد بعينين ومتنبئتين، ليس صلح " بريتس" فقط، بل و ميثاق " روبينتروب – مولوتوف أيضا. في سنة 1919 خط في كتاب " المثل الديمقراطية و الواقع": (ما الذي سيحدث لقوى البحر فيما لو قامت القارة العظيمة بالتوحد سياسيا ذات يوم لتصبح اساس الارمادا التي لا تقهر؟).

من غير الصعب أن نفهم أن ماكيندر بالذات قد عزز الجيوبوليتيكا الأنجلوساكسونية، التي أصبحت بعد نصف قرن جيوبوليتيكا الولايات المتحدة الأمريكية و حلف الشمال الأطلسي بالتوجه الأساسي و هو: الحيلولة بأي وسيلة مهما كانت دون إمكانية بناء المعسكر الأوراسي، دون بناء الحلف الإستراتيجي بين روسيا و ألمانيا، دون التدعيم الجيوبوليتيكي للـ Heart Land و توسعه.

---

* **الصقالبة**: تسمية أطلقت على الرقيق ذوو الأصول الروسية، وقد أطلِق هذا الاسم أيضا على من يشبه الرُوس في بياض بشرتهم المائل إلى الحُمرة، كما ذُكِر أنّ هنالك صقالبة رُوس، وصقالبة بُلغار.

** **الهون** هم مجموعة من الرعاة الرحل، عاشوا في آسيا الوسطى، أوروبا الشرقية والقوقاز، بين القرنين الرابع والسادس الميلادي، الذين ظهروا من شرق نهر الڤولغا وهاجروا إلى أوروبا حوالي 370 م، وقاموا ببناء إمبراطورية ضخمة في أوروبا. ربما كانوا من نسل القبائل المجاورة لشمال الصين، كما يحتمل أن يكونوا أصل القبائل التركية في أوروبا.

*** **اللان** أو (اللاني) كانت شعوب رعوية بدوية في العصر العتيق. عاش في الصحراء الممتدة من منابع نهر سيحون في دولة قيرغيزيا الى منابع نهر الدون غرب روسيا.

بين هذين العاملين القطبيين الحضاريين-الجغرافيين تقع منطقه الهلال الداخلي التي كانت بسبب ازدواجيتها **وتعرضها الدائم للتأثيرات الثقافيه** المتناقضة الاكثر نشاطا، فأصبحت بفضل موقعها بؤره التطوير الافضل للحضارة.

* **أنتانتا** كتلة سياسية عسكرية تأسست قبل الحرب العالمية الأولى بقليل وتتكون من فرنسا والإمبراطورية البريطانية والإمبراطورية الروسية. وانضمت رومانيا أيضًا إلى أنتانتا في 28 أغسطس 1916. وقد انتصرت الكتلة في الحرب العالمية الأولى ، باستثناء روسيا التي خرجت من الحرب عام 1917.

المحاضرة الرابعة

المدرسة الفرنسية

-الامكانية الجغرافية- Possibilisme -

ب.م.ج فيدال دي لابلانش - Paul Marie Joseph Vidal de La Blache

المدرسة الفرنسية

ب.م فيدال دي لابلانش - Paul Marie Joseph Vidal de La Blache

الامكانية الجغرافية

"Possibilisme "

- لوحة جغرافية فرنسا:

يعد فيدال دي لابلانش (01/22/1845- 05/04/1918) مؤسس المدرسة الجغرافية الفرنسية، كان ذلك الجغرافي المتخصص منجذبا الى جغرافية " راتزل" "السياسية"، و كان يبني نظرياته معتمدا على ذلك المصدر، على الرغم من ان الكثير من افاق المدرسة الجيوبوليتيكية الالمانية كانت عرضة لنقده الشديد.

كان فيدال دي لابلانش أول جغرافي شغل منصب أستاذ الجغرافيا بجامعة السوربون عام 1898. وقد نشر افكاره و آرائه في مجلة حوليات الجغرافيا. كما كان قد بدأ في تصنيف كتاب بعنوان "**الجغرافيا البشرية**"، إلا أنه تُوفي قبل إتمامه فقام بإكماله زوج ابنته إيمانويل دي مارتون فيما بعد. ولابلاش صاحب نظرة جغرافية خاصة، تُوازن بين الجغرافيا الطبيعية والبشرية وتوصف هذه النظرة بالمدرسة الفيدرالية، فالبحوث التي أجرها عن العلاقات المتبادلة بين الناس وبيئتهم المادية جعلت منه مؤسس الجغرافية البشرية الفرنسية، بإقراره بأن دور البشر في محيطهم ليس سلبيا أو ساكنا بل باستطاعتهم أن يغيروا ويحسنوا بيئتهم من أجل تحقيق أهدافهم وغاياتهم الخاصة.

وفي كتابه " **لوحة جغرافية فرنسا**" (1903)، يتوجه نحو نظرية التربة ذات الاهمية المميزة بالنسبة لعلماء الجيوبوليتيكا الالمان بقوله:

" العلاقة بين التربة و الانسان موسومة في فرنسا بالطابع المتميز للقدم و التواصل...، فكثيرا ما يستوقف انتباهنا ان الناس في بلادنا يعيشون في الاماكن نفسها منذ اقدم العصور،

فالينابيع والصخور الكلسية اجتذبت البشر منذ البداية كاماكن ملائمة للعيش و الاحتماء، الانسان عندنا تلميذ التربة الوفي، ودراسة التربة تساعد على توضيح طباع السكان و امزجتهم و اولوياتهم." قوله.

لكن بغض النظر عن هذه مثل هذه النظرة - الالمانية تماما - الى العامل الجغرافي و **تأثيره على الثقافة**، فقد كان فيدال دي لابلانش يرى ان راتزل و اتباعه يبالغون بشكل واضح في تقييم العامل الطبيعي اذ يعدونه عاملا محددا.

ذلك ان الانسان في رأي لابلانش يعد بدوره " عاملا جغرافيا مهما" إلا انه فوق ذلك " مميز بالمبادرة" ، فهو ليس جزءا من الديكور فقط، بل هو الممثل الاهم في المسرحية، فجعل بذلك من الجغرافيا البشرية اهم جزء لفهم الجغرافيا السياسية.

البوسيبيليزم (الامكانية):

هذا الانتقاد للتهويل المتعاظم للعامل المكاني عند راتزيل دفع فيدال دي لابلانش الى طرح نظرية جيوبوليتيكية خاصة هي " البوسيبيليزم"، من كلمة (Possible) و تعني (الممكن)، و للتاريخ السياسي، انطلاقا من هذه النظرية افقان – مكاني (جغرافي) و زماني (تاريخي)، و ينعكس العامل الجغرافي في الوسط المحيط، و التاريخي في الانسان نفسه (صاحب المبادرة)، وقد رأى فيدال دي لابلانش ان خطا "الجغرافيين السياسيين" الالمان يعود الى كونهم يعدون السطح الارضي عاملا حاسما من التاريخ السياسي للدول، وبهذا ينتقض برأي دي لابلانش على عاملين: الحرية الإنسانية و العامل التاريخي، اما هو فيقترح النظر الى الوضع المكاني الجغرافي على انه "احتمال" او " إمكانية يمكن ان تفعل لتغدو عاملا سياسيا حقيقيا، ويمكن ان لا تفعل، و هذا ما يرتبط الى حدود بعيدة بالعامل الذاتي – الانسان ساكن ذلك المكان.

وقد اخذت هذه النظرية في الحسبان من طرف علماء مدرسة هاوسهوفر الجيوبوليتيكية الالمان الذين عدوا انتقاد دي لابلانش راجحا مهما، وقد تنامى في هذه الحالة **دور العامل الاثني او العرقي اثناء النظر الى التاريخ السياسي للدول**، و تناغم ذلك مع ظهور الاشكالية العرقية في المانيا فترة العشرينيات.

إذا يعد فيدال رائد الامكانية الجغرافية، التي ترى بان الانسان ليس عبدا لبيئته كما تنادي المدرسة الحتمية، حيث انه يختار من بين امكانياتها ما يشاء تبعا لمستواه الحضاري، و لذا فان انماط النشاط الاقتصادي على سطح الارض هي نتاج تفكير الانسان و جهوده و حركته الدائبة في اطار بيئته الطبيعية.

فقد كتب فيدال كتاب متميز في الجغرافيا البشرية لفرنسا نشر عام 1911، شرح فيه بالتفصيل جغرافية كل الاقاليم الفرنسية و بين كيف ان المظهر الارضي يتاثر عبر الزمن نتيجة الجهد البشري الذي لعب دورا هاما في تاريخ فرنسا و اوروبا باسرها، كما راى بان الجغرافيا البشرية هي دراسة المجتمعات الانسانية دراسة مقارنة، و اتجه الى دراسة الفروقات بين تلك المجتمعات في ضوء تفسير و تحليل علاقتها بالبيئة.

و في كتابه عن مبادئ الجغرافيا البشرية 1925، درس فيدال كثافة وتوزيع السكان و اشكال العمران ووسائل الانتاج و المواصلات، وذكر بان اهمية الدراسة يمكن تناولها لسببين جوهريين، بحيث يرج السبب الاول الى التوسع في المعارف البشرية الجغرافية حتى نهاية القرن التاسع عشر، وثانيهما يرجع الى الترابط المعقد بين الانسان و بيئته و من ثم توطد فكرة الارتباط البيئي-البشري، و قد تجلى ذلك بزضوع في الافكار الجغرافية الحديثة التي تجمع على ان ظواهر الجغرافيا البشرية ترتبط في كل مكان بالبيئة و عناصرها الطبيعية، و هذا ما يؤكد عند فيدال مبدأ الوحدة الارضية كمبدأ اساسي في الجغرافيا. واستقبلت "البوسيبيليزم" دي لابلانش من طرف غالبية المدارس الجيوبوليتيكية على انها تصحيح للحتمية الجغرافية الصارمة لدى من سبق من المؤلفين الجيوبوليتيكيين.

فرنسا من اجل القوة البحرية:

كرس فيدال اهتماما خاصا لألمانيا التي كانت الخصم السياسي الاول لفرنسا في ذلك الوقت، وكان يرى ان المانيا هي الدولة الاوروبية الوحيدة القوية التي يتعرض توسيعها الجيوبوليتيكي بشكل مقصود لحصار الدول الاوروبية المتطورة الأخرى فإذا كانت لانجلترا و فرنسا مستعمراتهما الواسعة في افريقيا وفي العالم كله، وإذا كان بمقدور الولايات المتحدة ان تتحرك بحرية تقريبا نحو الجنوب والشمال، و اذا كان لروسيا آسيا، فان المانيا مخنوقة من

كافة الجهات ولا تملك متنفسا لطاقاتها، وقد رأى دي لابلانش في ذلك اكبر تهديد للسلم في أوروبا و رأى انه من الضروري العمل بكل الوسائل من اجل اضعاف تطور هذا الجار الخطير.

هذه النظرة الى المانيا جرت وراءها – و بطريقة منطقية التحديد الجيوبوليتيكي لفرنسا على انها تدخل في عداد الجبهة المشتركة " للقوة البحرية " الموجهة ضد الدول القارية، ولم يكن موقف دي لابلانش فريدا بين مواقف علماء الجيوبوليتيكا الفرنسيين، فبصورة موازية لذلك ظهر في فرنسا اتجاه معاكس موال للألمان يمثله الاميرال لافال و الجنرال ديغول.

في سنة 1917 ينشر فيدال كتاب " فرنسا الشرقية" ويبرهن فيه على العودة الاصيلة لمقاطعتي الالزاس و اللورين الى فرنسا، و لا شرعية الدعاوى الالمانية فيهما، وهو في الوقت نفسه يستدعي الثورة الفرنسية ويرى في تقديراتها اليعقوبية * تعبيرا عن التوجهات الجيوبوليتيكية لدى الشعب الفرنسي الطامح الى وحدة و مركزية دولته عبر تكامل جغرافي، اما الليبرالية السياسية فيفسرها ايضا بتعلق البشر بالتربة و رغبتهم الطبيعية بجعلها ملكية خاصة، وعلى هذا فان فيدال دي لابلانش يقرن بطريقة خاصة مظاهر الوقائع الجيوبوليتيكية بالوقائع الايديولوجية: فالسياسة المكانية لاوروبا الغربية (فرنسا) مرتبطة ارتباطا وثيقا بـ " الديمقراطية " و " الليبرالية "، وعبر هذه المعادلة يسهل التقريب بين النظرات الجيوبوليتيكية لدى لابلانش مع ماكيندر و ماهان، اما اختيار لابلانش "للتوجه البحري" فيستجيب بصورة خاصة لهذا المخطط.

كما ظهرت عدت تحديات واجهت القراءة الفيدالية للجغرافيا، بحيث ظهر انقسام عملي بين علم الجغرافيا الطبيعية و الجغرافيا البشرية، كما ظهر في اواخر القرن العشرون محاولات للتجديد المغرفي في هذا الحقل من الدراسة لمجاوزة المناهج التي قدمها فيدال و التي من اهمها دعوته الى اجتناب البعد السياسي في الجغرافيا.

---

* للاطلاع اكثر ارجع الى تاريخ نادي/جمعية اليعاقبة الفرنسية 1792

مدرسة ايف لاكوست: الجيوسياسة التطبيقية " الجيوسياسة الداخلية "

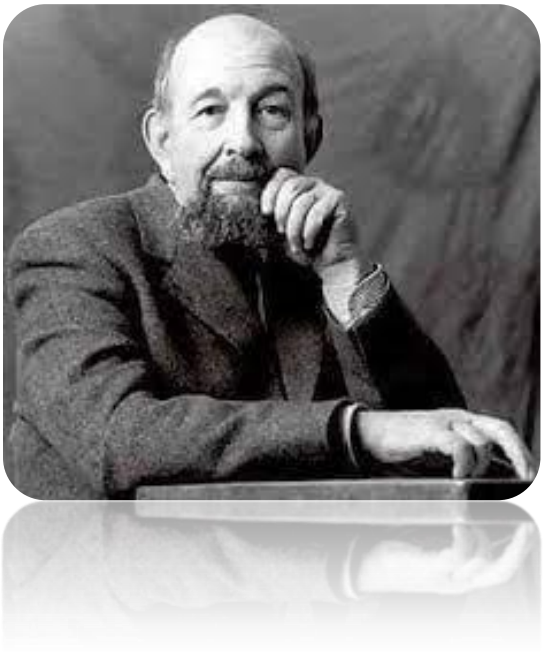

ترتبط اليقظة الجيوسياسية في اوروبا بنشاط العالم الجغرافي ايف لاكوست- **Yves Lacoste** (1929/09/07)، الذي انشا عام 1976 مجلة "هيرودوت"، حيث صارت النصوص الجيوسياسية تصدر لاول مرة وبصورة دائمة في اوروبا ما بعد الحرب، وينبغي الاشارة بشكل خاص الى ان رجلا قريبا من الاوساط السياسية اليسارية كان يقف وراء هذا العمل، بينما لم تكن تهتم بالجيوسياسة في اوروبا في تلك الفترة الا الاوساط القومية اليمينية الهامشية الى حد كبير.

وفي عام 1983 تدخل مجلة "هيرودوت" في تسميتها عنوانا ثانويا هو "مجلة الجغرافيا والجيوبوليتيكا "، فتبدا منذ ذلك التاريخ الحياة الثانية للجيوسياسية و التي تم الاعتراف بها رسميا كمنظومة علمية سياسية خاصة تساعد على التحليل المتظافر الجوانب و الاوظاع.

حاول ايف لاكوست ان يكيف المبادئ الجيوسياسية مع الوضع المعاصر، فما كان يتفق و"المقاربة العضوية" الخاصة بالمدرسة الالمانية، ولا مع الاراء الجيوسياسية الالية النفعية

المتعلقة بتطبيقية منظري "القوة البحرية"، وجميع التصورات الجيوسياسية ما كانت من وجهة نظره تعمل الا "**لتحديد الطموحات التنافسية للهيئات السلطوية المتعلقة بمناطق محددة و بالبشر الذين يقطنونها**"، ويتعلق هذا بالعلاقات الدولية مثلما يتعلق بالقضايا المحلية الضيقة الابعاد.

فالجيوسياسةتصبح لدى لاكوست مجرد اداة لتحليل حالة محددة، وجميع النظريات الشمولية التي تتكون هذه المنظومة على اساسها تسفْ الى مستوى المفاهيم النسبية و المشروطة تاريخا. وعلى هذا يقترح لاكوست تعريفا محددا بصفة كلية للجيوسياسة، بل، من الناحية الواقعية علما جديدا، انه لا يعود بعد ذلك تفكيرا قاريا يقوم على الثنائية الحضارية-الجغرافية الكونية الراسخة و المقترنة بالنظم الايديولوجية الشمولية، بل يغدو استخداما لبعض الانماط المنهجية التي كانت قائمة لدى علماء الجيوسياسة التقليديين في سياقها العام، ولكن تؤخذ في هذه الحالة كشيء مستقل ذاته، "**لا عولمة الجيوسياسة**"، الوصول الى مستوى المنهج التحليلي الضيق. وسميت بـ "الجيوبوليتيكا الداخلية –La Geopolitique Intern"، لان كل ما فيها تناول القضايا المحلية.

الجيوسياسة الالكترونية و "الميديا كراتيا":

من صور الجيوسياسة الداخلية تلك المنهجية الخاصة التي صيغت لدراسة العلاقات بين الميول السياسية للسكان و الارض التي يعيشون فوقها، وكان المبشر بهذه النظرية الفرنسي "اندريه زيغفريد (1875-1959) السياسي و الجغرافي، واليه تعود المحاولات الاولى لدراسات الجيوسياسة الداخلية في تطبيقها على الميول السياسية لهذه الاصقاع او تلك، و اليه تعود الصياغات الاولى للقوانين المكنونة في صلب "الجيوسياسة الالكترونية" لمدرسة ايف لاكوست الجديدة.

وقد كتب "زيغفريد": "لكل حزب، او بكلم ادق، لكل اتجاه سياسي ارضه المفضلة، ومن اليسير ان نلاحظ انه مثلما توجد المناطق الجيوسياسية او الاقتصادية، توجد هناك ايضا مناطق سياسية، ويمكن للمناخ السياسي ان يخضع للدراسة كالمناخ الطبيعي، وقد لاحظت انه على الرغم من الظاهرية الخداعة فان الراي العام يحافظ على استمرارية معينة طبقا للمناطق،

وتحت اللوحة الدائمة التحول للانتخابات السياسية يمكننا متابعة التوجهات الاكثر عمقا و ديمومة، والتي تعبر عن الحرارة الجهوية".

حدد ايف لاكوست مهمته في ان يعزز الجيوسياسة بالمعايير الاكثر جدة و الخاصة بمجتمع المعلومات، اما الاهمية الاعظم بين النظم المعلوماتية التي تترك اثرها على العمليات الجيوسياسية فتملكها وسائل الاعلام الجماهيرية و التلفزيون من بينها بشكل خاص، و في العالم المعاصر تسيطر لا الطريقة البنيوية–العقلانية بل الق "الشخصية" (الايمايج)، فالنظرات السياسية والايديولوجية

والجيوسياسية تصاغ لدى جزء كبير من المجتمع، وبطريقة استثنائية، على اساس برامج البث التلفزيوني و "الصورة الشخصية" الوسطية تمثل التركيب الذري الذي تتركز فيه دفعة واحدة عدة رؤى –الاثنية، الثقافية، الايديولوجية و السياسية، و النوعية التركيبية "للايمايج" تقربه من تلك الخصائص التي تعتمدها الجيوسياسة بطريقة تقليدية. و على الريبورتاج الاعلامي المبثوث من نقطة حارة، ان يقدم في فترة بالغة القصر الصورة الجغرافية التاريخية و الدينية و الاقتصادية – الثقافية للمنطقة، كما " عليه ان يوزع نقاط تركيزه وفقا للهدف السياسي المعطى بشكل محدد، فوسائل الاعلام لا تلعب في المجتمع المعاصر ذلك الدور المساعد الذي كان لها في السابق، بل تغدو العامل الجيوسياسي المستقل الاوفر قوة والقادر على ترك تاثير قوي على المصائر التاريخية للشعوب.

المحاضرة الخامسة

المدرسة الامريكية
"القوة البحرية"

ألفريد ثاير ماهان - Alfred Thayer Mahan
(1914-1840)

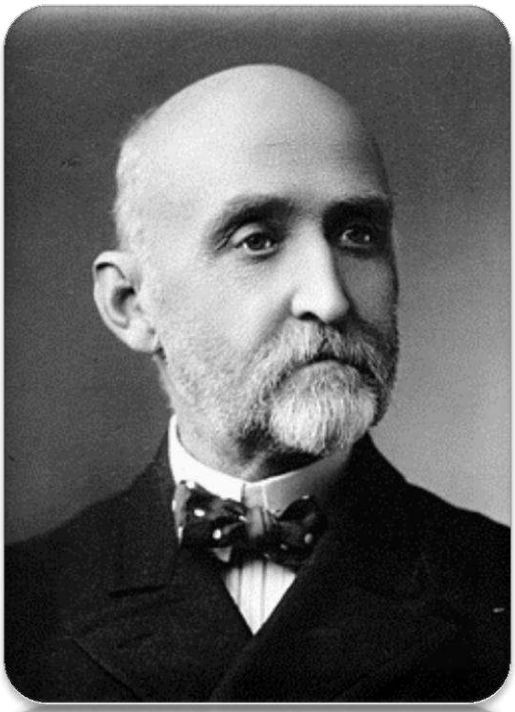

1- افكار ماهان حول القوة البحرية:

لم يكن الامريكي الفرد ثاير ماهان (1840-1914) - خلافا لراتزل و ماكيندر- عالما اكثر منه عسكريا، و لم يستخدم مصطلح " جيوبوليتيكا"، إلا ان منهج تحليله و النتائج التي توصل اليه تتطابق مع الرؤية الجيبوليتيكية الصرفة.

قام ضابط الـ Union Navy الامريكي منذ 1885 بتدريس تاريخ الاسطول الحربي في " كلية الحرب البحرية" Naval War Collage، في تيويورك (رود-ايلاند)، و في عام 1890 نشر كتابه الاول " **القوة البحرية في التاريخ – 1660-1789**"، و الذي امسى فور صدوره نصا كلاسيكيا في الاستراتيجية العسكرية، و توالت بعد ذلك مع بعض فترات الانقطاع اعماله الأخرى:

- **تأثير القوة البحرية على الثورة الفرنسية و الامبراطورية 1793-1812-**
- **اهتمام امريكا بالقوة البحرية في الحاضر و المستقبل**
- **مشكلة اسيا و تأثيرها على السياسة الدولية**
- **القوة البحرية و علاقتها بالحرب**

وقد كرست جميع كتبه تقريبا لموضوع واحد، موضوع " **القوة البحرية**" "**Sea Power**"، فصار اسم ماهان مرادفا لهذا المصطلح.

لم يكن ماهان منظرا للإستراتيجية العسكرية فحسب، بل و شارك بفعالية في السياسة، وترك تأثيرا كبيرا بصفة خاصة على السياسيين من امثال هنري كابوت لودج و تيودور روزفلت، وفضلا عن ذلك فإننا اذا ما القينا بنظرنا الى ماضي الاستراتيجية العسكرية الامريكية على مدار القرن العشرين بطوله رأيناها تقوم على تطابق مباشر مع افكار ماهان، بضاف الى ذلك ان هذه الاستراتيجية اذا لم تحمل للولايات المتحدة الامريكية النجاح الملموس في الحرب العالمية الأولى فان تأثيرها كان واضحا في الحرب العالمية الثانية، اما الانتصار في الحرب الباردة مع الاتحاد السوفياتي فقد عزز نجاح استراتيجية " **القوة البحرية**".

2- الحضارة البحرية = حضارة تجارية

من الملاحظ أنه عندما يتحدث ماهان عن القوة البحرية فإنه يقصد بذلك القوة العسكرية التي يمكن نقلها عن طريق البحر لمكان ما من الاقاليم البرية في العالم، كما أوضح أن قارات العالم الشمالية هي مفتاح السيطرة على العالم، وأن قناتي السويس و بنما تعتبران الحدود الجغرافية لعالم الشمال المتميز بتكاثف الحركة التجارية والسياسية العالمية، واعتبر أوراسيا أهم جزء منه، وأن روسيا تحتل موقعا أرضيا مسيطرا في آسيا وهو موقع منيع لا يمكن الهجوم عليه، إلا أنه لها مساوئ أهمها أنها كتلة قارية محبوسة .

وبما أنه يرى أن في القوة البحرية مفتاح السيطرة العالمية فإن بإمكان كل من بريطانيا وأمريكا أن يتحالفا للسيطرة وتحقيق السيادة العالمية، وبذلك يكون ماهان قد توصل لنتائج عكسية لما تنبأ به ماكيندر، ولعل ذلك مرجعه إلى شخص ماهان كرجل بحري يؤمن باستراتيجية التفوق البحري، يرى ماهان ان التجارة هي الاداة الاولى للسياسة، و على الاعمال العسكرية ان تقتصر على تامين الشروط الافضل لإقامة الحضارة التجارية الكونية، و هو يرى الدورة الاقتصادية في نقاط ثلاث:

1- **الانتاج** (تبادل السلع و الخدمات عبر الطرق المائية)
2- **الملاحة** (التي تحقق هذا التبادل)
3- **المستعمرات** (التي تحقق تداول السلع على المستوى العالمي)

ويرى ماهان ان تحليل موقف الدولة و وضعها الجيوبوليتيكي يجب ان يتم على اساس بنود ستة:

1- **الموقع الجغرافي للدولة**: انفتاحها على البحار و امكانية اجراء الاتصالات البحرية مع الدول الاخرى و مدى امتداد الحدود البرية، ما يساعد على السيطرة على الطرق التجارية البحرية المهمة و القدرة على بسط السيطرة على المناطق الهامة إستراتيجيا وقدرة الدولة على تهديد اراضي العدو بأسطولها، فالنشاط العسكري لأي بلد بحري يرتبط ارتباطا مباشر بنوع البحر المسطح المائي الذي يقع عليه، مفتوحا ام مغلقا، فالأقطار الواقعة في بحر البلطيق تتأثر من الناحيتين التجارية والعسكرية، فإذا

ماسيطرت دولة اجنبية على مداخلهن وهذا ما حدث في الحرب العالمية الثانية حينما سيطرت القوى الالمانية على بحر الشمال مما ادى الى فرض نفوذها عليه و ضياع سيادة البلدان المحيطة بهذا البحر،

2- **الهيئة الفيزيائية للدولة: " الظهير الساحلي"** اي هيئة الشواطئ/الشطان البحرية و اعداد الموانئ المتوضعة عليها، فبهذا يرتبط بازدهار التجارة الاستراتيجية الدفاعية.

3- **امتداد مساحة الأراضي و العدد الاحصائي للسكان:** و هي تعادل امتداد الخط الساحلين وهي من المحفزات الرئيسية لبناء قوة بحرية حسب كبر مساحة الدولة وكثرة عدد سكانها، اذ يرى ماهان ان لهذين المحددين امكانية تنوع الموارد الطبيعية داخل تلك المساحة، وكذلك قدرة القوى البشرية المتمثلة بعدد السكان و القدرة على بناء اساطيل بحرية واستعمالها.

4- **الطابع القومي وخصائصه:** من الاسس التي راها ماهان ضرورية لبناء قدرة بحرية، هي معرفة مقدرة الشعب على العمل بالتجارة البحرية و استعدادهم لذلك، اذ ان القوة البحرية تعتمد التجارة السلمية الواسعة كفيلة بجمع الثروات الضرورية.

5- **الطابع السياسي للإدارة وتوجه السلطة الحاكمة:** وهي ترتبط اعادة توجيه افضل المصادر الطبيعية و البشرية نحو انشاء القوة البحرية القادرة على ضمان حماية الدولة ضد اي عدو محتمل، و قادرة على التوسع و الانتشار.

يتبين مما سبق ان ماهان يقيم نظريته الجيوبوليتيكية منطلقا بصفة استثنائية، من القوة البحرية ومصالحها، فقد أكد أن القوة البحرية تعتبر العنصر الهام و الحاسم للهيمنة السياسية لأي دولة تطمح في لعب دور على المستوى الكوني. واستند في ذلك إلى دراسات معمقة لدور البحرية في حركة التاريخ، إذ اعتبرها المفتاح الحقيقي لحسم الصراع على هيمنة أي قوة على النظام الإقليمي أو الدولي، و كانت قرطاج القديمة انموذج القوة البحرية لماهان، اما من الناحية التاريخية الأقرب فكانت انجلترا القرنين السابع عشر فالتاسع عشر.

و مفهوم " القدرة البحرية" يعتمد في نظر ماهان على " حرية التجارة البحرية" اما الاسطول البحري-الحربي فلا دور له سوى ضمان تحقيق هذه التجارة.

و يمضي ماهان خطوة ابعد من ذلك، اذ يعد " القوة البحرية" نوعا خاصا من الحضارة، فيتجاوز بذلك اراء (كارل شميدت)، **الحضارة الاسمى و الاكثر فعالية فهي اذن المهيأة للسيادة العالمية.**

3- اخضاع الولايات المتحدة الامريكية للعالم: Manifest Destiny

لقيت افكار ماهان قبولا في جميع انحاء العالم و تركت اثرها على عدد كبير من الاستراتيجيين الأوروبيين حتى ان المانيا القارية، البرية الطرق، تبنت في شخص الاميرال تيربيتس اطروحات ماهان و اخذت تطور اسطولها البحري بفعالية، و في سنتي 1940-1941 صدر لماهان كتابين في الاتحاد السوفياتي.

إلا ان الكتابين كانا مخصصين بالدرجة الاولى لأمريكا و الأمريكيتين و كان ماهان من اشد انصار مقولة الرئيس مونرو (1758-1831) الذي اعلن عام 1823 مبدأ اللاتدخل المتبادل بين امريكا و أوروبا كما ربط تنامي قوة الولايات المتحدة الامريكية بتوسعها الترابي فوق الاراضي الممتدة بجوارها. وكان ماهان يرى ان لأمريكا "مصيرا بحريا" و ان هذا هو Manifest Destiny- (المصير الواضح او الظاهر)، ويتجسد في مرحلته الاولى في التكامل الاستراتيجي لمجموع القارة الامريكية ثم في تحقيق السيطرة العالمية.

يمكن ملاحظة " الرؤية التنبؤية لماهان، ففي ايامه لم تكن الولايات المتحدة قد خرجت بعد الى مجموعة الدول العالمية المتقدمة، و فوق ذلك لم يكن قد ظهر بعد " نمطها الحضاري البحري"، فمنذ سنة 1905، كان ماكيندر في مقالته "المحور الجغرافي للتاريخ" قد ادرج الولايات المتحدة في عداد " **الدول البرية**"، الداخلة في سياق "الهلال الداخلي"، كمجرد استمرار استراتيجي نصف استعماري لانجلترا البحرية، وكتب يقول:

"منذ هنيهة اصبحت الولايات المتحدة الامريكية دولة شرقية، و هي تؤثر على ميزان القوى في اوروبا لا بطريقة مباشرة بل عبر روسيا."

لكن قبل 10 سنوات من ظهور نص ماكندر، كان الاميرال ماهان قد تنبأ لأمريكا بالذات بمصير كوني، ان تصبح دولة بحرية قيادية تترك اثرها على مصائر العالم. و قد اكد ماهان في كتابه " اهتمام امريكا بالقوة البحرية" انه على امريكا لكي تصبح دولة عالمية ان تنجز الامور التالية:

1- التعاون بفعالية مع الدولة البحرية البريطانية العظمى.
2- اقامة العراقيل في وجه الطموحات البحرية الالمانية.
3- المراقبة اليقظة للتوسع الياباني للمحيط الهادي و مقاومته.
4- تنسيق العمليات المشتركة مع الاوروبيين ضد شعوب اسيا.

رأى ماهان مصير الولايات المتحدة لا في ان تشارك بطريقة سلبية في السياق العام لدول الاطراف في " الهلال الخارجي"، بل في ان تلعب الدور القيادي في العلاقات الاقتصادية، الاستراتيجية و حتى الايديولوجية.

و من اراء ماهان، ان الدفاع عن الولايات المتحدة لا يكون بمحاولة منع وصول سفن العدو الى السواحل الأمريكية بل بإعداد اسطول من القطع البحرية المتكاملة و الضخمة، و لعله نجد ان الفكرة الاساسية من انشاء قواعد بحرية استراتيجية في مناطق تقع بعيدا عن حدود اراضيها تقوم على اعتبار ان بعد مراكز دفاعها الخارجية يسمح لها امكانية القيام بمهمتين اساسيتين هما:

- **العمل على سد الطريق بوجه العدو للوصول الى اراضيها.**
- **العمل على ابقاء موانئ الولايات المتحدة مفتوحة و امنة.**
- **العمل على التحكم في المياه المحيطة بالولايات المتحدة و مياه العالم بحارا و محيطات.**
- **الحيلولة دون ضرب اي حصار على البلاد.**
- **جعل احتمال هجوم قواتها قريبة من مراكز العدو.**

4- تأثير افكار ماهان على الاستراتيجية الحربية الامريكية:

من الناحية العملية، كانت هذه من الخطط الاستراتيجية الاساسية لحلف الناتو و غير من الاحلاف الموجهة نحو وقف الاتحاد السوفياتي تظهر نجاح و تطوير لأفكار ماهان الاساسية.

بصورة مستقلة عن ماكيندر، توصل ماهان الى نفس النتائج المتعلقة بالخطر الاكبر على الحضارة البحرية، و يتمثل هذا في الدول الاوراسية القارية (في الدرجة الاولى روسيا و الصين و في الثانية المانيا)، وكان الصراع مع روسيا، مع هذه الكتلة القارية المتواصلة للإمبراطورية الروسية الممتدة من غربي اسيا الصغرى و حتى خط الطول الياباني في الشرق، يمثل بالنسبة للقوة البحرية المهمة الاستراتيجية المستديمة.

وقد نقل ماهان الى المستوى العالمي مبدأ " **الاناكوندا** "، الذي استخدمه الجنرال الامريكي (مك-كليلان - George McClellan) في الحرب الاهلية في الشمال الامريكي من خلال سنوات 1861-1865، ويتجسد هذا المبدأ في حصار الاراضي المعادية من البحر و عبر الخطوط الساحلية، وهو ما يؤدي الى الاستنزاف الاستراتيجي للعدو، و بما ان ماهان كان يرى ان جبروت الدولة يتحدد بقدراتها على اقامة القوة البحرية، ففي الحالة المعاكسة تصبح المهمة الاستراتيجية الاولى هي الحيلولة دون بناء تلك القوة في معسكر العدو، و عليه فان مهمة المواجهة التاريخية لأمريكا هي تعزيز موقعها في البنود الستة (التي سبق ذكرها) و اضعاف العدو في تلك البنود المذكورة، فينبغي ان تكون امادها الساحلية تحت السيطرة، اما المناطق المطابقة لذلك عند العدو فينبغي العمل بكل الوسائل على قطعها عن الكتلة القارية، ثم: بما ان مبدأ مونرو في جزئه الخاص بالتكامل الترابي، يعزز قدرات الدولة فلا ينبغي- على العكس من ذلك- معاملة العدو او المنافس- و هو في حالة ماهان الدول الاوراسية الكبرى (روسيا والصين و المانيا) – بالعمل على خنق الكتلة القارية في اصفاد الاناكوندا، و ان تسحق عن طريق سحب المناطق الساحلية من تحت سيطرتها و اغلاق منافذها على المجال البحري بقدر المستطاع.

في الحرب العالمية الاولى جرى تطبيق هذه الاستراتيجية من خلال دعم الانتانتا للحركة البيضاء في اطراف اوراسيا (ردا على عقد البلشفيك الصلح مع المانيا)، اما في الحرب العالمية الثانية فقد طبقت ايضا ضد اوروبا الوسطى، و بخاصة على العمليات الحربية – البحرية ضد

دول المحور واليابان، إلا انها ظهرت بقدر اكبر من الوضوح خلال مرحلة الحرب الباردة عندما اتخذت المواجهة بين الولايات المتحدة الامريكية و الاتحاد السوفياتي تلك الاحجام العالمية على مستوى الكرة الارضية و التي اخذ علماء الجيوبوليتيكا يعتمدونها على المستوى القطري بدءا من نهاية القرن التاسع عشر.

من الناحية العملية كانت الخطوط الاساسية لاستراتيجية الناتو وغيره من الاحلاف الموجهة نحو وقف الاتحاد السوفياتي (مبدأ "الوقف" مطابق لمبدأ الاناكوندا الاستراتيجي و الجيوبوليتيكي) – ومن ذلك الـ **ASEAN** و الـ **ANZUS** و الـ **CENTO**، و تمثل التطوير المباشر للمنطلقات الاساسية للأميرال ماهان، والذي سمي بالأب العقلي لمجموع الاطلسية المعاصرة.

* **ASEAN : مجموعة دول جنوب شرق اسيا**
* **ANZUS : اتفاقية دفاع مشترك بين أستراليا نيوزيلندا و الولايات المتحدة الامريكية**
* **CENTO : حلف دول اسيا الوسطى**

الجغرافيا السياسية في القرن العشرين (رودولف كيلين و نشأة الجيوبوليتيك)

شهدت الفترة ما بعد راتزل ميلاد احد اهم الدارسين لنظرية الدولة ككائن حي، و الافكار الاخرى المرتبطة بالجغرافيا السياسية، إلا و هو العالم السويدي رودولف كيلين 1822-1864، و الذي كان استاذ بجامعة GETBERG، و تأثر كيلين تأثيرا كبيرا بأفكار راتزل في الجغرافيا السياسية و المتعلقة بدراسة السياسة العالمية و طبيعة الحكومات.

وأكمل كيلين نهج راتزل في وصف الدولة باعتبارها كائنا حيا، و في ذلك يرى ان الدولة كائن حي فقط، ولكن رآها كائنا عاقلا له قدرة اخلاقية و ذهنية، و اتفق مع راتزل في ان المرحلة النهائية لتطور الدولة هو تحقيق السلطة (القوة).

و لكن كيلين اوضح ان الدولة في سعيها الى تحقيق السلطة لا تتبع القوانين العضوية البسيطة في التوسع او التمدد المساحي فحسب، و لكنها توظف ايضا ما لديها من تقنيات حضارية للوصول الى اهدافها المرجوة.

ورأى كيلين ان الدولة ليست كيانات شرعية، ولكنها قوى متنافسة في صراع دائم للحصول على السيادة، و الهدف المطلق لتطور القوة السياسية للدولة هو: الحصول على حدود طبيعية جيدة خارجيا ووحدة متجانسة داخليا.

واهتم كيلين مثل راتزل بدراسة العملية التي تتحول من خلالها قطعة من الارض من منطقة جغرافية بسيطة الى مناطق حضارية و سياسية لكل منها شخصيتها المميزة و غريزتها في البقاء و الحفاظ على الذات. ثم الانتشار و التوسع. ويرى كيلين اذا توطن الانسان في قطعة ما من الارض،بصفة مستمرة، و اتسمت اقامته بها بالتماسك و التعايش و الولاء و الانتماء يؤدي الى ميلاد امة عن طريق ما اطلق عليه كيلين " الغريزة الجغرافية". وقد تبنى كيلين الخطوات التالية في تحديد الدول:

- الجيوبوليتيك: اي البيئة الطبيعية للدولة.
- الديمغرافية السياسية: Demopolitic اي سكان الدولة.
- الاقتصاد السياسي: Oekopoliticنعني به الموارد الاقتصادية للدولة.
- علم الاجتماع السياسي: Sociopolitic الهيكل الاجتماعي للدولة.
- حكومة السياسية: Kratopolitic حكومة الدولة.

يعد رودولف كيلين اول من استخدم لفظ "الجيوبوليتيك"، و المقصود به دراسة البيئة الطبيعية " المسرح" الذي تقوم عليه الدولة، و لم يضع في حسبانه التحوير الفكري في الهدف من هذا الاسم، والذي استخدمه الالمان و خاصة فيما بعد انشاء معهد الجيوبوليتيك عام 1924، ولفظ الجيوبوليتيك يعني علم السياسة الطبيعية، اي دراسة تاثير العوامل الجغرافية و الاقتصادية والبشرية (كثافة السكان وتوزيعهم) في سياسة الدولة الخارجية خاصة.

ولق رأى " بيرسي" انه يستدعى الالتزام ان كيلين قد وضع دراسة جغرافية الدولة في المقام الاول ودراسة حكومة الدولة في المقام الاخير،خلال دراسته و ابحاثه،ولقد اعتقد كيلين في الغالب تحت تأثير افكار ماكيندر، ان قوة الامبراطوريات البحرية سوف تنتقل الى الامبراطوريات الموجودة على الارض الصلبة في تحليل الدول، و التي بدورها سوف تنتقل قوتها مرة اخرى الى البحر.

الجغرافيا السياسية الالمانية بين الحربين العالميتين:

اصبحت الجغرافيا السياسية من اهم الموضوعات و اكثرها شيوعا للدراسة في المانيا بعد الحرب العالمية الأولى وكان الحافز الرئيس لتلك الحرب نفسها. فنتيجة لهزيمتها في الحرب اضطرت لتوقيع معاهدة صلح مهينة و غير مرغوبة لها.

وجعلت هذه الهزيمة كل رجال الدولة و المفكرين و القادة العسكريين في المانيا يفكرون في اسباب تلك الهزيمة، وشرعوا في البحث عن الطرق والوسائل الممكنة لاستراجاع مجدهم القومي المفقود، وفي سعيهم لايجاد اجوبة لهذا السؤال جذب اهتمامهم دراسة علم الجغرافيا السياسية التي نقلت اليهم بواسطة راتزل و كيلين[1].

وساهم مفهوم راتزل عن الدولة العضوية و تعديلات كيلين لهذا المفهوم في اعطاء المانيا تبريرا جزئيا و برنامج عمل لصحوة بسيطة و متواضعة لفترة ما بعد الحرب، اعطاها استراتيجية فعالة لكل من الدفاع الحربي و التوسع المساحي.

ونظرا لان القادة الالمان ارادوا تبريرا كاملا و هروبا من ذنب هزيمتهم في الحرب و تعويضها بصحوة ورغبة كاملة للثراء و السلطة (القوة)، لذا راو ان مقترحات راتزل وكيلين لن تحقق اغراضهم و أهدافهم لذلك وضعوا قوانين جديدة وأضافوا تعديلات الى افكار الاستاذين الكبيرين راتزل و كيلين، التي اصبحت فيما بعد اسس قيام نظام جديد اطلق عليه الجيوبوليتيك، وهو نظام ابعد ما يكون عن افكار راتزل وكيلين.

كارل هاوسهوفر و الجيوبوليتيك:

ولد كارل هاوسهوفر عام 1869 في ميونخ بألمانيا و درس في اكاديمية الحرب، و عين اساتذا للجغرافيا والعلوم العسكرية في ميونخ بعد الحرب العالمية الاولى، ثم اسس معهد ميونخ للجيوبوليتيك عام 1924، ثم اصدرت مجلة الجيوبوليتيك الالمانية بعنوان " مجلة الجيوبوليتيكا" تحت اشرافه، وتنشر اراءه في هذا المجال، والتي كانت اول اعلان عن المعهد، ولقي المعهد والمجلة تأييدا من الجغرافيين الالمانيين اللامعين في ذلك الوقت، وسرعان ما اصبح المعهد

---

[1]- **فايزمحمد العيسوي:** الجغرافيا السياسية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2000، ص 32.

أداة في يد الحكومة وجزا من مخططها. اي اصبح اداة للسياسة القومية الالماني و لأغراضها التوسعية، و باتت جغرافيا الحرب الشغل الشاغل للشعب الالماني، ولقيادته السياسية.

تأثر هاوسهوفر بأفكار كيلين و راتزل، خصوصا ان الدولة كائن حي، وأراد تطبيق تعاليم راتزل الذي اعتبر ان (المجال قوة سياسية)، ويبدو ان فكرة المجال اخذت تظهر بعد انتصار المانيا على فرنسا عام 1870 وظهورها كقوة قارية منافسة لبريطانيا في الصناعة و التجارة، وبعدان تعرف الالمان على ممتلكات القوى الدولية القديمة على اساس جغرافي. ويعد هاوسهوفر اكثر من كتب على الجيوبوليتيك، وله سلسلة دراسات ومؤلفات اهمها كتابه "القوة و العالم" المنشور عام 1935.

كما قام هاوسهوفر بتجميع الدراسات الجغرافية وقدم تفسيراتها لهتلر، وتحت اشراف المعهد اصبحت الجغرافيا و بالتحديد جغرافيا الحرب محل اهتمام قومي و شغلت الرأي العام الالماني خلال فترة مابعد الحرب.

وكان هاوسهوفر يعتقد ان السيادة على المجال يجب ان تأتي عن طريق العوامل الجغرافية و البشرية، وان مشكلة المانيا تكمن في عدد سكانها الكبير (85 مليون في عهد هتلر) على مساحة جغرافية 540 الف كلم^2، حين ان دول اوروبية اخرى تسيطر على مساحات اكبر و عدد سكانها اقل مقارنة بالشعب الالماني. و هكذا اصبح لفظ امجال الحيوي Espace Vital متداول عند القادة الالمان، وباتت حلا مرتقبا للمشكلة الالماني و طريقا نحو التقدم و القوة.

وعرف هاوسهوفر وزملاءه الجغرافيا السياسية على انها علم العلاقات الارضية و اثرها على التطورات السياسية. وهنا يمكن التفريق بين الجيوبوليتيك و الجغرافيا السياسية، حيث ان الجغرافيا السياسية تدرس الدولة من وجهة نظر المساحة، و الجيوبوليتيك تدرس الدولة من وجهة نظر الدولة. فلقد عرف هاوسهوفر الجيوبوليتيك على أنها دراسة المساحة من وجهة نظر الدولة. على الرغم من ان الجغرافيا السياسية درست الدولة، إلا انها اهتمامها الاول كان الارض اكثر من الاهتمام بالسياسة.

و نجد في التعاريف الصادرة من معهد ميونيخ للجيوبوليتيك ما يلي:

- الجيوبوليتيك هي النظرية التي تبحث في قوة الدولة بالنسبة للأرض.
- الجيوبوليتيك هي نظرية التطورات السياسية من حيث علاقتها بالأرض.
- الجيوبوليتيك هو العلم الذي يبحث في المنظمات السياسية للمجال الارضي و تكوينها.
- الجيوبوليتيك هي الاساس العلمي الذي يقوم عليه فن العمل السياسي للدولة في كفاحها من اجل الحصول على مجالها الحيوي.

ولعل ادق تعريف له الذي قدمه Otto Maul الذي كتبه عام 1936 :" تهتم الجيوبوليتيك بالدولة باعتبارها كائنا حيا، وليس من خلال مفهوم ساكن، فالجيوبوليتيك تبحث وراء علاقة الدولة بالبيئة – مساحتها – ثم تحاول معالجة المشاكل الناتجة عن العلاقات المساحية.

نيكولاس سبيكمان

مراجعة ماكيندر مركزية الهلال الهامشي Rimland

في خدمة امريكا:

يعد الامريكي نيكولاس سبيكمان (1893-1943) الهولندي المولد، المتابع المباشر لخط الاميرال ماهان، كان سبيكمان استاذا للعلاقات الدولية واصبح فيما بعد مديرا لمعهد العلاقات الدولية و جامعة ييل، وخلافا لعلماء الجيوسياسة الاوائل، لم تكن الجغرافيا تعني بالنسبة له امرا عظيم الاهمية، وعلى مستوى اقل من ذلك كانت تشغله قضايا ارتباط الشعب بالتربة وتاثير السطح الارضي على الطابع القومي وما الى ذلك، كان ينظر الى الجيوبوليتيكا على انها الادات الاكثر اهمية في السياسة الدولية المحددة كمنهج تحليلي ونظام للمعادلات يسمحان معا باستنباط الاستراتيجية الاشد تاثيرا، وفي هذا المعنى وجه اعنف نقده للمدرسة الالمانية وبخاصة في كتابه " جغرافية العالم"، الذي عد فيه التصورات المتعلقة بـ"الحدود العادلة و الحدود الظالمة هراء ميتافيزيقيا ".

و على نحو ما كان الامر بالنسبة لماهان، كان من سمات سبيكمان المدخل النفعي و الرغبة المحددة في تقديم المعادلة الجيوبوليتيكية الاشد تاثيرا و التي تتمكن الولايات المتحدة بعونها من التوصل و باسرع الطرق الى تحقيق " السيطرة العالمية"، و بهذا تتحدد بنية دراسته جميعا.

تصويب ماكيندر:

بعدما درس سبيكمان بكل اهتمام اعمال ماكيندر، تقدم بصياغته لمخطط جيوسياسي اساسي يختلف قليلا عن انموذج ماكيندر، وكانت فكرة سبيكمان الاساسية تقوم على اساس ان ماكيندر قد بالغ في تقييم الاهمية الجيوسياسية لـ " قلب العالم -Heartland "، وهذه

المبالغة لم تتناول فقط التوضع الحيوي للقوى على خارطة العالم، و من ذلك سطوت الاتحاد السوفياتي بصفة خاصة، بل وتناولت المخطط التاريخي الاولي، فكان سبيكمان يرى ان التاريخ الجغرافي " للهلال الداخلي Rimland" "المناطق الشاطئية" قد تكون من تلقاء نفسه و ليس بتاثير من " رحْل اليابسة " حسب نظرة ماكيندر، فقلب العالم من وجهة نظر سبيكمان ليس إلا مدى مكاني يحتمل يتلقى جميع النبضات الحضارية في المناطق الشاطئية و لا يحمل في طياته اي رسالة جيوسياسية مستقلة او حافز تاريخي، و الهلال الـ Rimland هو مفتاح السيطرة العالمية و ليس الـ Heartland.

ان معادلة ماكيندر الجيوساسية القائلة بان من يسيطر على اوروبا الشرقية يسيطر على قلب العالم، و من يسيطر على منطقة القلب يسيطر على الجزيرة العالمية، ومن يسيطر على الجزيرة العالمية يسد العالم، فيقترح سبيكمان استبدالها بالمعادلة القائلة: " من يسيطر على الـ Rimland يسيطر على اوراسيا، و من يسيطر على اوراسيا يقبض على مصير العالم بيديه".

سلم تقدير القوة:

في كتابه " الاستراتيجية الامريكية في السياسة العالمية " و " جغرافية العالم " يقدم سبيكمان عشر (10) معايير ينبغي تقدير القوة الجيوسياسية على أساسها انها تطوير للمعايير التي كان ماهان قد طرحها لأول مرة و هي:

1- **سطح الارض.**
2- **طبيعة الحدود.**
3- **عدد السكان.**
4- **نوفر او انعدام الثروات الطبيعية.**
5- **التطور الاقتصادي و التقني.**
6- **القوة المالية.**
7- **التجانس الاثني.**
8- **مستوى التكامل الاجتماعي.**
9- **الاستقرار السياسي.**
10- **الروح الوظيفية.**

فإذا تبين ان اجمالي تقييم الامكانات الجيوسياسية للدولة وفقا لهذه المعايير ليس مرتفعا حتى الدرجة الكافية، كان ذلك يعني بطريقة شبه الية انه يتعين على هذه الدولة الدخول في حلف استراتيجي اكثر عمومية مضحية بجزء من استقلالها بغية الحصول على الحماية الجيوسياسية الاستراتيجية العالمية.

المحيط المتوسط:

بالاضافة الى اعادة تقييم معنى Rimland، ادخل سبيكمان اضافة جديدة هامة الى اللوحة الجيوسياسية للعالم و التي تمت رؤيتها من منظور " القوة البحرية "، فقد طرح مفهوما في غاية الاهمية هو "**المحيط المتوسط**" و في اساس هذا التصور الجيوسياسي يكمن تشابه مميز بين البحر الابيض المتوسط في تاريخ اوروبا و الشرق الاوسط و شمال افريقيا في العصور القديمة، و بيم المحيط الاطلسي بالنسبة للحضارة الغربية في التاريخ المعاصر، وبما ان سبيكمان كان يرى في منطقة الحافة Rimland بالذات اساسا للارض التاريخية للحضارة ، فقد تبدلت له منطقة البحر الابيض المتوسط القديمةن انموذج الثقافة التي انتشرت فيما بعد في اعماق اليابسة (تحضير متوحشي البر) و على المساحات البعيدة التي ما كان الوصول اليها ممكنا الا بواسطة الطريق البحرية (تحضير متوحشي البحر)، و تشبيها لهذا الانموذج المتوسطي يحدث الامر نفسه في ايامنا الحاضرة وعلى مساحة كونية مضخمة بالنسبة للمحيط الاطلسي الذي تبدوا ضفتاه - الامريكية و الاوروبية – منطقة للحضارة الغربية الاكثر تطورا في المفهومين التقني و الاقتصادي.

مهندس النصر الامريكي:

لم يجعل سبيكمان اساس مقولته الشهيرة التفسير الجيوسياسي لمكانة الولايات المتحدة الامريكية كقوة بحرية في العالم كله (كما فعل ماهان)، ربما لان ذلك قد صار حقيقة واقعة في عهده - بقدر ما كان ذلك الاساس ضرورة السيطرة على المناطق الشاطئية لاوراسيا،اوروبا، البلدان العربية، الهند والصين و غيرها – بنية تحقيق النصر النهائي في المبارزة بين القوى القارية والبحرية، فاذا كانت النظرة الى الثنائية الكونية في لوحة ماكيندر تقوم على اساس انها شيء " ابدي " لا يمكن الغاؤه، فقد كان سبيكمان يرى ان السيطرة الكاملة على Rimland من

طرف "الدول البحرية "سيؤدي الى النصر النهائي الذي لا رجعة فيه على القوى البرية، التي ستكون تحت السيطرة، فمن الناحية الواقعية كان ذلك التطوير الاقصى لتكتيك "اناكوندا" التي كان مهان قد ارسى اسسها، وقد اكسب سبيكمان ذلك النظام صيغته النهائية، واستعراض انتصار الولايات المتحدة الامريكية في الحرب الباردة " كقوة بحرية " بمثابة الصواب الجيوسياسي المطلق لسبيكمان الذي يمكن تسميته بـ "مهندس النصر العالمي للدول الليبرالية على اوراسيا.

اعتبر سبيكمان على خلاف نظرية ماكيندر انه من يحكم المناطق الساحلية (الهلال الداخلي او الهامش) يحكم اوراسيا. ومن يتحكم بهذه الاخيرة يتحكم بالعالم، و نلاحظ كيف ان السياسة الخارجية الامريكية ركزت بعد الحرب العالمية الثانية على نشر الاساطيل البحرية في البحر المتوسط و المحيط الهادي و اقامة علاقات التحالف مع بعض الدول المحيطة باروبا الشرقية و الاتحاد السوفياتي، خاصة تلك التي تتمتع بمواقع استراتيجية – الشرق الاوسط مثلا – مما يدل على الانسجام بين السياسة الخارجية الامريكية و افكار سبيكمان.

ربط سبيكمان بين القوة و العلاقات الدولية، عندما اعتبر ان القوة وسيلة للمحافظة على السلام الدولي، و ان الدول الكبرى قادرة بما تملك من وسائل على ارساء دعائم السلم.

فرانسيس فوكوياما نهاية التاريخ :

كان بعض المحللين يرون ان العالم بعد الحرب الباردة سيكون عالما سلميا، وقد طرح "فرنسيس فوكوياما" نظريته "نهاية التاريخ"، ولكن هذه النهاية لم تكن تعني ان الزمن سيتوقف مستقبلا، ولكن ان كل ما سيحصل لن يضع التفوق الشامل عالميا للنموذج الديمقراطي الليبرالي موضع اعادة نظر، فذلك النموذج المنبثق من الثورة الفرنسية، شكّل الحل لمشكلة التاريخ، وكل البدائل التي طرحت وستطرح مستقبلا لن تكون الا مواريات "detours" ستتخلى عنها الانسانية.

بعد ان حصل فرنسيس فوكوياما الياباني الاصل على الجنسية الامريكي الجنسية على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة هارفارد استهل حياته المهنية بالعمل في وزارة الخارجية الامريكية كنائب لمدير ادارة التخطيط السياسي، و في بداية الثمانينيات اصبح عضوا في الوفد الامريكي في المحادثات المصرية-الاسرائيلية وحتى توقفها بعد الغزو الاسرائلي للبنان،

وعلى الرغم من تركيزه بعد ذلك على الكتابة و العمل الأكاديمي، إلا ان صلات فوكوياما بالعمل السياسي و تأثيراته في مؤسساته كالكونغرس و وزارة الخارجية و البيت الابيض بقيت مستمرة حتى تم تعيينه لاحقا ضمن مجلس استشاري للرئيس بوش لاقتراح السياسات الخاصة بقضايا الهندسة الوراثية، صحيح ان فوكوياما لم يصبح وزيرا للخارجية كما تنبأ بعض الخبراء في الادارة الأمريكية إلا ان البعض يعتقد ان دوره في تشكيل السياسات الخارجية الامريكية - بل و الغربية بشكل عام- ربما يفوق في تأثيره بعض من تولو مثل هذا المنصب بالفعل، فقد شارك في صياغة نوع من التأصيل الفكري او الاطار النظري لتلك السياسات في وقت كان فيه المسؤولون الامريكيون يبحثون عن اطار نظري جديد يحكم عمل مؤسساتهم و توجهها.

و يعد كتابا فوكوياما (نهاية التاريخ و الانسان الاخير) و صامويل هتنغتون (تصادم الحضارات) اهم ما ظهر من مؤلفات خلال تلك الحقبة، كما تعرض كتاب فوكوياما لانتقادات عديدة، إلا ان فوكوياما و مؤيدوه اصروا على ان التطور البشري بلغ قمته بالليبرالية الديمقراطية بمفهومها العلماني المطبق في الغرب بكل ما ينطوي عليه ذلك من تعددية و حريات مدنية و دينية واقتصاد السوق الحرة، لتأتي بعد ذلك احداث سبتمبر عام 2001 و توابعها بكل ما تحمله من مخاطر واحتمالات لتكون بالنسبة للبعض نهاية لـ(نهاية التاريخ) و تمهيدا لظهور نظرية صامويل هتنغتون (تصادم الحضارات)، لكن فكوياما بقي متمسكا بنظريته و مصرا على الاعتقاد بان الليبرالية الديمقراطية كانت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية و ما تزال الى الان هي المحرك الرئيس للسياسات العالمية.

لقد شهدت الفترة منذ نهاية الخمسينيات حتى بداية الثمانينيات الترويج " أمريكيا لفكرة عدم جدوى الديمقراطية في الدول النامية، و هو ما اكده عام 1993 (غراهام اي فولر) عضو مؤسسة (راند) الامريكية عندمت قال:" لقد كانت السياسة الخارجية الامريكية و بشكل غير عادي عديمة الاستجابة و الالتزام بهدف الديمقراطية في الشرق الأوسط و بنهاية الثمانينيات تغير الامر نسبيا، حيث شهد العالم في ظل النظام العالمي الجديد ظهور الدعوة الى تبني الديمقراطية الغربية كنظام سياسي يجب ان يسود جميع دول العالم بما فيها العالم العربي و الإسلامي وقد تم التأسيس لتأكيدات المسؤولين الامريكان على ضرورة ان تكون الديمقراطية الليبرالية ركيزة للسياسة الخارجية الامريكية بقواعد نظرية و مرجعية فكرية روج لها بعض

المفكرين الامريكيين و على رأسهم فوكوياما في اطروحته " نهاية التاريخ"، و قد مهد لكتابه هذا بمقالة نشرها عام 1989 بنفس العنوان اعلن فيها ان الديمقراطية الليبرالية بمؤسساتها السياسية و الاقتصادية بدأت تزحف على بقية اجزاء العالم، تدل على ذلك و تؤكده الانتصارات المتتالية التي حققتها الاديولوجية الليبرالية على الاديولوجيات الأخرى و ان انتصار الديمقراطية الليبرالية يشكل (المرحلة النهائية) في التطور العقائدي للجنس البشري مما يجعلها تمثل عنده (نهاية التاريخ).

لكن مقالة فوكوياما هذه على ما يبدو لم تفهم في حينه بمفهومها الحقيقي، مما دفع به الى وضع كتابه المشهور ليطرح فيه مجددا سؤاله عما اذا كان من شان التطور التاريخي للبشرية ان يقود الى في النهاية نحو الديمقراطية الليبرالية و كانت اجابته على هذا السؤال بالإيجاب لاعتقاده بأنه و بقدر ما تبلغ الديمقراطية الليبرالية مرحلة الانتشار العالمي فسيتم الوصول الى النقطة الاخيرة في التطور الاديولوجي، حيث لن يكون هناك بعدها اي تقدم او تطور فيما يتعلق بالمبادئ والعقائد و المؤسسات.

و قد اقام فوكوياما اجابته هذه على اساس من منهج الفيلسوف (هيجل) الذي امن بان التاريخ يصل ذروته في اللحظة المطلقة التي ينتصر فيها (العقل النهائي) الذي تعبر عنه الدولة، و اذا كان هيجل لم يحدد طريقة حاسمة للوصول الى هذه (اللحظة المطلقة)، فقد حددها فوكوياما بـ" لحظة انتصار الديمقراطية الليبرالية وانتشارها العالمي"، و هو يرى ان الديمقراطية الليبرالية قد واجهت تحديين رئيسسين هما: الفاشية بمختلف اشكالها و الشيوعية، وقد استطاعت الديمقراطية الليبرالية ان تضمن النصر لنفسها عليهما حيث كانت الحرب العالمية الثانية، في جوهرها، انتصارها على الفاشية، اما نهاية الحرب الباردة فقد اعلنت بصورة قاطعة انتصارها على الشيوعية، و يترتب هذين الانتصارين نهوض الليبرالية و بوصفها (اللحظة المطلقة) التي انتصر فيها العقل النهائي).

ولإبراز الديمقراطية الليبرالية بصفتها هذه، سعى فوكوياما الى تنزيهها من كل مأخذ، فإذا كان التناقض بين العمل و راس المال و بين الاغنياء و الفقراء موجودا في ظل الديمقراطية الليبرالية فان ذلك يرجع الى كونه ارثا قديما وهو لا يرتبط في وجوده بالديمقراطية الليبرالية نفسها مما يسمح بالقول (حسب رؤية فوكوياما) بأنه بوسع الديمقراطية الليبرالية ان تتخلص

من هذه المشاكل بكل سهولة، و اذا ما وجدت الاديولوجيات التي اصطدمت بها الديمقراطية الليبرالية لفترة معينة فمرجع ذلك الى ان الدول التي اعتمدتها لم تكن دولا ديمقراطية ليبرالية بالمعنى الدقيق، وذلك بقدر ما كانت الديمقراطية الليبرالية في القرن العشرين قد استطاعت على حد اعتقاده التخلص منها، و يعترف فوكوياما بان دول العالم الثالث لا تزال بعيدة عن جوهر الليبرالية والديمقراطية، ولكن ما الذي يمنعها من الخضوع لمقتضياتها و هي تجد نفسها في حلبة الصراع الدولي؟ و وفقا لذلك فان افكاره عن انتصار الديمقراطية الليبرالية و نهاية التاريخ تقدم الاطار النظري للتوجهات الجديدة للسياسية الخارجية الامريكية و الرامية الى فرض الفلسفة الليبرالية بالصيغة الامريكية على كل العالم باستخدام مصطلح الديمقراطية المزيف كوجه الاكثر قبولا لدى البشر تجسيدا للهيمة الامريكية بكل اشكالها و صورها.

ويمكن رؤية ان في هذا الامر ردا على الفكر الشيوعي الذي يقول ان الصراع الطبقي سيتوقف عند قيام المجتمع الشيوعي، وسيكون هذا النظام النهائي في العالم، وعبارة "نهاية التاريخ" مستمدة –بشكل غير مباشر – من هذه الفكرة.

في مقابل هذه النظرية، يرى صمويل هتينغتون Samuel Hutington (1927- 2008) ان هناك نزاعات قائمة على خصومات متعلقة بالهوية، ويؤكد ان سقوط الاتحاد السوفياتي هو نهاية تاريخ، وليس نهاية التاريخ، و العولمة ليست مرادفا للسلام، بل العكس، لانها نقيم تماسا بين مختلف اجزاء الارض، وستضاعف مخاطر الاحتكاك، و بالتالي النواعات فيما بين هذه الاجزاء.

صدام الحضارات: اطلسية هيتينغتون الجديدة

ان مغزى نظرية صامويل هتينغتون، استاذ العلوم السياسية ومدير معهد جون اولين للدراسات الاستراتيجية التابع لجامعة هارفارد، و الذي عبر عنه في مقالته "صدام الحضارات" (والتي اظهرت تلخيصا لمشروع جيوسياسي كبير بعنوان " **التحولات في الامن الكوني و المصالح القومية الأمريكية** ينتهي الى ما يلي:

الانتصار الجيوسياسي الظاهري للأطلسية على كوكب الارض بأسره،- فمع انهيار الاتحاد السوفياتي زال اخر حصن للقوى القارية – لا يلمس من الناحية الواقعية الا القشرة السطحية للواقع، ان النجاح الاستراتيجي للناتو و المترافق مع الصياغة الايديولوجية الشيوعية المنافسة – لا يمس الطبقات الحضارية العميقة، و يرى هتينغتون - خلافا لفوكوياما- ان الانتصار الاستراتيجي ليس انتصارا حضاريا، فالإيديولوجيات الغربية الليبرالية الديمقراطية، السوق وما الى ذلك، اصبحت بلا بدائل ولفترة مؤقتة فقط، وقريبا سترشح لدى الشعوب غير الغربية خصائص حضارية وجيوسياسية من مثل " الشخصية الجغرافية " التي تحدث عنها سافيتسكي.**(ص158)**

كما نشر هتينغتون دراسة في مجلة الشؤون الخارجية في صيف عام 1993، شكلا معدلا لمقولة (تهديد الجنوب للشمال) او (التهديد الاسلامي للغرب)، التي كانت بدورها شكلا معدلا من مقولة (شرق-غرب) و (شمال-جنوب). و اعلن هتينغتون في هذه الدراسة ان الصراعات الحضارية هي خليفة الحرب الباردة، و لكنها ستكون اخر مراحل تطور الصراعات في العالم المعاصر، و ان عالم ما بعد سقوط الاتحاد السوفياتي سوف يكون عالما من المراكز الحضارية المتصارعة "صراع الناب و المخلب"، و عليه فان على متخذي القرار في الغرب الانتباه الى هذه " الحقيقة" في صنع سياستهم الخارجية المقبلة وفقا لشعار عام هو: **(الغرب و البقية The west and the Rest)**، فالصراعات حسب رأي هتنغتون قد قامت في الغرب بين الامراء و الملوك والاباطرة بعد معاهدة واستفاليا، و بين الامم و القوميات بعد الثورة الفرنسية، وبين الاديولوجيات الشيوعية والاشتراكية الوطنية (النازية) و الديمقراطية الليبرالية في القرن العشرين، و بينما كانت الحربان العالميتان حربين "اهليتين أوربيتين فان المواجهة اليوم هي مواجهة بين الحضارات.

يقسم هتنغتون العالم الى ثماني ساحات حضارية (وكل ساحة هي ذات تموضع جغرافي، الامر الذي يدخل هذه النظرية في الجيبوليتيكا)، فهو يرى انه الى جانب الحضارة الغربية (الاطلسية) التي تشتمل على حضارة امريكا الشمالية و اروبا الغربية، وضع الترشيح الجيوسياسي لحضارات سبع اخرى وهي:

1- الحضارة السلافية – الارتودوكسية.
2- الحضارة اليبانية.
3- الحضارة الاسلامية.
4- الحضارة الكنفوشيوسية.
5- الحضارة الهندوسية.
6- حضارة امريكا اللاتينية.
7- الحضارة الافريقية.

يؤكد هتينغتون من هذه التقسيمات ان السؤال المطروح في حالة الصراعات الاديولوجية السابقة هو: **مع اي طرف أنت؟**، اما في صراع الحضارات فان السؤال المطروح هو: **من تكون انت؟**، و في اعتقاده ان المحور الرئيس المتعامل في المستقبل على الصعيد العالمي سيكون متمثلا في المواجهة بين الغرب و بقية العالم و ما لدى هذا الاخير من اجابات على قوة الغرب وقيمه، و ان هناك ترابطا عسكريا (كنفوشيوسي – اسلامي) في طريقه للتكون و يتضمن مسعى لامتلاك التكنولوجيا العسكرية لموازنة علاقات القوة مع الغرب، لذلك هو يدعو الى تقوية التعاون في العالم الغربي ولاسيما اوروبا الغربية و امريكا الشمالية و مده ليشمل ايضا اوروبا الشرقية**(السلافية الارتودوكسية) وامريكا اللاتينية** للحد من توسع الفكر الاسلامي-الكنفوشيوسي.

ومن الطبيعي ان هذه الحضارات المحتملة ليست متكافئة الطاقة، إلا انها تتلاقى في كون خط تطورها وتكونها يتخذ مسارا يختلف عن محرك الاطلسية وحضارة الغرب، وهكذا يجد الغرب نفسه في وضعية المواجهة من جديد، ويرى هتينغتون ان ذلك امرا لا مندوحة منه من الناحية العلمية، وانه يجب – وبغض النظر عن الاوساط المعولمة – الانطلاق اساسا في المعادلة الواقعية "The West and The Rest" "الغرب و الباقي/الاخرون".

و الاستنتاجات الجيوسياسية من مثل هذه النظرية جلية لعيان، فهتنغتون يرى ان على الاطلسيين ان يدعموا بكل السبل المواقع الاستراتيجية لحضارتهم الخاصة بهم، ان يستعدوا للمواجهة وان ينسقوا قواهم الاستراتيجية لحضارتهم الخاصة بهم، ان يستعدوا للمواجهة و ان ينسقوا قواهم الاستراتيجية وان يبطلوا الميول المناوئة للاطلسية في التشكيلات الجيوسياسية

الاخرى، و ان يحولوا دون توحدها في حلف قاري يشكل خطرا على الغرب، و هو يقدم النصائح التالية:

- ضمان قيام التعاون الاكثر اتثاقا و توحدا في اطار الحضارة الذاتية، وبخاصة جوئهل الاوروبي والامريكي الشمالي.
- ان تتكامل في الحضارة الغربية، تلك التي المجتمعات القائمة في اوروبا الشرقية و امريكا اللاتينية، التي تتقارب ثقافتها مع الثقافة الغربية.
- تامين العلاقات الاكثر اتثاقا مع اليابان وروسيا.
- الحيلولة دون تحول النزاعات المحلية بين الحضارات الى حروب كونية.
- الحد من التطور العسكري للدول الكنفوشيوسية و الاسلامية.
- وقف انكماش القوة الحربية الغربية وضمان التفوق العسكري في الشرق الاقصى وفي جنوب غرب اسيا.
- استغلال المصاعب والنزاعات في العلاقات المتبادلة بين الدول الاسلامية والكنفوشيوسية.
- دعم المجموعات الغربية التوجه و القيم و المصالح ضمن حضارات اخرى.
- دعم المؤسسات العالمية التي تعكس المصالح الغربية وتضفي عليها الشرعية في تحقيق اجتذاب الدول غير الغربية الى هذه المؤسسات.

في هذه الصيغة الموجزة لنظرية الاطلسية الجديدة، و من وجهة النظر الجيوسياسية المحض، تعكس الاقتفاء الدقيق لمبادئ ماهان وسبيكمان، ويلاحظ في هذا التشديد الذي يفرضه هتينغتون على الثقافة و الفروق الحضارية على انها العوالم الجيوسياسية الاهم انما يشير الى انتمائه للمدرسة الجيوسياسية الكلاسيكية المتطلعة الى فلسفة " العضوية"، التي كان من اولى خصائصها النظر الى البنى الاجتماعية و الدول لا كتكوينات الية او ايديولوجية، بل ك "صيغ للحياة".

ويشير هتينغتون الى ان الصين و الدول الاسلامية (العراق، ايران، ليبيا وما اليها) على انها الاعداء الاكثر احتمالا للغرب، وينعكس في هذا التاثير المباشر لمبادئ ماينغ و كريك اللذين رايا ان توجهات دول "المناطق الشاطئية" "Rimland" بالذات –اشد اهمية من موقف الـ Heartland، ولهذان وخلافا للمثلين الاخرين للاطلسية الجديدة يرى هتينغتون ان الخطر الاكبر كامن لا في الانبعاث الجيوسياسي لروسيا-الاوراسيا لقلب العالم او اي تشكل قاري اوراسي

جديد، ففي التقرير للامريكي بول ولفوفتس (مستشار الامن القومي) يوجه الحديث لحكومة الولايات المتحدة الامريكية في مارس 1992 حول " ضرورة الحيلولة دون ظهور قوة استراتيجية في القارة الاوروبية او الاسيوية يمكنها ان تقف في وجه الولايات المتحدة الامريكية.

وراى ان كل حضارة محكومة بدولة نواة او اكثر، وهو يمنح الدول –النوى دورا مركزيا في الاستقرار الدولي، ويرى هتينغتون ان الهيمنة الغربية ستتلاشى بسبب النقص الديموغرافي في السكان الاصليين و تدفق المهاجرين، و اقتصاديا ستزول الهيمنة مع اليقضة الاسيوية، و ستكون الحضارة الصينية هي المؤهلة لتحدي الغرب، وستحصل على التاثير، ثم ان الحضارة الغربية، وكل الايديولوجيات ذات المصدر الغربي، تتراجع امام الاسلام، و الحضارة الاسلامية تنشر اللااستقرار. " فالاسلام له حدود دموية، و الصدام الاسلامي-الغربي سيكون الاعنف، ولكن لن يكون الوحيد، فالاسلام ستكون علاقته نزاعية مع كل الحضارات باستثناء الصينية، فالاثنتان ستقيمان جبهة مشتركة ضد الغرب، حسب المحور الباكيستاني-الايراني-الصيني.

في الجانب الاخر لهذه الأطروحة تبرر حقائق الجغرافيا السياسية المعاصرة اليوم مفهوم صراع الهويات المستندة لا على بناءات نظرية بل على ملاحظة الصراعات الحقيقية التي تستخلص منها النتائج العامة حيث تصبح الهوية الجماعية لجماعة بشرية ما هي الشيء الثابت الوحيد في مواجهة افرازات الحداثة المدمرة والمفككة لنسيج المجتمعي لأي حضارة لا تمتلك وسائل الرد والمواجهة، فضلا عن البؤس الاقتصادي والضعف السياسي، فإذا احست جماعة بشرية ما بان هويتها مهددة بشكل قد يؤدي الى زوالها فستكون هنا قاعدة صراع الهويات الذي يستند في اغلب الاحيان الى الخوف من الزوال، فولادة صراع الثقافات و الهويات تصاحبها افكار يملؤها القلق والخوف من التصفية، لان الافراد لا يشعرون بفقدان الارض فقط بل مهددون بفقدان حقهم في العيش كجماعة لها خصوصيتها.

ان صراع الثقافات و الهويات ليس صراعا متعلقا بالأرض او سلطة او مصادر ثروة، بل هو اولا وقبل كل شيء مضمونه و مصدره الادراك الجماعي لتهديد يطال الوجود و يهدد استمرار الحياة.

المحاضرة

العولمــة

العولمة:

ظهر مصطلح " العولمة " قبل مدة طويلة من الانتصار النهائي للغرب في الحرب الباردة، ويؤدي مفهوم العولمة الى تسويد المسلّمة القائلة بحتمية التكامل الكوني التام، و الانتقال من تعددية الدول والشعوب و القوميات و الثقفات، الة وحدة العالم "One World".

يمكن التماس متابعة منابع هذه الفكرة في بعض الحركات الطوبائية العائدة الى القرون الوسطى ثم الى عهود موغلة في القدم، ويثوي في اساسها التصور القائل بانه في لحظة من لحظات الذروة في التاريخ يجري تجميع كافة شعوب الارض في مملكة واحدة لا تعرف بعد ذلك التناقضات ولا الماسي و لا النزاعات او المشاكل، كما وجدت صيغها العقلانية التي يمكن عد من بينها **تعاليم الحقبة الثالثة** لفيلسوف الوضعية اوغست كونت.

كانت الافكار العولمية مميزة بالنسبة للاشتراكيين الاوروبيين في الغالب، وبخاصة الانجليز منهم (وقد اتحد بعضهم في الجمعية الفابيانية*، كما تحدث الشيةعيون ايضا عن الدولة العالمية الموحدة،

لقد امتلكت الولايات المتحدة الامريكية منذ اواسط القرن العشرين قدرا من كل مقومات القوة والنفوذ يفوق ما تمتلكه منفردة اي دولة رأسمالية ليبرالية اخرى من تلك المقومات، الامر الذي اتاح لها الفرصة للعب دور اساسي في انتصار الليبرالية الرأسمالية على الشيوعية الاشتراكية و كسر النظام القطبي، كما اهلها للتضلع لقيادة العالم كله، وإذ ادركت مراكز التخطيط الاستراتيجي الامريكية من جهة اهمية هذه التحولات الكبرى الجارية في العالم

---

* لم تكن انجلترا مع نهاية القرن 19 تحتضن حركات اشتراكية متطرفة في برامجها بالرغم من شعور الكثرة بضرورة إحداث التغيير الاجتماعي، إلا أن المؤمنين بأفكار كارل ماركس K.Marx كانوا قلة، واليساريين، ولاسيما من الطبقة الوسطى المتعلِّمة، كانوا يطمحون إلى شيء مغاير، أقل عدائية من أفكار ماركس في حال تطبيقها، فوجدوا ما يبغونه إيديولوجياً في «الجمعية الفابية» (ويلفظها بعضهم الفابيانية) Fabian Society التي أسسها في أكتوبر عام 1883 إديث نِسْبيت Edith Nesbit وهيوبرت بلاند Hubert Bland اللذان كوّنا مجموعة حوار اشتراكي مع إدوارد پيز Edward Pease. وكان فرانك بودمور Frank Podmore هو الذي منح الجمعية اسمها الفعلي عام 1884، الذي استعاره من اسم القائد العسكري الروماني فابيوس مكسيموس Fabius Maximus، الذي اشتهر بلقب المتريث Cunctator لتجنبه المعركة المباشرة والحاسمة ضد حنابعل Hannabal، مفضلاً الهجمات الصغيرة والسريعة، محققاً بذلك الانتصار البطيء/المضمون، بدلاً من الهزيمة السريعة الحتميّة، فكان هذا الأسلوب التكتيكي رمز لعملية تفكير أعضاء الجمعية، الذين اصروا على أن الديمقراطية الاجتماعية لن تتحقق بالثورة والعنف، حسب تنظيرات ماركس، وإنما بالتحرك الديمقراطي البطيء والمستمر.

وضرورة استغلالها لانتصار و انتشار النظام الليبرالي الرأسمالي، فقد مكنت لأفكارها بتبني العولمة كسلاح فتاك متعدد الاوجه و الأبعاد وجعلتها برنامج عملها الذي عرضه الرئيس الامريكي الاسبق جورج بوش الاب امام الجمعية العامة للامم المتحدة في 01 اكتوبر 1990، واعلن زعامة الولايات المتحدة للعالم و نظامه الجديد و مسؤوليتها الكاملة على اقامته و اللجوء الى القوة لحمايته، و عمل على تحديد طبيعته وخصائصه و وضع حجر الاساس لبنائه، من حيث انه: " عالم مختلف..ذا حدود مفتوحة، تجارة مفتوحة، و عقول مفتوحة"،

و بقدر ما احددت طبيعة هذا النظام و خصائصه الاساسية سلفا بفعل الاحداث التي وقعت في الخليج و اوربا الشرقية، كما جددت الادارة الامريكية اللاحقة على لسان رئيسها بيل كلينتون التأكيد على زعامة الولايات المتحدة للعالم و نظامه الجديد و مسؤوليتها عنه، و بذلك استعاد العقل الاستراتيجي الامريكي المعاصر الفكرة الغربية التقليدية القديمة عن مسؤوليتها العالمية الشاملة للدولة العظمى و التي سبقها فيه العقل الاستراتيجي الروماني القديم الى طرحها واستخدامها ... "انها تتحمل وحدها من الان فصاعدا مسؤولية الحضارة و الدفاع عنها".

وليس قدم العولمة وأسبقيتها الزمنية ما يرجى اثباته فحسب، بل محاولة اثبات قدم المسعى الامريكي للتحكم في نشاطات العولمة و السيطرة على العالم من خلال اليات العولمة الخطيرة التي هي من جوهر المنظور الليبرالي الرأسمالي و تجسيد اسسها و مبادئها من خلالها في كل مجالات الحياة، ومن ثم و طبعها بالطابع الأمريكي و لعل خير دليل على ذلك هو الملاحظة التي ابداها المفكر الالماني المعروف " ماكس فيبر" 1919 في محاضرته " حرفة العالم و دعوته" التي يقول فيها : " ان التطور الراهن للنظام الجامعي الالماني يأخذ اتجاه النظام الأمريكي ثم يضيف لتوضيح هذه الملاحظة وتوسيع نطاقها: " ان الجامعة الالمانية (تتامرك) من وجوه عديدة مثل بقية قطاعات حياتنا". كما لا ننسى هنا (مشروع مارشال) لإعادة اعمار اوروبا بعد الحرب العالمية الثانية نجح في تحقيق هذا الهدف بقدر ما نجح ايضا في اضفاء الطابع الامريكي في الجانب الاقتصادي في الحياة الأوروبية.

فالعولمة الى هنا، تعني من الناحية العملية ومنذ انتهاء الحرب الباردة نشر مبادئ و افكار الليبرالية الرأسمالية على الطريقة الانجلوامريكية في العالم، و ذلك من خلال عولمة الثقافة والمقدسات العالمية ومسحها و من ثم استبدالها بالثقافة الليبرالية الانجلوامريكية و من ثم تجسيد الهيمنة الأمريكية و هذا ما اكده الباحث فرنسيس فوكوياما في كتابه " نهاية التاريخ" الذي يعلن فيه انتصار الليبرالية رأسماليا اقتصاديا والديمقراطية سياسيا، كما يمكن جمع بعض الاراء القائلة"

1- ان العولمة في مرحلتها المعاصرة تقوم على القدرة المزدوجة الثقافية و الاقتصادية على التأثير في حياة الاخرين دون الحاجة الى احتلالهم عسكريا كما كان يحدث في السابق.
2- ان العولمة في مرحلتها المعاصرة ليس مجرد الية من اليات التطور التلقائي للنظام الرأسمالي الليبرالي بل تعني توجيه العالم لتبني النموذج الفكري الامريكي الليبرالي.
3- ان تنفيذ سياسات العولمة في مرحلتها المعاصرة تتم باستخدام الثقافة الامريكية و قيمها واساليبها في الحياة اكثر مما يتم باستخدام الوسائل العسكرية التي ادرك العقل الليبرالي انها باتت تقليدية.
4- انتشار المعلومات وسرعة انتقالها بين الناس دون قيد او شرط و زيادة سرعة الابتكارات في مجال تكنولوجيا المعلومات و الاتصالات.
5- سيطرة النمط الثقافي الليبرالي و الاديولوجي و التأثير على انماط الاستهلاك و الاعلام والترفيه.
6- تحويل ادوار الدولة و وظائفها من دولة ذات سيادة الى دولة حارسة و ثم الى دولة خاصة يحكمها نخبة من الاشخاص. (تقليص و تهميش و الغاء معنى الدولة).
7- زيادة نسبة معدلات التماثل و التشابه بين الجماعات و المجتمعات.
8- توسيع لمساحات نشاطات الاسواق المالية و المستثمرين الدوليين و الشركات المتعددة الجنسيات و من ثم زيادة توسع الليبرالية و نفوذها الرأسمالي و حجم مصالحها الكونية.

كما ان التطبيق الامريكي للعولمة محكوم بالقدرة الامريكية على:

1- منع اية دولة او مجموعة من الدول من استخدام قواها لتغيير النظام الدولي الراهن ونشاطاته.
2- العمل على التقوية المستمرّة لثقل الرّأسماليّن في ميزان القوة وتوسيع المجال الجغرافي لتدخل الشراكات العابرة فوق القوميّة ليشمل كافة أرجاء الكون.
3- العمل على خصخصة المؤسسات العمومية الحكومية و خاصة المؤسسات الحساسة، ومسح اوجه سيادة الدولة الوطنية،
4- العمل على خصخصة المؤسسات الامنية و ادماج المجتمع المدني في الصناعات العسكرية.
5- العمل على تعديل البرامج التعليمية بمقررات و مناهج تعمل على توجيه العقول الى قبول مبادئ الليبرالية.

صحيح ان تنفيذ هذه الاليات لسياسات العولمة من اجل تجسيد الفكر الليبرالي الرأسمالي اعتمادا على الوسائل الثقافية و الاقتصادية و السياسية و غيرها ..لا يعني بأي حال من الاحوال امكانية استخدامها لوسائل القسر و الارغام المتنوعة المتاحة لها لتنفيذ تلك السياسات كما ينص على ذالك الفكر الليبرالي فالواقع اقر ذلك باستخدام القوة في العديد من بلدان العالم (العراق، الصومال، افغانستان...و ليبيا و سوريا حاليا)، لكن الاكثر من ذلك، فالملاحظ الدارس لجوهر الفكر الليبرالي يسطيع فهم مقدمات العولمة و نتائجها التي لن تؤدي الى تهميش الاغلبية في العالم النامي فحسب، بل انها ستؤدي ايضا الى تهميش هذه الاغلبية حتى في العالم المتقدم لصالح فئة محدودة من اصحاب رؤوس الاموال و الخبرات العلمية و التقنية المتطورة.

كما ترادفت من قبل ايضا دلالات و غايات مفاهيم العالمية و العولمة و النظام العالمي مع دلالات و غايات مفاهيم اخرى مثل: " السلام الروماني" و من بعده "السلام البريطاني" التي كانت تشير الى الانتشار العالمي للسيطرة العسكرية، السياسية، الاقتصادية و الثقافية لهاتين الامبراطوريتين على اوسع رقعة يمكنها السيطرة عليها من العالم.

اما مصطلح النظام العالمي الجديد السابق في النشاة و التداول على مصطلح العولمة والمرادف المعاصر له في المعنى و الدلالة، فيعود تاريخ ظهوره الى وقت مبكر من القرن العشرين

عندما تحدث رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل عقب الحرب العالمية الاولى عن النظام العالمي الجديد الناشىء عن انتصار الحلفاء و الهيمنة الانجلوسكسونية، ثم اعاد الرئيس الامريكي فرانكلين روزفلت هذا المصطلح الى التداول بعد ان استخدمه عام 1941 ليفسر به و يبرر اشتراك بلاده في الحرب العالمية الثانية معتبرا ان انتصار الولايات المتحدة و حلفائها في الحرب سيؤدي الى قيام نظام عالمي جديد يكون جنة يتحرر فيها الناس من الفقر والجهل و المرض و الظلم السياسي و الاجتماعي.

وفي سبعينيات القرن العشرين اعاد وزير الخارجية الامريكي هنري كسنجر استخدام المصطلح للإشارة الى النظام العالمي الناشئ عن تحول العلاقة بين القطبين الامريكي و السوفييتي من مرحلة الحرب الباردة الى مرحلة التعايش و الوفاق، ولم تكن الاوساط الاكاديمية الغربية بعيدة عن فكرة النظام العالمي الجديد، حيث استخدمتها لأسباب و اهداف متنوعة، كما فعل الامريكي " روبرت باك" في دراسة له بعنوان " **الرمزية و التنشئة الاجتماعية**" عام 1939، اعتبر فيها ان مضمون التنشئة الاجتماعية التقدمية للعالم يتجسد في ادماج سكان الارض في اقتصاد عالمي يضع اساسا سياسيا و اخلاقيا جديدا شاملا للحياة الإنسانية كما استخدمها فرنسيس فوكوياما في دراسته الشهيرة " **نهاية التاريخ**" عام 1989 التي اطلق فيها نظريته عن تحول النظام الرأسمالي الليبيرالي الغربي الى نظام عالمي بحكم حتمية انتشاره و تطبيقه في كل المجتمعات الإنسانية مصورا اياها بالنصر غير المشروط لليبرالية السياسية و الاقتصادية التي باتت شكل من اشكال ادارة المجتمعات البشرية، من منطلق اعتقاده بحتمية الانتصار الكامل و النهائي للنظام الديمقراطي الليبرالي الغربي وانتشاره عالميا طوعا او كرها، عاجلا او آجلا وصولا الى تحقيق مفهوم "**الدولة العامة المتجانسة**" التي اقتبسها من المفكر الايطالي انطنيو غرامشي.

يمكن الزعم بان العولمة هي المفهوم الدال عللى العمليات المعاصرة للانتشار العالمي لمكونات النظام الرأسمالي الليبرالي و نشاطاته بأساليب سلمية/ذكية غير مباشرة و وسائل ثقافية واقتصادية في اواخر القرن العشرين و بدايات القرن الحادي و العشرين، و تتجسد العولمة بمعناها هذا اقتصاديا في التسارع و التكاثف المفرطين في معدلات التركز الاحتكاري لراس المال

وتحرير التجارة من القيود و الغاء الرقابة و خصخصة ما امكن من المؤسسات الحكومية، وتقنيا في التحسن الهائل في وسائل الاتصال وتبادل المعلومات مما قرب اجزاء العالم الى بعضها وزاد من تداخلها واندماجها وجعل الجدود بينها شفافة، فسهل بذلك انتقال الافكار والاموال و السلع وحسن بذلك التنميط الموحد لأساليب التفكير و التصرف، و سياسيا في احلال الشرعية الدولية محل السيادة الوطنية التي بدورها تقود الى مفهوم خصخصة الدولة " او الدولة التي تسودها الشركات الاجنبية الكبرى الخاصة"، و من ثم فقد باتت مفاهيم العولمة و النظام العالمي الجديد ونهاية التاريخ تشترك في التعبير عن معنى واحد و هو انتصار النظام الليبرالي الرأسمالي.

- **بعض المصطلحات الجيوسياسية:**

1- المحور الجيوبوليتيكي :Geopolitical axis- تم استعمال مصطلح المحور الجيوبوليتيكي من قبل المفكر **بريجنسكي Prejensky-** ويشير إلى الدول التي تستمد قوتها من موقعها الجغرافي، قد تكون ممرات إلزامية أو منافذ مهمة نحو مناطق أخرى ونأخذ أمثلة عن ذلك إيران، الجزائر...

2- المجموعة الجيوبوليتيكية :Geopolitical Group- ويقصد بها مجموعة من الدول لديها حركة متماسكة ومستمدة من موقعها الجغرافي، بحيث هذا الموقع يجعلها تتحرك كوحدة واحدة مثلا: الإتحاد الأوروبي يمثل مجموعة جيوبوليتيكية.

3- الوضعية الجيوبوليتيكية :Geopolitical Situation- يعرف **ايف لاكوست** الوضعية الجيوبوليتيكية بقوله: نقول أن هناك وضعية جيوبوليتيكية عندما تتوفر مجموعة من الأشياء منها :

- وجود مسار تاريخي أيْ فترة زمنية معتبرة.
- وجود صراع/تصادم في القوة بين فاعلين أو أكثر على نطاق واسع.
- وجود علاقات قوّة بين دولتين بحيث أ يحاول الضغط على ب و ب يحاول الرد.
- يستهدف إقليم معين. مثلاً قضية الصحراء الغربية تمثل وضعية جيوبوليتيكية.

التيليروكراتيا و التلاسوكراتريا (سلطة البر و سلطة البحر):

القانون الاساسي للجيوبوليتيكا هو اقرار الثنائية المنعكسة في التكوين الجغرافي لكوكب الارض و في المنطقة التاريخية للحضارة[1]، و هذه الثنائية تعبر عن نفسها في مواجهة التيليروكراتيا (القوة البرية) و التلاسوكراتيا (القوة البحرية)، وطابع هذه المواجهة يقضي الى المواجهة بين الحضارة التجارية (قرطاج،اثينا)، و الحضارة ذات الهيبة العسكرية (روما، اسبرطا).

التيلوروكراتيا "سلطة البر":

ترتبط **التيليروكراتيا** بثبوتية المكان و رسوخ توجهاته و خصائصه النوعية، اما على المستوى الحضاري فيتجسد ذلك في الاستقرار في الروح المحافظة على المعايير الحقوقية الصارمة،

التجمعات البشرية الكبرى، الأسر القبائل، الشعوب، الدول، الامم و الإمبراطوريات، فرسوخ اليابسة يتجسد ثقافيا في رسوخ الاخلاق و ثبوتية التقاليد الاجتماعية، و من خصائص هذه الشعوب الروح الجماعية.

كلمة يونانية تعني "السيطرة عن طريق البر" أو "القوة البرية" ويعتبر خاصية أساسية من خصائص الدول الكبرى ذات التوجه الجيوبوليتيكي على اليابسة. ويعتقد أصحاب هذا المصطلح أن للأرض "اليابسة" علاقة قوية بقوة ومكانة الدولة، فالمساحة الكبيرة والموارد التي تتيحها المساحة تلعب دورا هاما في نشأة وتدعيم القوى السياسية، ومثل هذه المساحات الكبيرة لا توجد إلا في الدول القارية ذات الامتدادات الضخمة.

بناءا على ذلك يعتقد هؤلاء أن السيطرة على البر كفيل ببسط السيطرة العالمية، حيث يدلنا التاريخ على أن معظم الإمبراطوريات التي عرفتها البشرية في الماضي كانت إمبراطوريات برية، قد نشأت وتطورت وارتقت لمجرد سيطرتها على مساحات كبيرة من سطح الأرض -في اليابس- من أمثلة هذه الإمبراطوريات الإمبراطورية الرومانية والصينية والروسية.

إلا أن مصطلح التيلوكراتيا مرتبط حديثا بمصطلح الأوراسية، حيث أصبح يعبر تاريخيا عن القطاع الشرقي من الحضارة الإنسانية، واستراتيجيا عن الحلف الفاعل أو الحلف المحتمل

---

[1]- **الكسندر دوغين:** المرجع نفسه، ص60.

للدولة والأمم التي ترفض الإيديولوجية الليبرالية –الديمقراطية- واجتماعيا يعبر عن السير على هدى "الإديوكراتيا أي سلطة الأفكار، المثل والمبادئ" الدولة الاجتماعية والبناء الاقتصادي غير الرأسمالي.

التالاسوكراتيا:

(سلطة البحر)، تمثل نمطا لحضارة تقوم على اسس مغايرة، فهو نمط ديناميكي نشيط للحركة، ميال للتطور التقني و من اولوياته التنقل و بخاصة البحري التجاري، وكذلك روح المبادرة الفردية، و الفرد فيها كالجزء الاكثر حركية في المجموع، و من هذا النمط الحضاري يتطور بحيوية وبسهولة، كما يبدل مظاهره الثقافية " الخارجية"، فلا تبقى ثابتة إلا التشابه الضمني مع التركيبة العامة. [1]

هي كلمة يونانية تعني "**السلطة عن طرق البحر**" أو "**القوة البحرية**"وهي من الخصائص الجيوبوليتيكية الأساسية للدول أو الأمم التي هيمنت على الملاحة البحرية.

ويرى أنصار هذا المفهوم أن للقوى البحرية أفضلية تمكنها من السيطرة العالمية، وأقدم هؤلاء الجيوبوليتيكيون هو الأميرال ألفرد ماهان وحينما يكتب ماهان عن القوة البحرية فإنه يعني القوة العسكرية التي يمكن نقلها بالبحر إلى المكان المطلوب، دون أن يعني مجرد الأسطول البحري، ومن ثم فإن التحكم في البحار يعني لديه التحكم في القواعد البرية التي تتميز بالمواقع الإستراتيجية المتحكمة في النقل البحري، والقواعد البحرية التي تحميها أشكال السواحل من جهة، وعمق خلفيتها الأرضية من جهة ثانية.

لقد تزايد الاهتمام بالقوة البحرية بعد أن تحولت البحار من الغموض والظلمات -التي خيمت فوقها لعصور طويلة- إلى طرق ومسالك معروفة ومألوفة في الشرق والغرب، وأصبحت الحركة في البحار تحكم كثيرا من الاعتبارات السياسية والاقتصادية، وأضافت أبعادا كثيرة لبعض القوى البحرية التي تغيرت بسبب معرفتها بالبحار أو قدرتها على الحركة فيها، فغيرت أبعاد البناء السياسي لهذه القوى.

---

[1]- **الكسندر دوغين:** مرجع سابق، ص62.

لقد كانت بريطانيا المثال التاريخي الأبرز في هذا الإطار، حيث مكنها موقعها الجغرافي من السيطرة على خطوط الملاحة من وإلى شمال أوروبا، وقد كان لها أسطول حربي ضخم يتعذر على الدول القارية في أوروبا أن تنشئ مثله، ذلك مكنها في الوقت نفسه من حصار موانئ القارة الأوروبية وقت الضرورة ولكي تدافع به عن الجزر البريطانية، كما أن أي دولة في أوروبا كانت غير قادرة على إعداد جيش بحري للدفاع عن أراضيها بسبب موقعها البري، ولذلك نالت إنجلترا أوسع فرصة، فكونت إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس فيما وراء البحار بسبب قوتها البحرية. وقد أصبحت الو.م.أ الوريث الشرعي للقوة البريطانية بعد أفول هذه الأخيرة.

وفي مرحلة الحرب الباردة وما بعدها أصبحت التلاسوكراتيا مرادفا لمصطلح الأطلسية، وقد صارت تعبر عن مصطلح جيوبوليتيكي معقد، يجمع في داخله تاريخيا القطاع الغربي من الحضارة الإنسانية، أما استراتيجيا فيعبر عن إتحاد البلدان الغربية التي تسيطر فيها الإيديولوجية الليبرالية –الديمقراطية- وعسكريا يعبر عن الدول المشاركة في حلف الناتو، أما اجتماعا فيشير إلى التوجه نحو النظام التجاري وقيم السوق أي أن نموذج الو.م.أ المناوئ للأوراسية.

الايروكراتيا و الاثيروكراتيا:

بالإضافة الى " اليابسة و البحر" على الجيوبوليتيكا العملية ان تضع في الحسبان عفويتين تاليتين – هما الجو و الاثير (المدى الكوني). و على المستوى العسكري يقابل هاتين العفويتين السلاح النووي (الجو) و برنامج "حرب النجوم" (الكون)، و بالتشابه مع التيليروكراتيا (سلطة البر) و التالاسوكراتيا (سلطة البحر)، يمكن لهذين النظامين الجيوسياسيين الاكثر حداثة ان يسميا بـ"الايروكراتيا (**سلطة الجو**) والاثيروكراتيا (**سلطة الاثير**).

الجيوبوليتيكا الاطلسية التقليدية التي تجعل القوة البحرية في مركز تصوراتها هي " جيوبوليتيكا البحر"، و الاستراتيجية الشاملة القائمة على اساس هذه الجيوبوليتيكا ادت بالغرب الى بناء القوة العالمية، إلا ان تطوير التقنية ادى الى غزو المدى الجوي وهو ما جعل التعامل مع جيوبوليتيكا الفضاء امرا حيويا.

وخلافا "لجيوبوليتيكا البحر" فان "جيوبوليتيكا الفضاء" ."الايروكراتيا (سلطة الجو) والاثيروكراتيا (سلطة الاثير)، المدروسة المكتملة الصياغة غير موجودة، فعامل الملاحة الفضائية يضاف الى اللوحة الجيوسياسية العامة، بيد ان عددا من الخلافات المتبادلة ازاء تفعيل الوسط الفضائي وما يرتبط به من انماط التسلح الجديدة (الطيران الاستراتيجي، الصواريخ، الاسلحة الذرية العابرة للقارات) قد تبدل بصورة ملموسة.

الايروكراتيا و الآثيروكراتيا كلمتان ذات اصل يوناني، وتعني الاولى "السلطة عن طريق الجو"، والثانية تعني: "السلطة عن طريق الطبقات ما فوق الأثير"، وتقوم على الإستراتيجية المعتمدة على تطويع المدى الجوي-الفضائي واستخدامه في أهداف التوسع الجيوبوليتيكي.

يربط أصحاب هذا المصطلح بين السيطرة على الجو وتحقيق السيطرة العالمية، حيث توقع هؤلاء أن القوة الجوية بإمكانها تحقيق السيطرة على منطقة القلب، وعلى الجزيرة العالمية، وسواحل الجزيرة العالمية على البحار بالإضافة إلى الجزر الواقعة عبر البحار وبالتالي تحقيق السيطرة العالمية، لذلك فعلى القوى الراغبة في بسط السيطرة العالمية أن تعمل على تطوير قواتها الجوية لاسيما سلاح الطيران. أما سلطة الفضاء أو الآثيروكراتيا وهي كذلك كلمة يونانية تعني: "السلطة عن طريق الطبقات ما فوق الأثير".

لقد كان غزو المدى الجوي أمرا حيويا، جعل الباحثين يتعاملون مع جيوبوليتيكا من نوع خاص، تسمى جيوبوليتيكا الفضاء، حيث ساوى غزو الفضاء إلى حد مابين اليابسة والبحر، لأن الفارق بين هذين المجالين ليس كبيرا بالنسبة للطائرات والصواريخ، التي جعلت الأرض "أصغر حجما"، وكان نقل الأسلحة إلى المدار الأرضي والغزو الاستراتيجي للفضاء الخارجي المرحلة الأخيرة في تقليص الكوكب الأرضي، مما يعني أن العالم يصبح قبضة سهلة في يد القوة التي تملك السيطرة على الفضاء.

لقد ساوى غزو الفضاء الى حد ما بين اليابسة و البحر، لان الفارق بين هذين المجالين ليس كبيرا بالنسبة للطائرات و الصواريخ.(كان اختراع حاملات الطائرات ذا اهمية خاصة لأنه قطع القواعد الجوية بصفة نهائية عن اليابسة و انهى ارتباط هذه القواعد بطبيعة سطح الارض).

وفضلا عن ذلك بدل تطور الطيران من نسب البعد الكوني، اذ جعل الارض اصغر حجما الى حد بعيد و المسافات أقصر كما ان صناعة الصواريخ وتطور الطيران الاستراتيجي جعلا من العوامل الجيوبوليتيكية التقليدية – الحدود البرية – و القواعد القارية الداخلية وسواها – امرا نسبيا الى حد بعيد.كان نقل الاسلحة الى المدار الارضي و الغزو الاستراتيجي للفضاء الخارجي المرحلة الاخيرة في " تقليص" الكوكب الارضي وإضفاء النسبية النهائية على الفروق في المسافات.

محاضرة

جيوسياسة الطاقة وأثرها على العلاقات الدولية

مقدمة

إن مسالة أمن الطاقة باتت تعتبر أكثر المفاهيم الأمنية حساسية بعد أن أخذت مكانة علمية واسعة ضمن فضاء الدراسات الأمنية و الإستراتيجية، كما ظلت الموارد الطبيعية جزءا هاما من الإستراتيجيات العالمية، و باتت قضية من القضايا ذات الأسبقية التي توليها جميع دول العالم جل اهتماماتها عند دراستها للقضايا المتعلقة بأمنها الاقتصادي وأمنها القومي، فقد أجمع الخبراء الاقتصاديون و السياسيون و خاصة منهم العسكريون، أنه ليس هناك سلعة قادرة على إشعال النزاعات و الحروب بين الدول حاليا أكثر من النفط، فالنفط يلعب دورا بالغ الأهمية في الاقتصاد العالمي، إذ لا يزال متربعا على أكثر مصادر الطاقة نفعا واستخداما على مستوى العالم رغم الضغوطات الشديدة المحيطة باستخدامه.

النفط اليوم يبرز كسلعة حيوية، تؤثر إيجابا و سلبا على مسار العلاقات الدولية، بالتالي تحول النفط من عامل يحقق الإستقرار أحيانا، إلى عامل يسبب الفوضى و الحروب أحيانا أخرى، و نظرا لأهمية النفط المتزايدة، أصبح ينظر إليه كسلعة سياسية واستراتيجيه ذات أهمية جوهرية، له دوره في اتخاذ القرار السياسي ورسم الخطط في السياسة الخارجية، فتحول النفط بذلك من سلعة اقتصادية إلى هدف استراتيجي، وعاملا مهما في التأثير على العلاقات الدولية إيجابا و سلبا، بين التعاون و التصارع، التي يثبت التاريخ و يظهر غلبة الثانية على الأولى.

وبما أن مصادر الطاقة تعتبر أهم المقدرات تأثيرا على السياسات الداخلية والخارجية للدول المنتجة والمستهلكة، خاصة السياسات الاقتصادية والسياسات الأمنية، كون المورد الطاقوي يعمل ويساعد على تحديد مجلات التحرك والبدائل المتاحة أمام صناع القرارات للدول في حالات التعاون والتنافس والصراع، فمواقع مصادر الطاقة في العالم توضح أن أكبر نسبة من المخزون الطاقوي يتواجد في مناطق من منطقة الشرق الأوسط وروسيا وإفريقيا وآسيا الوسطى وأمريكا اللاتينية.

من المعلوم أن كميات الطاقة المنتجة في العالم الصناعي المتقدم، هي أقل بكثير من نسبة استهلاكها منه، ما أدى إلى زيادة اعتمادها على الأسواق الخارجية لتغطية حاجتها من الاستهلاك

المحلي وضمان استمرارية تنميتها التي تضمن استقرار أوضاعها الاجتماعية الداخلية، ما يبدي بوضوح مدى خطورة عامل الطاقة الذي أصبح أساس الأمن القومي والدولي، فالقوى الكبرى تعلم بالأهمية البالغة للموارد الطاقية والخلل القائم على ميزان وضع الدول في هرم النظام الدولي من خلال مدى توفر مصادر الطاقة لديها، فأغلبها يعاني من تبعية و نقص الموارد الطاقية من جهة، كالاتحاد الأوروبي، الصين، الهند و اليابان.

الآثار الأمنية للاقتصاد في بعده الوطني والدولي:

للأمن الوطني مجموعة أبعاد ومحددات تؤثر فيه، يختلف البعد الاقتصادي فيها عن باقي تلك الأبعاد، نظرا لتأثيره البالغ والسريع على استقرار الدولة وعلى كافة الأبعاد الأخرى، كما يمكن استخدام هذا البعد كقوة مضافة بيد الخصوم للتأثير على الأمن الوطني وتهديده، أما من جهة الدولة المهددة، فيستخدم لإحداث توازن في حالة اختلال أمنها الداخلي بالتأثير على الأبعاد الأخرى، فالقدرات الاقتصادية القومية، تلعب دورا مهما في تحديد مقدار القوة التي يمكن للدولة أن تمارسها في النسق الدولي **(1)**.

- **تعريف دافيد بالدوين:** DAVID A. BALDWIN "، الأمن هو محصلة المصالح القومية الحيوية للدولة".

- **تعريف لورنس كارن و ج ناي:** LAWRANCE KAREN, J, NEY " الأمن هو غياب التهديد بالحرمان الشديد من الرفاهية الاقتصادية"، هذا التعريف يشير إلى القوة الاقتصادية كركيزة رئيسية للأمن الوطني.

كما أن موضوع أمن الطاقة يجمع بين العديد من العوامل الاقتصادية والسياسية والأمنية والبيئية والجيولوجية، ويثير العديد من التحديات الجيوسياسية ضمن عدة مستويات، محلية إقليمية ودولية، وفي وجود عدة متدخلين على طول سلسلة إمدادات الطاقة من مناطق الإنتاج إلى الأسواق الاستهلاكية (دول منتجة، دول عبور، دول مستهلكة، منظمات دولية للطاقة، المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية البيئية، فضلا عن الشركات العالمية للطاقة المتعددة الجنسيات...).

تظهر العلاقة القوية بين الاقتصاد والأمن في مختلف مستوياته، المحلي والإقليمي والدولي، من خلال التأثير البالغ للاقتصاد على باقي أبعاد الأمن، خاصة البعد الاجتماعي، فالرفاهية الاقتصادية من عوامل استقرار الدول وثباتها اجتماعيا أيضا، بحيث كلما كانت حاجات المجتمع مشبعة إلى حد ما، تكون نسبة التماسك المجتمعي أقوى وولاء أكبر للوطن، ما يؤثر بدوره على نسبة الأمن والاستقرار.

يتأثر تبعا لذلك البعد العسكري بمدى قوة مقومات اقتصاد الدولة ومدى قوة قدرتها على ضمان وحماية حاجاتها ومقدراتها الاقتصادية، ما يترتب عنه ترتيب معين في مستوى حجم الإنفاق على هذا القطاع.

أما بالنسبة للسياسة الخارجية للدولة، فيحدد دورها ووزنها وترتيبها في هيكل النظام الدولي بناء على حجم وقوة اقتصادها، وأما عن علاقة الاقتصاد بالبعد الاجتماعي، فإن جودة التعليم مرتبطة بالاقتصاد، وبالطبع هناك أيضا تأثير البعد الاقتصادي على باقي الأبعاد الأخرى مثل البعد الثقافي، والديموغرافي.

مفاهيم وتعاريف أمن الطاقة:

تعتبر الطاقة بمثابة " الدم " الذي يسري في شرايين الصناعات الحديثة والعصب الرئيسي للاقتصاد الحديث، وفى الوقت الراهن، النفط يعد مورد استراتيجي يتمتع بأبعاد سياسية لما له من تأثيرات على استقرار وأمن الدول، واليوم يعتبر أنه لا يوجد مادة أولية قوية وذات علاقات وطيدة جدا بالجيوسياسة كما هو النفط .

إن الحديث عن مفهوم أمن الطاقة يقود إلى مرحلة الحرب العالمية الأولى، حيث تبلور البعد الإستراتيجي لأمن إمدادات الطاقة، حيث جاء في قرار الأميرال "وينستن تشرشل"، بالتحول إلى استخدام النفط المستورد بدلا من الفحم المنتج محليا، وقد اتخذ هذا التحول في " أمن الطاقة " بعدا استراتيجيا في العلاقات الدولية، ما دفع إلى بروز البعد الأمني للطاقة كقضية إستراتيجية وطنية.

أما في فترة الحرب العالمية الثانية، بدا ذلك البعد أكثر وضوحا، فبدخول الطيران الحربي كعنصر جديد فعال في الحرب، وبزيادة نسبة اعتماد الوسائل الحربية على كل أنواع الوقود السائل، أصبح لدى كل من الأطراف المتحاربة أهداف إستراتيجية متوازية، أهمها:

كما انه ظهر مفهوم "أمن الطاقة" كمسألة بارزة بعد الصدمة النفطية الأولى عام 1973، لما سعت عدة الدول إلى ضمان تدفق حاجاتها من الطاقة من دون انقطاع، لكن في مرحلة لاحقة صار من الضروري توضيح مفهومي الاستقلالية في مجال الطاقة وأمن الطاقة، فيمكن لدولة ما أن تكون غير مستقلة في مجال الطاقة، أي أنها تعتمد بالكامل أو بصورة جزئية على دول أخرى في تأمين حاجاتها منها، على نحو يشكل خطرا على أمنها الاقتصادي، ثم صار يجري الحديث عن تبعية البلدان المصدرة للنفط حين ظهر مصطلح المرض الهولندي*، أو "التبعية النفطية".

يعبر **DANIEL YERGIN**، رئيس مركز أبحاث الطاقة في جامعة كامبردج سابقا مقولة مشهورة من أجل تصنيف بعد الطاقة (النفط) في بيئة العلاقات الدولية، متحدثا عن السوق الأوروبية في الثلاثينيات من القرن العشرين حيث يقول: النفط هو 10 بالمائة اقتصاد و90 بالمائة سياسة.

بحيث، نجد أنه في حالة حدوث أي اضطراب حول هذا المورد، سيعيق استمرارية تدفق إمداداته، ما سينتج عنه حتما تبعات وخيمة على الاقتصاد الوطني والإقليمي والعالمي، فضلا عن استقرار المنظومة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدول، فجميع مكوناتها شديدة الارتباط باستخدامات الطاقة، بالمقابل نجد أن استمرارية الإمدادات من الطاقة كفيلة ببسط وترسيخ الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

لقد ارتبط الأمن الطاقوي العالمي بكل الأزمات الدولية مهما كان حجمها وموقعها في العالم، مثل توقف الإنتاج في فنزويلا سنتي 2002 و 2003، وفي 2003 بسبب غزو العراق وحتى أحداث ما يسمى بالقرصنة في المحيط الهندي والبحر الأحمر وحرب الصومال، كما أن مفهوم أمن الطاقة الوطني يشمل دراسة وضع البلدان لمستلزمات أمنها القومي ووحدة أراضيها، ودراسة احتمالات سعي بعض الجماعات السياسية أو العرقية أو الطائفية للانفصال طمعا للسيطرة

على منابع الطاقة أو حتى التحكم بإمدادات نقل النفط والغاز أو للحصول على امتيازات سياسية وحماية دولية كما هو الحال في جنوب السودان و شمال العراق.

المطلب الرابع: نظام أمن الطاقة:

إن نظام أمن الطاقة دفع مجموعات من الدول إلى تنسيق جهدها السياسي والأمني وتبادل المعلومات حول أوضاع الطاقة في العالم وأوضاع السوق، فأنشأت مجموعة من الدول المنتجة والمصدرة للنفط من البلدان النامية، منظمة حكومية مشتركة فيما بينها "الأوبك"* عام 1960، من أجل رعاية مصالحها وتنظيم الإنتاج، التصدير والتسعير، النقل والاستهلاك من جهة، ومن جهة أخرى جاءت كرد فعل على سياسيات شركات النفط العالمية، التي كانت تجحف الدول المصدرة للنفط.

كما ظهر "المنتدى الدولي للطاقة"، الذي سعى لدمج المعلومات من المنتجين والمستهلكين والتنسيق مع الوكالة الدولية للطاقة لتحسين تدفق المعلومات لكل الأطراف والحفاظ على استقرار اقتصاديات دوله من أي أزمات دولية محتملة، التي تشكلت عام 1973 من 16 دولة صناعية بغرض التصرف الجماعي لمواجهة أزمة النفط - فضلا عن الشقيقات السبع -المهيمنة على الصناعات النفطية العالمية.

لقد أثبتت الحرب العالمية الأولى أن من يملك النفط يملك القوة، كما أن امتلاك النفط يؤكد السيادة الوطنية، فقلد كانت القوى الكبرى على مر التاريخ تتحرك بفعل تشكيلات معقدة من دوافع اقتصادية والجيواستراتيجية ماجعل النفط أحد مقومات السياسات الدولية، وعنصرا جوهريا في استراتيجيات الدول ومؤججا للصراعات بين شركات النفط والدول التي تنتمي إليها من جهة والدول التي يتوفر فيها مخزون النفط من جهة أخرى.

المطلب الثاني: البعد الإستراتيجي والأمني للصراع الدولي على الطاقة

لقد ربطت الدول الصناعية الكبرى إستراتيجية الموارد الطاقوية بشكل وثيق مع أهدافها الجيوسياسية، فقبل اندلاع الحرب العالمية الثانية كان المحور الجغرافي للنفط والغاز الطبيعي العالمي في خليج المكسيك الأمريكي ، ثم انتقل تدريجيا - عقب الحرب - إلى منطقة الشرق الأوسط، لتحكم قبضتها على ثرواتها من خلال امتيازات

اتفاقيات طويلة الأمد توطيدا لمكاسبها السابقة لفترة الحرب العالمية الثانية (للولايات المتحدة وبريطانيا)، فظلت تلك المنطقة تتعرض لتحديات كبيرة كونها المحور الجغرافي للنفط والغاز العالميين.

إن الخريطة الجديدة اليوم لجغرافية مواقع النفط والغاز الطبيعي هي المناطق المنتجة للنفط في الشرق الأوسط من ناحية، مع روسيا المنتجة للنفط والغاز من ناحية أخرى ، متفاعلة مع بعضها البعض في عمليات الإنتاج والتصدير والإمداد، وتشكلان شريطا شاسعا يمتد من دول شمال إفريقيا، فمنطقة الشرق الأوسط، فبحر قزوين وسيبيريا الروسية فالشرق الأقصى، علما بأن هذه المناطق تحتوي على ما نسبته 67 بالمائة من الاحتياطي النفطي و 73 بالمائة من احتياطي الغاز الطبيعي في العالم أجمع، فلقد سماه بعض العلماء الصينيين باسم " شريط قلب النفط" ، كما يرون أن الطلب النفطي العالمي سيأتي أساسا من جزئيين يحيطان بهذا الشريط: أحدهما "المنطقة الهلالية الداخلية للطلب النفطي"، التي تضم شمال شرق آسيا وجنوب شرقيها وقطاعها الجنوبي إضافة إلى القارة الأوربية، علما بأن بريطانيا و اليابان تقعان على حافته، والأخر "المنطقة الهلالية الخارجية للطلب النفطي، التي تشمل أمريكا الشمالية والمناطق الإفريقية الواقعة جنوب الصحراء إضافة إلى أوقيانوسيا، وتشكل المنطقتان المذكورتان آنفا صورة جديدة لجغرافية الموارد النفطية والغازية على المستوى العالمي.

البعد الجيوسياسي للصراع الدولي على مصادر الطاقة:

تندرج المنافسة على هذه الموارد الطاقوية في إطار ما يسمى " بالمنافسة الجيوسياسية "، وهي نوع من التنافس بين الدول على الأراضي، الموارد الطبيعية، المعالم الجغرافية الحيوية مثل: الموانئ، الأنهار العامة، القواعد الإستراتيجية والمضايق والمواقع الجيومورفولوجية وغيرها من المنافذ، كالمنافسة الدولية حول بحر قزوين ومضيق ملكا والبحر الأحمر وغيرها، حيث تحتل هذه المضايق أهمية جيوسياسية معتبرة في مجال الطاقة.

لقد تطرق العديد من خبراء السياسة والإستراتيجيا منذ نهاية الحرب الباردة إلى وضع تصور يحدد معالم البيئة الإستراتيجية المعاصرة، في عالم أصبح يشهد تكتلات جيوسياسية جديدة،

فتوجهت الأنظار نحو مجال الصراع بين الشمال والجنوب أين تدور أغلب النزاعات والصراعات، فهي المنطقة التي تفتح مجالا للتدخل الإنساني والمساعدات الإنمائية، وبتنامي قوة بعض دول الجنوب - التي كانت محسوبة على التخلف- في المجال العسكري و الإقتصادي كالصين و الهند، فقد تم وضعها في مركز المنافس الإستراتيجي للغرب، و مع اتساع الغرب و تباعد الرؤى الأمنية والمصالح بين وحداته، برزت دعوات لتجسيد التعددية القطبية في مقابل النظرة التي تجعل من الولايات المتحدة الدولة القطب الوحيد مقابل جميع الوحدات الدولية.

كما نجد "منطقة الشرق الأوسط، آسيا الوسطى وبحر قزوين " من أبرز مناطق التنافس الدولي على الطاقة، فقد أصبحت على حد تعبير الأستاذ بريجينسكي "رقعة الشطرنج الكبرى" بين أمريكا القوة العظمى عالميا ، أوروبا، روسيا والصين، حيث أن لهذه الدول مصالح كبرى في المنطقة تتمثل في انسياب النفط والغاز بصفة هامة على المستوى العالمي ولدولها بصفة خاصة، وكل طرف في الرباعي يقوم بنسج علاقات عسكرية مع الحكومات المحلية وتزويدها بالأسلحة.

ومن ذلك، يتقرر نمط الصراع الدولي على النفط وفق الخريطة الجغرافية للموارد الطاقوية، فبالنظر إلى النفط من بعد متغيرات تاريخ السياسة الدولية، نجد بأن النفط أصبح بالتدرج بؤرة تنافس الدول من أجل دعم قوتها والسعي وراء الهيمنة والتوسع، فراحت الدول الكبرى تبحث عن كيفية السيطرة على مصادر طاقة والنفوذ، فقد نشبت في سنوات الحرب العالمية الثانية خلافات حادة بين بريطانيا والولايات المتحدة حول المصادر النفطية في الشرق الأوسط، فكان بعض أعضاء الحكومة البريطانية يعارضون بشدة تدخل الولايات المتحدة في نفط الشرق الأوسط مدعين بأن النفط هو آخر وأكبر الممتلكات التي خلفتها الحرب لهم، إلا أن الرئيس روزفلت في فيفري 1944، اقترح على بريطانيا أن يكون "نفط الخليج ملك لبريطانيا، والنفط العراقي والنفط الكويتي يتم مناصفته بين الطرفين، بينما النفط السعودي فهو ملك لأمريكا و حدها".

الصراع بين الدول المنتجة والدول المستهلكة، والشركات النفطية العالمية.

لا شك أن الصراع على الموارد الطبيعية لتحقيق "أمن الطاقة" يختلف باختلاف وضعية الدولة في المعادلة الطاقوية، فهناك دول منتجة ترى أن الأمن الطاقوي عبارة عن استمرار تدفق صادراتها النفطية إلى الدول المستهلكة، كما ترى الدول المستهلكة من "الأمن الطاقوي أنه " عبارة عن ضمان حصولها على إمدادات الطاقة بأقل تكلفة، فقد تدخلت حكومات البلدان الصناعية الرئيسية الكبرى عبر سياساتها الخارجية، وأحيانا بالقوة العسكرية، من أجل الحصول على امتيازات نفطية، إما بالاحتلال أو بنوع من الحماية الأجنبية أو التدخل و النفوذ، وسرعان ما نشرت شركات النفط الأجنبية دفعا من حكوماتها القوية نفوذه في الشرق الأوسط -كونها منطقة الإنتاج و التصدير الأكثر سخونة من هذا النوع من الحروب - و شمال إفريقيا و غيرها، بحثا عن ثروات اقتصادية و منافع إستراتيجية، فمن أشكال الصراعات بين الدول المنتجة و الدول المستهلكة نذكر ما يلي:

تأثير استغلال واحتكار شركات النفط العالمية المتعددة الجنسيات

لقد سيطرت مجموعة قليلة من شركات النفط العالمية - اصطلح على تسميتها الشقيقات السبعة - المملوكة في غالبها من طرف الولايات المتحدة الأمريكية - على استغلال واحتكار النفط العالمي بأقصى حدود الاستغلال لتحقيق مصالحها الذاتية، والمصالح الحيوية للدول المنتمية إليها، دون الاعتبار إلى متطلبات ومصالح الشعوب، المالك الشرعي لهذه الثروة الناضبة، فلم يكن هناك توازن بين ما تملك هذه الدول من القوة التي تملكها شركات النفط

الدولية العملاقة، المدعومة من طرف دولها، العاملة تحت حمايتها ورعايتها، حيث تسيطر وتحتكر هذه الشركات على جميع مراحل نشاط الصناعة النفطية، البحث و الإستكشاف، الحفر والتنقيب، الإستخراج والإنتاج، التكرير، النقل و التوزيع، إلى أخر مرحلة و هي مرحلة الصناعة البيتروكيماوية، فهي نتيجة لذلك سيطرت سيطرة شبه كاملة على مناطق النفط في العالم، و هذا يسمح لها بالتحكم في مستوى الإنتاج، وفي نهاية الأمر بالسعر، ما مكنها من تزويد الإقتصاديات الغربية بالنفط الرخيص من الشرق الأوسط، مكملا و مساندا لمشروع مارشال الأمريكي، لإعادة بناء اقتصاد أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية.

من جهة أخرى نجد الصراع بين المستهلكين على مصادر الطاقة، بحيث يمكن تصور مشهد دولي يتحول فيه الحلفاء السياسيون والعسكريون إلى خصوم متنافسين (2)، فكلما حدث هناك خلل بين مستوى العرض والطلب على النفط، وكان هناك نقصا شديدا في الموارد، ازدادت درجة الصراعات بين المستهلكين حول المصادر، و هنا تكون المنافسة حادة تصل إلى درجة قيام بعض الفاعلين بالتخريب السري لمنشآت بعض الدول عن طريق تأليب انفصاليين أو تحريك عصابات الجريمة المنظمة أو تكوين جماعات إرهابية، أو العمل على إحداث انقلابات سياسية أو حتى اللجوء إلى تصفيات جسدية، لإضعاف اقتصاديات بعض الدول عن المناورة، كما يمكن اللجوء إلى تدمير الطلب برفع الأسعار فوق طاقة اقتصاديات الدول، مما يدفعها للإنسحاب من السوق.

تأثير المنظمات الدولية للطاقة على الاقتصاد والأمن الدولي

بعدما ضاقت الدول الرئيسية المنتجة و المصدرة للنفط ذرعا من الممارسات الإحتكارية والاستغلالية من طرف الشركات النفط العالمية، ومن أجل الصراع و مواجهة "كارتيل" الشركات التي تهيمن على المسرح النفطي منذ بداية تاريخ صناعته، نظمت مجموعة من الدول المصدرة للنفط نفسها في منظمة هي أيضا، تسمى "**الأوبك OPEC**"، فعملت على تقوية نفسها في مواجهة تلك الشركات، وزيادة قدرتها على مراقبة عرض النفط في السوق الدولية، كما قررت مضاعفة الأسعار، فكانت أول من استعمل النفط كسلاح فعال على مجال عالمي في وجه الدول الغربية عام 1973، ومعاقبة واشنطن ردا على سياساتها في المنطقة تجاه الكيان الصهيوني، فأحدثت صدمة قوية لاستقرار الاقتصاد الغربي والعالمي.

أدت تلك القرارات إلى قلق شديد في الدول المستهلكة، سارعت فيها الدول المتقدمة إلى الاتخاذ الإجراءات لتعطيل هذا النموذج لوقف استنزاف ثروات الدول النامية، فتكتلت الدول المستهلكة فيما بينها للمواجهة وإعلان الحرب ضد الدول المصدرة، كما حاولت التخفيض من حجم الإستهلاك للضغط على السعر، كما تم تحميل الدول المصدرة مسؤولية ارتفاع معدلات التضخم وتصدع النظام النقدي الدولي، و أن سعر النفط الجديد غير عادل، مؤكدة على أن

عواقب وخيمة تنتظر العالم كله من جراء هذا الإرتفاع، وأن الدول المنتجة ذاتها لن تفلت من تلك العواقب.

أدرك العالم الغربي بأن النفط سلاح اقتصادي يفوق في أهميته و تأثيراته أضخم الأسلحة العسكرية في الدول المتقدمة، ففي الوقت الذي كانت فيه أزمة الطاقة على أشدها، دعا هنري كيسنجر– وزير الخارجية الأمريكية الأسبق- الدول المستهلكة للنفط (دول السوق الأوروبية المشتركة و النرويج و اليابان و كندا) إلى عقد مؤتمر في واشنطن في 11 فيفري 1974 لتنسيق الجهود و مواجهة أزمة الطاقة، فطرح على المؤتمرين برنامجا يتضمن ترشيد استهلاك الطاقة والبحث عن مصادر بديلة عن النفط، والمشاركة في توزيع الطاقة في أثناء حالات الطوارئ، وتطوير الأبحاث عن مصادر طاقوية جديدة، وإنشاء نظام دولي للتعاون المالي لمواجهة ارتفاع الأسعار.

وافق المؤتمرون على النقاط المقترحة من طرف كيسنجر، وانبثق من هذا المؤتمر بعد تسعة أشهر من انعقاده (أواخر 1974) الآلة التنظيمية لهذه السياسة التي أطلق عليها إسم "الوكالة الدولية للطاقة **"(I.E.A)**، وتضم دول منظمة التعاون الإقتصادي ماعدا فرنسا، وكان لهذه الوكالة منذ نشأتها حتى اليوم اليد الطولى في تهميش دور منظمة الأوبك وتأثيراتها في سوق الطاقة العالمية.

لم يقتصر دور النفط على إثارة النزاعات بين الدول فقط، بل أدى إلى إثارة النزاعات بين الشركات النفطية والدول أيضا، خاصة الأمريكية منها، التي دعت إلى تدخل القوات العسكرية لحماية " احتياطات نفطية حيوية " في مناطق مختلفة من العالم.

الفرع الثالث: تأثير التأميمات النفطية على التوجهات السياسية للدول الكبرى

يقول ألكسندر بريماكوف: " أن البلدان المنتجة للنفط - لأسباب تاريخية، من بينها تخلف أنظمتها الإجتماعية - بقيت لفترة ما عرضة للإستغلال دون مقاومة تذكر من جانبها..."، فمن المنظور الإستراتيجي، البلدان تمتلك ثروات تسيطر عليها قوى إستعمارية، يصبح المعيار الأهم والرئيسي هو التحرر من الإستعمار واسترجاع السيادة الوطنية التامة والكاملة والتحكم في ثرواتها الطبيعية.

في هذا المنحى، ظهرت حركة تأميم العديد من الدول النفطية لكثير من الشركات الأجنبية العاملة في مجال الطاقة في منطقة الشرق الأوسط، وساعد ذاك على أن تصبح هذه الحكومات أكثر ثراء من ذي قبل، خاصة بعد إخضاع تلك الشركات الإحتكارية بدفع الضرائب التي كانت معفاة من دفعها، من أمثلتها شركة (**Standard Oil of California**) العاملة في العراق و إيران عام 1933، كما تم إلزامها بتعديل إتفاقيات إمتيازات النفط، و إمضاء إتفاقيات المشاركة في رأس مال تلك الشركات.

على غرار الأرجنتين عام 1938 و فنزويلا عام 1957، و غيرها من البلدان النامية التي دأبت إلى تأميم نفطها، أقدم الرئيس الإيراني السابق محمد مصدق إلى تأميم الشركة الأنجلو-إيرانية في 1951، التي كانت بمثابة أكبر ضربة توجه للسيطرة البريطانية طوال القرن العشرين **(1)**، فكانت بمثابة الشرارة لبقية البلدان النفطية في المنطقة، بالرغم من أن تلك الشركات الإحتكارية استطاعت من إلغاء قرار التأميم بعد ثلاث سنوات، عبر التدخل الأمريكي-البريطاني، فضلا عن الدور الذي قامت به المخابرات الأمريكية، فتوالت حركة التأميم منطلقة من قناة السويس*.

على العموم، يأتي قرارات تأميم النفط تاريخيا في حركة واسعة من طرف البلدان النامية لإعادة التحكم فرديا وجماعيا في مواردها الطبيعية - سيما من خلال منظمة البلدان المصدرة للنفط، مستندة على مجموعة القرارات والتوصيات الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، التي رسمت من خلالها الإطار العام القانوني الذي يحقق للدول والشعوب من استخدام وبحرية تامة لمواردها الطبيعية **.

بدأت هذه الحركة بقوة في الستينيات وبداية السبعينيات، ومع مثل هذه القرارات، وبالتأكيد مع الصدمة النفطية لعام 1973 وجميع الإجراءات التي رافقتها، كان لها ردود فع "سلبية" سواء في الأوساط السياسية الإقتصادية للدول الكبرى، أو الشركات النفطية العالمية، بحيث اعتمدت هذه الأطراف التي كانت جد متمسكة بالحفاظ على مصالحها، على محاولات ضمان الإستفادة والإمتياز الذي كانت تتمتع بها في المرحلة السابقة، نتيجة للتطورات التي ساهمت في انقلاب الساحة النفطية العالمية.

الأهمية الاقتصادية للطاقة

يعتبر النفط الأوفر وأسهل وأفضل أنواع الطاقة المستعملة لتشغيل الصناعات الحديثة، وتأمين المواصلات المعتمدة على السرعة، إلى جانب دورها في تحديث القطاع الزراعي وتنمية القطاع التجاري، فتبعية المجتمع العصري حيال النفط قد أصبحت وثيقة جدا إلى حد أصبح استهلاك النفط معيارا للتقدم الإقتصادي في أي بلد من بلدان العالم.

لقد احتل النفط مكان الفحم كمصدر أساسي للطاقة منذ تفجر الثورة الصناعية في أوائل القرن التاسع عشر، فجميع الآلات التي تتجسد فيها التكنولوجيا الصناعية الحديثة والتي يستوردها العالم بكثافة، تحتاج إلى كميات ضخمة من النفط ذات القدرة الحرارية العالية والتي لا تتوافر في غيره من مصادر الطاقة، باستثناء الطاقة النووية المحدودة الإستعمال، لذلك يعتبر النفط الوقود الأساسي لتشغيل الصناعة وتحريك الآلات في المصانع والمعامل التي تشغل البشر وتصنع المنتجات.

لقد أدرك العالم الغربي، أن النفط سلاح اقتصادي، يفوق في أهميته وتأثيره أضخم الأسلحة العسكرية في الدول المتقدمة ، كما أنها أيقنت بعد حرب أكتوبر 1973 أن منظمة (أوبك) ومن ضمنها الدول العربية تمسك بهذا السلاح طالما تسيطر على إنتاج النفط و تسويقه وتسعيره، لذلك دأبت الولايات المتحدة منذ البداية على محاولة الإطاحة بهذه المنظمة أو إضعافها، بغية تقليص دورها في سوق الطاقة العالمي، واستطاعت من خلال حرب الخليج واحتلالها للعراق، أن تسيطر على المنطقة برمتها، عسكريا واقتصاديا وسياسيا، وكانت بذلك قد وضعت يدها على منطقة الهلال الداخلي السخي بالطاقة.

يعتبر القطاع الصناعي ثاني أكبر القطاعات المستهلكة للنفط بعد قطاع النقل و المواصلات، ويقدر إجمالي الطلب العالمي على النفط من القطاع الصناعي عام 2015 بحوالي 34 مليون ب/ي، أي أكثر من ربع إجمالي الطلب العالمي، ليساهم هذا القطاع بحوالي 15 بالمائة إجمالي من الزيادة المتوقعة في الطلب العالمي على النفط خلال الفترة ذاتها *.

الأهمية الاجتماعية للطاقة

إن للنفط أهميته وآثار لا يختلف في بعدها الإجتماعي عنها من البعد الاقتصادي، فهما بعدان متكاملان ومرتبطان ارتباطا عضويا، فالنفط يعتبر العامل الأساسي لتحقيق التنمية الإقتصادية والإجتماعية على حد سواء، بحيث لا يمكن الاستغناء عنه في تأمين الخدمات الإجتماعية والحاجات الإستهلاكية الضرورية لكل مجتمع، كالمواصلات والكهرباء، والكثير من الحاجات المنزلية الأخرى، بالإضافة إلى ما تقدمه المنتجات النفطية من سلع أساسية لا بد من وجودها في حياة الإنسان العصرية.

ففيما يخص قطاع المواصلات، فإن جميع وسائل النقل المختلفة تعتمد في طاقتها المحركة على النفط ومشتقاته من وقود وزيوت، بالإضافة إلى مختلف المواد المشتقة عنه، كما يظهر جليا ما بلغته وسائل النقل من تطور كبير، تقدم في أواخر القرن العشرين إلى يومنا هذا، بحيث سهلت بشكل كبير الإنتقال وبمدة زمن أقل إلى مختلف ربوع العالم بدون تعب ومشقة، ما ساهم بشكل واسع نتيجة لذلك على التفاعل والإتصال بحضارات العالم المختلفة، ما يساعد على تطور المجتمعات ونموها.

العالم حاليا يستهلك 95 مليون برميل من النفط في اليوم، يستهلك منه أسطول السيارات في العالم ما يقارب خمس تلك الكمية المستهلكة، أي بحدود 19 مليون برميل في اليوم، كما تم تسجيل استهلاك 116 مليار متر مكعب من الغاز عام 2013، أي ما نسبته 3.3 بالمائة من الإستهلاك العالمي من الغاز.

تستشرف شركة BP بحلول سنة 2035 نمو صناعة السيارات الكهربائية من 1.2 مليون سيارة حاليا إلى 450 مليون سيارة بحلول سنة 2035، المضاف إلى الأسطول الحالي المكون من 90 مليون عربة التي هي في طرقات اليوم، لكن يبقى استهلاك النفط ومشتقاته متواصلا في قطاع المواصلات، بناء على أن أكثر من 80 بالمائة من حجم استهلاك النفط ومشتقاته تأتي من قطاعات لوسائل النقل المختلفة إضافة إلى الهياكل الصناعية الأخرى.

من جهة أخرى نجد، كما أن للنفط عدة ايجابيات تحسب له، هناك عدة سلبيات – في حالة سوء التسيير– تحسب عليه، فمن أهم النقاط السلبية، بروز ظاهرة تركز الثروة في فئة قليلة في الدول النفطية، خاصة في الدول المتخلفة، كما يمكن ملاحظة علاقة النفط بمستوى الديمقراطية و حقوق الإنسان و الشفافية بتلك الدول، وعلاقة النفط بالاستبداد و الفساد(2)، وعلاقته بالحروب الأهلية و الانقسامات الداخلية من خلال الإحصاءات المقارنة لنسبة الصراعات في البلدان النفطية و غير النفطية*، فضلا عن النمو الاقتصادي البطيء و نسبة الفقر وارتفاع نسبة البطالة، و هشاشة مؤسسات الدولة التي تعتمد كليا على عائدات مبيعاته، ما يؤثر مباشرة على الأمن المجتمعي، من ذلك يصبح النفط نقمة على شعوبها.

كما نجد من جهة أخرى، تأثير البعد الاجتماعي بارتفاع وانخفاض أسعار النفط من عدة جهات، كارتفاع أسعار السلع الإستهلاكية والخدماتية والمواد المختلفة اللازمة لسير الحياة اليومية للمواطن بشكل عادي، ما سوف ينتج عطب في الأمن المجتمعي ويهدد الإستقرار.

إضافة إلى ما سبق، للبعد الإجتماعي للنفط علاقة بمفهوم التنمية المستدامة، بحيث تؤثر كل من مخلفات النفط وطرق استخراجه ومعالجته آثار على البيئة والتوازن البيئي المضر بصحة الإنسان، وعليه تستوجب مراعاة إمكانات وقدرات البيئة لاحتياجات التنمية، وعدم الإضرار بها، إضافة إلى وجوب مراعاة استمرارية البيئة على تلبية الإحتياجات الحالية دون التضحية بالإحتياجات المستقبلية للأجيال القادمة.

الأهمية السياسية للطاقة:

وقد برز الدور السياسي للنفط بشكل فعال من خلال الحروب التي شهدتها منطقة المشرق العربي في ظل الصراع العربي- الإسرائيلي، فمن أزمة السويس عام 1956 مرورا بحرب 1967، فحرب أكتوبر 1973، حيث شكل خطر النفط منعطفا تاريخيا في مجرى العلاقات السياسة الدولية، ثم الحرب العراقية الإيرانية عام 1980، ثم حرب الخليج لعام 1991 وبعدها حرب 2003، ثم قضية انفصال جنوب السودان عن شماله...الخ، كان النفط في كل تلك الحروب عنوانها الأكبر وهدفها الخفي- المعلن، حتى أطلق عليها تسمية "حروب النفط".

إن الارتباط الوثيق بين النفط والسياسة أصبح من الصعب الفصل بينهما، طالما بقي النفط المصدر الأول للطاقة، وبقي تأثيره فاعلا في الإقتصاد العالمي وفي العلاقات السياسة والإقتصادية بين المنتجين والمستهلكين، وانطلاقا من ذلك، استعمل النفط كسلاح ضغط سياسي في أكثر من مناسبة ولأكثر من سبب.

فكان أول استعمال للنفط كسلاح سياسي عام، 1956 كرد على العدوان الثلاثي (البريطاني، الإسرائيلي، الفرنسي) على مصر بعد قيامها بتأميم قناة السويس، وفي عام 1967 استعمل سلاح النفط مرة أخرى كسلاح سياسي على إثر العدوان الصهيوني على مصر و سوريا والأردن، فاتخذت الدول العربية عددا من التدابير شملت توقف عمليات التصدير في معظم الموانئ العربية، و منع تصدير النفط إلى كل من الولايات المتحدة و بريطانيا لأسابيع عدة بسبب موقفها المساند للكيان الصهيوني، كما ارتفعت الأصوات مطالبة بسحب الأرصدة العربية من مصارف البلدين المذكورين.

كما استعمل لمرة ثالثة في أكتوبر 1973، الذي صدر عنه قرار يقضي بتخفيض صادرات النفط العربي عن الدول الغربية حتى تنسحب الاحتلال الصهيوني من الأراضي التي احتلتها في حرب 1967، وقد استثنى القرار الدول الصديقة التي وقفت إلى جانب الحق العربي.

ففيما يخص العراق، فقد صدر عن مجلس الأمن الدولي القرار رقم 661 في عام 1990، الذي نص في مادته الثالثة على فرض عقوبات اقتصادية كاملة عليه لم يشهد التاريخ مثلها من العقوبات الدولية على أي طرف من قبل، وكان الخطير في هذا القرار الذي صيغ بأسلوب محكم أنه يوقف صادرات النفط العراقي تماما، وهو المورد الأساسي للعراق، إلى أن يطبق القرارات الدولية المفروضة بهذا الشأن، إلى أن أصدر مجلس الأمن قراره رقم 986 لعام 1995، المسمى " النفط مقابل الغذاء.*

كما استخدم مجلس الأمن سلاح النفط على ليبيا، عندما فرض عليها الحصار الإقتصادي ومنعها من تصدير إنتاجها النفطي بسبب رفضها تسليم المتهمين في قضية لكربي، كما أصدر قرارا يمنع بموجبه الدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة من التعامل التجاري مع ليبيا وبصورة خاصة شراء صادراتها النفطية.

الأهمية العسكرية للطاقة

من هنا يتضح لنا بأن النفط أصبح من أهم الأهداف الإستراتيجية العسكرية في الحروب الحديثة، وهو ما جعل المنشآت النفطية وشبكة إمداداتها وطرق نقلها، من النقاط الحساسة والمهمة في التحكم في زمام الحرب، حفاظا عليها من الهجوم وتخطيطا لضربها في مواقع العدو، وهذا ما لوحظ في الحرب العراقية-الإيرانية عام 1981، وما سمي يومها "بحرب المصافي" و"حرب الناقلات".

و ليس من قبيل الصدفة على وجه التأكيد أن الدول الكبرى في عصرنا هذا تحتفظ كل منها على احتياطي ضخم من النفط، ذلك لأنه توجد علاقة مباشرة بين ثروة الطاقة والقوة، ولقد كان النفط هدفا لأهم المعارك التي دارت في الحرب العالمية الثانية بين الحلفاء ودول المحور، فالقتال المرير الذي دار بين الطرفين في شمال إفريقيا كان هدفه الرئيسي الوصول إلى نفط الشرق الأوسط، كما أن الهجوم الذي شنه هتلر على الإتحاد السوفيتي آنذاك كانت غايته السيطرة على حقول نفط "القوقاز"، ولو استطاع الوصول إلى تلك المناطق النفطية لكانت نتيجة الحرب غير ما عرفت عليه، و اليابان لم تهاجم الولايات المتحدة الأمريكية في معركة "بيرل هاربر" إلا من أجل حاجتها الشديدة لبترول إندونيسيا، فالنفط على حد تعبير محمد حسنين هيكل: "هو وحده كان أعظم ماريشالات تلك الحرب و مصممي استراتيجياتها".

من جهة أخرى، تعد المؤسسات العسكرية من أكبر المستهلكين للمشتقات النفطية، ويعد الجيش الأمريكي أكبر مستهلك للمشتقات النفطية في العالم، إذ بلغ مستوى استهلاكه منها أكثر من مليون برميل في كل ثلاث أيام، وارتفعت بذلك ميزانية البنتاغون لعام 2016 إلى 618 مليار دولار* ، حصة الأسد منها للاستهلاك النفطي.

كما نجد فيما يخص بعد حلف الأطلسي، فقد ورد في المفهوم الاستراتيجي الصادر في عام 2010 أن " قضايا ندرة المياه والتغير المناخي وازدياد حجم الطلب على موارد الطاقة تشكل محاور أخري للبيئة الأمنية التي سوف يضعها الحلف في بؤرة اهتمامه، خلال المرحلة القادمة، لتأثيرها في خطط الحلف وعملياته".

وتبعا لذلك تم إعطاء الحلف دورا واسعا للتدخل في مناطق الأزمات التي يمكن أن تهدد المصالح الحيوية لدوله على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، وتأتي منطقة الشرق الأوسط في طليعة هذه المناطق، حيث إمكانية تهديد مصادر النفط أو بروز تحديات جديدة قد تؤدي إلى حدوث خلل في ميزان القوى في المنطقة يؤدي إلى تهديد المصالح الغربية، فضلا عن ضمان حماية الكيان الصهيوني وقدراته العسكرية والدفاع عنه، ليظل قادرا على أداء دوره الوظيفي كرأس حربة للمشروع الغربي في المنطقة.

التحدي البيئي لأمن الطاقة

تشكل المعايير البيئية تحديا آخر للأمن الطاقوي، فالمسألة تكمن في كيفية الجمع بين أمن الطاقة و أمن المناخ، أي كيف يتعين الجمع بين أمن الطاقة و أمن المناخ ليكون لهما التأثير المناسب و لتوفير خريطة للخروج من متاهة الطاقة المليئة بالتناقضات و الصراعات و الإرباكات المتشابكة، و كيف يمكن التقليل من الأخطار التي تهدد إمدادات العالم من الطاقة، مع تفادي العواقب البيئية الناتجة عن الاستهلاك الكبير للطاقة الأحفورية المتمثلة في التقليل من كمية الغازات المنبعثة المتسببة في ظاهرة الإحتباس الحراري.

إن التحدي الأكبر للطاقة هو إيجاد آليات للموازنة بين المتغيرات والعوامل الرئيسة المتعلقة بأمن الطاقة وإمداداتها، والقدرة على تحقيق نمو اقتصادي مستدام والإلتزام بمتطلبات الحفاظ على البيئة، هذا وتقوم الدول في هذا الإطار على تحسين كفاءة استخدام الطاقة، وتخفيض الإنبعاث وزيادة حصة الطاقة المتجددة من خليط الطاقة المتوفرة للإستهلاك بشكل دائم.

لعل أن أبرز مشكل يمثل تهديدا للبيئة وللإنسان يمكن ملاحظته يوميا هو التلوث، فبسبب التلوث عن طريق الغازات والنفايات السامة والإشعاعات النووية وتسرب النفط في البحار والمحيطات، التي تشير بعض الإحصاءات إلى أنه تم توليد على ما يرب على 395 مليون طن من النفايات السامة وحوالي 30 مليار طن من الغازات السامة، التي نتج عنها ظاهرة الإحتباس.

الحراري الذي أطلق عليه تسمية " البيت الزجاجي أو الدفء الكوني"، الذي أدى بدوره إلى احتجاز الحرارة التي تحملها أشعة الشمس بفعل غازات الإحتباس الحراري، كغاز الميثان وأكسيد الكبريت وأكسيد الكربون، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع درجة حرارة الأرض إلى معدل يفوق المعدل الطبيعي ما أدى إلى إحداث ثقب الأوزون.

إن كانت هذه الكارثة نتيجة عن غير قصد من الإنسان، هناك ما تعمده بفعله قاصدا بذلك النتائج المترتبة عنها، كارثة من صنع الإنسان وبسببه، وما يقصد بالذكر هنا إستخدامه للطاقة النووية لأغراض عسكرية المتمثلة في أسلحة الدمار الشامل المتنوعة في الحروب، التي لا ينجو منها الإنسان وما صاحبه في محيطه الحيوي، بل كل ما يشكل النظام البيئي، فالهجوم النووي على هوريشيما وناكازاكي أكبر دليل على جرائم الإنسان ضد بنو جنسه ومحيطه وبيئته ككل.

كما أن كارثة " تشرنوبيل" التي توصف بأنها أسوا كارثة هددت أمن البيئة والإنسان، التي لا تزال آثارها الضارة متواصلة في جينات المحيط الحيوي، فلقد أشارت إحصائية رسمية لوزارة الصحة الأوكرانية إلى أن 2.3 مليون من سكان البلاد مازالوا يعانون حتى الآن بآثار متفاوتة الضرر من تلك الكارثة، في حين أن منظمة السلام الأخضر صرحت بوفاة 93 ألف شخص بسبب الإشعاعات الناتجة عن تلك الحادثة، كما أصيب بسبب التلوث 1.4 مليون هكتار من الأراضي الزراعية في أوكرانيا وروسيا البيضاء.

كما أن هناك الآن في العالم أكثر من 25 مليون شخص من جنسيات مختلفة متشردين بعدما تركوا أراضيهم التي أصبحت تغطيها الحجارة والغبار بسبب تلك الملوثات القاتلة والأمطار الحمضية الناتجة عنها، التي تؤثر سلبا على الغطاء النباتي والمياه السطحية والجوفية مباشرة، هؤلاء الذين يطلق عليهم اسم **"اللاجئون البيئيون*"**، هذا ما نتج عنه مشكل عويص أخر مرتبطا به، يسمى "**هجرة الإنسان نحو البيئة** ".

يبقى مسرح الطاقة مليء بالتناقضات، فمن الحقائق المزعجة أنه بالرغم من كثرة الإجتماعات والمؤتمرات والمعاهدات الدولية، الساعية إلى كسب إجماع عالمي لمعالجة المشكلة البيئية، يبقى العالم ولوقت طويل أكثر اعتمادا على النفط، بحيث يزداد الطلب العالمي عليه بما يفوق التوقعات.

المطلب الثاني: جيوسياسة المضايق البحرية الرئيسية لعبور إمدادات الطاقة وقضية دول العبور

من المخاوف التي تفرزها تحديات الطاقة نجد مسألة أمن الإمدادات، فضمان إمدادات الطاقة بشكل مستقر تعتبر إحدى القضايا الإستراتيجية الخطيرة التي لا مفر من مواجهتها، فسعي الدول إلى تأمين احتياجاتها من إمدادات الطاقة أمرا ليس بحديث، فلقد كانت محاولات السيطرة على مصادر الطاقة الدافع الأساسي لكثير من الصراعات والحروب، وكانت أيضا عاملا للتقارب والتعاون فيما بين دول أخرى.

تعتبر المضايق البحرية من أهم النقاط الإستراتيجية لعبور النفط الخام و الغاز الطبيعي المسال، من مراكز الإنتاج إلى الأسواق الإستهلاكية، و في حالة تعرض هذه الممرات البحرية إلى أي اختناقات أو إغلاق، فإن الأسواق النفطية ستصاب بأزمة إمدادات حادة، ستؤثر حتما على أسعار الطاقة، و على مستوى المخزون الإستراتيجي لدى الدول الصناعية الكبرى، التي تعتمد بصورة كبيرة على الوقود الأحفوري في توفير احتياجاتها من مصادر الطاقة، و تتمركز معظم مناطق إنتاج النفط بالقرب من المضايق البحرية، و لذلك فإنها تشكل صمامات لإمدادات الطاقة، و كثيرا ما يتسبب ذلك في نشوب صراعات بين الدول للهيمنة على هذه الممرات البحرية، و ضمان عدم تعرض مصالحها للخطر، لاسيما أمنها الطاقوي، و يوجد في العالم حوالي 43 مضيقا مائيا تجوبها السفن التجارية و ناقلات النفط و الغاز العملاقة.

لقد أصبح يظهر جليا أن أمن الممرات والطرق البحرية بالنسبة للإحتياطي العالمي من الطاقة مسألة حيوية، كما أن نظام الإمدادات وأنظمة النقل والتوزيع باتت من اهتمامات المجتمع الدولي وليس حصرا على الدولة المنتجة أو المصدرة ، لأن أي تعثر لدولة منتجة سوف يؤثر بالدول المستهلكة، ومن ثم بالإقتصاد الدولي.

الغاز الطبيعي

يعتبر الغاز الطبيعي أحد البدائل الرئيسية للنفط لما يتميز به من خصائص وايجابيات عن البدائل الطاقوية الأخرى، فقد شهد مستوى الإستهلاك العالمي منه نموا كبيرا قدر بأكثر من 7.3 بالمائة خلال عام 2016، كما بات يلعب الغاز الطبيعي دور مهم في المزيج الطاقوي العالمي،

بحيث باحتلاله المرتبة الثانية في قائمة الطاقات الأكثر استعمالا واستهلاكا في العالم، ممثلة في نسبة مشاركة تقدر بـ 22 بالمائة من الإستهلاك الطاقوي العالمي.

أما الآن، وبتطور تكنولوجيات الصناعات البيتروكيميائية، أصبح الغاز الطبيعي يعتبر الوقود المثالي في الإستعمال ولخلوه من الملوثات البيئية كالرصاص والكبريت، وهذا ما جعل العالم يهتم بتطوير إنتاجه وزيادة نسبة استخراجه، خصوصا بعد ما تقدمت الطرق الفنية لجهة خزنه وتمييعه ونقله، وهذا ما أدى بالأمين العام لمنظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط إلى القول: " إن الغاز الطبيعي سيكون الطاقة المؤهلة لاحتلال المرحلة الإنتقالية بين عصر النفط وعصر الطاقة غير التقليدية في المستقبل".

يتمركز الغاز الطبيعي حاليا في أعلى قائمة المشاريع العالمية للطاقة، وبات التنافس عليه وعلى ممرات إمداداته وخطوط نقله إلى الأسواق الكبرى، دافعا للصراع على النفوذ، لتعزيز المكانة الجيوسياسية للدول في هيكلة النظام الدولي وبين القوى المختلفة.

فمنذ تسعينيات القرن العشرين، تزايد الإهتمام باستثمار الغاز الطبيعي بشكل واسع في جميع أرجاء العالم، بأنابيب نقل الغاز، العابرة للدول والقارات، باعتبارها مشاريع ذات مضامين حيوية بعيدة المدى، وشكلا جديدا من تقسيم العمل الدولي، ونوعا من تأكيد النفوذ.

أصبحت صناعة الغاز المسال ونقله عبر الأنابيب، ساحة للسباق بين دول وشركات عملاقة حول العالم، بحيث هناك مشاريع مستقبلية لإنشاء حوالي 28 ألف كلم من أنابيب نقل الغاز ما بين 2015 و2020، بحيث 71 بالمائة من تلك المشاريع هي مركزة في كل من جورجيا، بولونيا، روسيا وبلغاريا فقط.

يقدر حجم احتياطي الغاز الطبيعي في العالم بـ 187.1 مليار متر مكعب عام 2015، ويسيطر الشرق الأوسط ومناطق الإتحاد السوفياتي السابق (بما في ذلك روسيا الاتحادية) على 73.2 بالمائة منه.

ووفقا لمؤشرات عام 2016، تحتل روسيا الاتحادية المرتبة الأولى على صعيد الاحتياطات المؤكدة من الغاز الطبيعي، كما هو موضح في الجدول أعلاه، من جهة أخرى، لكن و بالرغم من

تربعها على صدارة القائمة العالمية لكمية الاحتياط من الغاز الطبيعي، إلا أنها شهدت منذ مطلع عام 2013 انخفاضا في إنتاج الغاز بنسبة 9.5 بالمائة إلى غاية نهاية عام 2015، أي بما يعادل كمية إنتاج مقدرة بـ 573.3 مليار متر مكعب، و الذي كان نتيجة العقوبات الاقتصادية الموقعة ضدها بسبب القضية الأوكرانية، إضافة إلى انخفاض الأسعار و نقص الطلب على الغاز، الجزائر في المرتبة التاسعة 4,5 مليار متر مكعب.

على مستوى الصادرات: شهدت تجارة الغاز الطبيعي نموا نسبته 10،1 بالمائة في العام 2016، مدفوعة بنمو صادرات الغاز المسال، التي ارتفعت بنسبة 43،6 بالمائة، وكان لصادرات الشرق الأوسط الدور مهم فيها، حيث حققت قطر نمواً في صادراتها بلغ 53,2 بالمئة، وتشكل تجارة الغاز المسال حاليا 3،5 بالمئة من إجمالي تجارة الغاز العالمية، وقد بدأت عمليات إسالة الغاز على صعيد عالمي قبل أكثر من خمسين عاما، إلا أن دوره بدأ يتسع في السنوات الأخيرة.

على مستوى الإنتاج: بلغ حجم الإنتاج العالمي من الغاز الطبيعي 3,53 مليار متر مكعب عام 2015، مسجلا زيادة 7,3 بالمائة عن مستويات عام 2013، وتزايد الإنتاج بنسبة 44 بالمائة خلال الفترة بين 2013–2015، ويُغطي الغاز الطبيعي في الوقت الراهن 24 بالمائة من استهلاك العالم من الطاقة.

- **الاتحاد الأوروبي:** ينتج الاتحاد الأوروبي ما يقدر بحوالي 132.4 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي بتقديرات عام 2014، بانخفاض مقدر بنسبة 9 بالمائة، وذلك بسبب نقص الاستثمارات الداخلية الخاصة بإنتاج الغاز الطبيعي واعتمادها الشبه كلي على الواردات من الخارج، أما النرويج، فقد نمى إنتاجها بنسبة 7.7 بالمائة ما بين عامي 2014 و2015، مسجلة حجم إنتاج مقدر بـ 117.2 مليار متر مكعب.

- **الشرق الأوسط:** تعتبر المنطقة المركز العالمي لإنتاج الغاز، فقد سجل نموا مستمرا خلال سنوات الخمس الأخيرة، ولا تزال التوقعات تؤكد هذا النمو المستمر، فقد سجلت قفزة في حجم الإنتاج من 495.6 مليار متر مكعب عام 2010، إلى 599.1 مليار متر مكعب عام 2014، بنمو نسبته 4.9 بالمائة، أما عام 2015 فقد سجلت نمو بنسبة 3.1 بالمائة، أي بحجم إنتاج 617.9

مليار متر مكعب، في كل من قطر، إيران والعربية السعودية، الدول الأساسية في إنتاج الغاز في المنطقة، وكلهم يتوقع استمرار زيادة نمو قدرتهم الإنتاجية إلى غاية سنة 2020.

بلغ إنتاج الغاز الطبيعي في قطر وحدها 181,4 مليار متر مكعب عام 2015، وبلغ الإنتاج في السعودية، وفق مؤشرات نفس العام، ما مجموعه 106,4 مليار متر مكعب، وفي الجزائر 83,3 مليار، مصر45.6 مليار، الإمارات 55.8 مليار، سلطنة عمان 27,1 مليار وليبيا 12.8 مليار. وإيران 192.5 مليار متر مكعب.

تمتاز قطر بمركز متميز في سوق الغاز لكل من منطقة أوراسيا وأوروبا وآسيا، ففي عام 2014 صدرت قطر ما نسبته 45 بالمائة من مجموع الغاز المسال إلى دول منطقة أوراسيا، وما نسبته 31 بالمائة من صادرات الغاز المسال إلى دول منطقة آسيا، كأكبر مصدر للغاز المسال في العالم، لما تملكه من إمكانات وقدرات لإنتاج كميات ضخمة من الغاز المسال، إضافة إلى إيران، ثاني أكبر احتياطي عالمي من الغاز، فهي تمد أوروبا بنسبة 25-35 مليار متر مكعب من مجموع حاجاتها من الغاز الطبيعي سنويا.

استراليا مرشحة إلى اعتلاء الرتبة الأولى في العالم لتصدير الغاز المسال، لتتفوق على قطر، بدءا من السنة الحالية 2017، أنفقت أستراليا 200 مليار دولار في مشاريع ضخمة لتطوير هذه الصناعة، آخرها مشروع تقوده شركة "شيفرون"، بقيمة 29 مليار دولار، وتصدر أستراليا، في الوقت الراهن، 31.6 مليون طن من الغاز المسال عام 2014، مقارنة بـ 77 مليون طن لقطر، لكنها تستهدف الوصول إلى 119 مليون طن سنويا بحلول سنة 2020.
وتنتج إيران مقدار 192.5 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي سنويا، وتستهلك 136,9 مليار متر مكعب، جزء منه يأتي من تركمانستان، حيث تستورد منها طهران نحو 15 مليار متر مكعب سنويا، تستخدم في تغطية احتياجات مدن الشمال الإيراني.

في 23 ديسمبر عام 2008، تأسس "منتدى الدول المنتجة و المصدرة للغاز"، الذي جاء كبديل لتجمع غير رسمي تشكل عام 2001 تحت الاسم نفسه، ويضم المنتدى 12 دولة، هي: روسيا، قطر، مصر، الجزائر، إيران، ليبيا، نيجيريا، فنزويلا، بوليفيا، غينيا الاستوائية وسلطنة عمان، وتتمتع كل من النرويج وهولندا وكازاخستان ودولة الإمارات العربية المتحدة بصفة مراقب،

وتملك دول المنتدى مجتمعة ما يزيد على 73 بالمائة من احتياطات العالم من الغاز الطبيعي، ويبلغ إجمالي إنتاجها السنوي نحو 40 بالمائة من الإنتاج العالمي، وتسيطر على نحو 38 بالمائة من الغاز المصدر عبر أنابيب، ونحو 85 بالمائة من صادرات الغاز المسال.

النفط الخام

تشير إحصائيات المعهد الجيولوجي الأمريكي إلى أن احتياطات النفط المؤكدة الباقية لما يسمي بالنفط التقليدي (Conventional Oil) تتجاوز 3000 مليار برميل**(1)**، ومن المعروف أن كمية هذا الإحتياطي قابلة للزيادة، ومن الممكن أن تصل الكمية المتوقعة إلى ما يزيد عن 4000 مليار برميل، مما يمكن أن يكفي الإستهلاك العالمي من النفط لمدة تفوق 100 سنة، هذا إذا ما أضفنا إحتياطات الغاز وسوائل النفط الأخرى والنفط غير التقليدي فإن الصورة تصبح أكثر تفاؤلا.

أما فيما يخص توزيع هذه الإحتياطات على مستوى العالم، فمن المعلوم أن معظم هذه الإحتياطات تقع في دول منظمة الأوبك، حيث تحتوي دوله مجتمعة ما يقارب عن 81 بالمائة من مجمل الإحتياطات العالمية من النفط، أي بحجم احتياطي يقدر بـ 1.213.4 مليار برميل، تمتلك مجموعة منتجي الشرق الأوسط فقط منه حوالي 65 بالمائة**(2)**، مقابل 19 بالمائة للدول خارج منظمة الأوبك، بحجم احتياطي يقدر بـ 279.2 مليار برميل، إلي جانب فنزويلا من خارج هذه المنطقة، الإحتياطات النفطية الهامة خارج أوبك تقع في روسيا وبعض دول غرب إفريقيا مثل أنغولا، إلا أن معظم هذه الإحتياطات إما أن تكون محدودة الحجم كاحتياطات دولة مثل تشاد، أو مستنفذة نتيجة الإنتاج التراكمي مثل احتياطات بحر الشمال و الإحتياطي الأمريكي.

قصور البدائل الطاقوية عن حلولها محل النفط

لقد حاولت الدول الصناعية الكبرى طيلة عقود مضت إلى يومنا هذا، البحث عن بدائل طاقوية جديدة للنفط (خاصة بعد أزمة 1973)، لكن النتائج جاءت مخيبة للآمال، حيث أثبتت التجارب قصور تلك المصادر عن حلولها محل النفط لأسباب عديدة:

التكاليف الباهظة، التي تعتبر أكبر عائق أمام الدول، كما هو الحال بالنسبة لإستغلال طاقة الرياح وطاقة أمواج المحيطات، مما فرض تأجيل البحث في استخدام هذا النوع من الطاقة إلى أجل بعيد، إضافة إلى أن بعض هذه البدائل غير آمن، ومثال على ذلك استخدام الطاقة النووية كمصدر للوقود في المجالات السلمية، وقد أثبتت كارثتي تشرنوبيل* وفوكوشيما ** أن الطاقة النووية مازالت تعتبر أكبر خطر تتوجس منه البشرية جمعاء. ويستمر بالإرتفاع ليبلغ إجمالي طلب مجموعة الإقتصاديات النامية والمتحولة حوالي 62.4 مليون ب/ي عام 2030 مقابل 43.1 مليون ب/ي للإقتصاديات الصناعية، لتصبح بالتالي المصدر الرئيس للطلب العالمي على النفط بعد أن كانت المصدر الرئيس للنمو خلال الفترة السابقة.

ببروز قوى دولية متعطشة للمزيد من مصادر الطاقة كالصين والهند، تغير ميزان الإستهلاك العالمي من الطاقة، فالصين كانت حتى نهاية القرن الماضي من الدول المكتفية ذاتيا من مصادر الطاقة المحلية، فنموها الإقتصادي المتسارع، وتحولها من الفحم إلي النفط والغاز كمصادر للطاقة، رفع من حجم استهلاكها النفطي بقفزات عالية.

وكذلك الهند، فوفقا لإحصاءات شركة BP، فإن الزيادة السنوية لاستهلاك الصين من النفط وصلت إلى ما يقارب 12 م ب/ي في 2016 مقارنة بـ 10.5 مليون برميل يوميا في 2012، أما الهند فقد استهلكت 4.1 م ب/ي عام 2016 مقابل 3.8 م ب /ي عام 2014، هذه الأرقام تعطي مؤشرا على عمق هذا التغيير في الأسواق العالمية للنفط.

وسجل إجمالي الطلب العالمي على النفط معدل نمو سنوي متوسطه 1.24 بالمائة في الأجل المتوسط حتى سنة 2020، ليرتفع إجمالي الطلب العالمي على النفط بمقدار 6.5 مليون ب/ي خلال الفترة 2013-2020، من 92 مليون ب/ي عام 2013 إلى حوالي 100.5 مليون ب/ي عام 2020، ويتوقع أن تأتي حوالي 98.2 بالمائة من إجمالي تلك الزيادة في الطلب على النفط خلال الفترة من الدول النامية، ليتجاوز بذلك إجمالي طلب مجموعة الاقتصاديات النامية والمتحولة حجم الطلب من مجموعة الاقتصاديات المتقدمة خلال عام 2020.

مشروع الشرق الأوسط الكبير

بتكليف من وزارة الدفاع الأمريكية، بدأ المؤرخ الصهيوني الأمريكي " برنارد لويس" وضع مشروعه الشهير الخاص بتفكيك مجموعة الدول العربية و الإسلامية إلى دويلات يميزها العرق والمذهب و الطائفية، وأرفق مشروعه بمجموعة من الخرائط المرسومة بإشرافه و بموافقة البنتاغون، توضح خريطة الشرق الأوسط الجديد التي تصل حدوده الجغرافية إلى الجمهوريات الإسلامية المستقلة في آسيا الوسطى - القائل باحتمال إلغاء دور العرب في التاريخ الجديد للمنطقة لمصلحة قوى إقليمية أخرى و في طليعتها "الكيان الصهيوني و تركيا"- الذي أقرها الكونغرس بالإجماع في جلسة سرية عام 1983 و سمي بـ "مشروع لويس"، و تم تقنينه و اعتماده و إدراجه في ملفات السياسة الأمريكية الإستراتيجية للسنوات التي تلت، ثم نشر بعد ذلك في مجلة **Forgien Affaires** الأمريكية عام 1992 تحت عنوان " إعادة النظر في الشرق الأوسط".

لذلك، جاءت مبادرات الشرق الأوسط من إطار فكري نبعت ملامحه في الولايات المتحدة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، وقد ظهرت ملامح هذا الإطار الفكري في خطابات للرئيس جورج بوش الإبن حينها، كالخطاب الذي ألقاه في 26 فيفري 2003 أمام مؤسسة الأبحاث الأمريكية، التي تحدث فيه عن إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط، والعمل على نشر الديمقراطية في المنطقة، وإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية واسعة، فكانت العراق بعد سقوطه أولى النماذج التي يحتذى به، لتدشين عمليات التغيير ليولد شرق أوسط جديد.

وقد تبنى الرئيس بوش الإبن مجموعة من السياسات التي تعكس في مجملها أفكار دينية محافظة، التي أخذت تستدعي رؤيا وخطبا سياسية ذات توجه ديني واضح مثل: "إن أمتنا شهدت الشر"، " أشعر كأن الرب يريدني أن أخوض انتخابات الرئاسة"، "حملتنا الصليبية تأخذ وقتا"، " إنها حرب حضارات"،" نحن في صراع بين الخير والشر"...الخ، كل هذه الجمل مقتطفات من خطاباته، وهي بحد ذاتها تعتبر تمهيدا ومنطلقا لسياسات خارجية تجاه الشرق الأوسط عموما، والمنطقة العربية-الإسلامية على وجه الخصوص.

الأهمية الإستراتيجية والجيوسياسية لمنطقة الشرق الأوسط

لا شك أن دراسة الأهمية الإستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط تمليها عوامل جيوسياسية وجيوأمنية وجيواقتصادية بامتياز، حيث تهتم الجغرافيا السياسية بدراسة الإطار الجغرافي للدول بكل أنواعه ومستوياته سواء كان ذلك في المجال الجغرافي البحت كالأنهار والوديان، الهضاب والجبال، أو في المجال الاقتصادي كامتلاك الثروات الطبيعية كالنفط والغاز وغيرها، وامتداد الأراضي وتوفر الإمكانات الزراعية والصناعية الهائلة.

الشرق الأوسط في قلب جيوسياسة الطاقة العالمية

هناك خلفيات مهمة تضع منطقة الشرق الأوسط في موضع يشكل هاجسا أمام سياسات واستراتيجيات القوى الكبرى، ظهرت من خلال كيفية تعاملها مع المنطقة من منطلق أبعاد جيوسياسية وجيواقتصادية، منها:

1- تمثل المنطقة قلب العالم بامتدادها الجغرافي الواسع، متوسطة بموقعها الجغرافي العالم، منطلقة من إيران شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن جبال طوروس شمالا حتى الصحراء الإفريقية الكبرى جنوبا، وتطل على المحيطين الهندي والأطلسي.

2- تمتلك مجموعة من البحار والمضايق والخلجان: تحتضن البحر الأحمر وبحر العرب والبحر الأبيض المتوسط، الأمر الذي يتيح له فرصة التحكم في الممرات والمضايق المائية المهمة

3- تمتلك أنهار مهمة، كنهر النيل أهم أنهار العالم، نهري الدجلة والفورات، الأردن وشط العرب، إضافة إلى عدد كبير من الأنهار الداخلية الأخرى

4- تحتضن أهم المنافذ والمضايق البحرية التي تربط الشرق بالغرب، على رأسها مضيق هرمز الأكثر أهمية في التجارة الدولية وخاصة فيما تعلق بإمدادات الطاقة،

5- أما بمكانتها الإقتصادية، فهي صمام أمان مستمر من الموارد الإقتصادية التي يحتاجها العالم من الإستهلاك العالمي من الطاقة، بحيث تتوفر على أكثر من 65 بالمائة من احتياطي العالم منه.

وتعد فترة السبعينيات عصرا ذهبيا للبلدان النفطية في منطقة الشرق الأوسط وخصوصا المنطقة العربية، إذ أدت الطفرة النفطية الهائلة خلال تلك الفترة إلى إضفاء قوة سياسية

واقتصادية مؤثرة لصالح لدول المنتجة في منطقة الشرق الأوسط، التي شهدت في أواخر السبعينيات أسرع تحولات اقتصادية يشهدها العالم في تاريخه، رافقها جهود حكومية مكثفة رامية إلى مضاعفة النمو المادي بصورة لا مثيل لها في عالم اليوم.

ومنذ بداية الثمانينيات تحول سوق النفط الدولي من سوق يهيمن عليه بائعون إلى سوق يسيطر عليه المشترون، نتيجة للحرب العراقية - الإيرانية ورغبة أطراف الصراع في عرض النفط بكميات هائلة لتسديد فاتورة التسلح وتمويل الحرب، فقد استطاع المستوردون تخفيض السعر وتغيير الوضع النفطي جذريا، وحدث انخفاض بارز في الطلب على نفط الشرق الأوسط من حد أقصى بحوالي 31 مليون برميل يوميا خلال الفترة 1984- 1985، وانخفض حجم إنتاج النفط في الوطن العربي في تلك الفترة من 21 م ب/ي إلى 10 م ب/ي.

أهمية الغاز الشرق أوسطي

يحتوي الشرق الأوسط على أكثر من ثلث احتياطات الغاز الطبيعي في العالم، إذ بلغ احتياطه منه عام 1973 ما نسبته 36 بالمائة، وبالرغم من أن الإحتياطي واصل بالارتفاع عاما بعد عام ليصل عام 2016 إلى ما نسبته 40.1 بالمائة، بلغ منها احتياطي منطقة الخليج العربي ما يقارب 23 بالمائة.

وعلى أثر الإكتشافات الجديدة لمكامن الغاز الطبيعي في دول الشرق الأوسط - خاصة منطقة الخليج العربي- إذ ارتفع احتياطي الغاز الطبيعي في دولة الإمارات العربية المتحدة ليصل إلى 215.1 مليار متر مكعب عام 2016، كذلك دولة قطر الذي ارتفع احتياطها من 866.2 مليار متر مكعب لنفس العام، أما إيران تملك أكبر نسبة منه، فيبلغ

احتياطها 1201.4 مليار متر مكعب عام 2016**(1)**، ونتيجة تراجع احتياطات بعض دول العالم كالولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الشرقية، كذلك بقاء دول أخرى على احتياطاتها دون زيادة كروسيا يقابله زيادة احتياطي منطقة الشرق الأوسط منه نتيجة لكشف حقول جديدة وذلك بمعدل أكبر من النفط، حيث ارتفع الإحتياطي إلى ما نسبته 43 بالمائة من الإحتياطي العالمي.

لقد قدم العديد من مفكري الإستراتيجيا مجموعة رؤى حول منطقة الشرق الأوسط عموما والعالم العربي خصوصا تظهر مدى أهميتها، فقد قدم هالفورد ماكيندر نظريته المشهورة (المحور الجغرافي للتاريخ) ، يرى من خلالها أن ثلاثة أرباع الكرة الأرضية تغطيها مياه البحار، موضحا مجموعة من الخصائص الطبيعية المهمة للمنطقة بوقوعها في ملتقى القارات الكبرى للعالم القديم، آسيا، إفريقيا و أوروبا، و إطلالها على مجموعة من البحار و الخلجان والمحيطات، واحتوائها على العديد من المضايق و الممرات المائية، ما سوف يشكل بالضرورة - حسبه- مسرح صراع و منطقة ارتطام بين القوي العالمية فيه، و هو ما حدث و يحدث حقيقة.

من التحديات الأمنية التي بات العالم يتخوف منها، نجد مسألة الإمدادات التجارية وخاصة الطاقوية عبر المضايق البحرية، فضمان استمرار نشاطها بشكل مستقر وحمايتها يعتبر قضية إستراتيجية خطيرة تستوجب مواجهتها، فلقد كانت محاولات السيطرة على **الموارد والمنافذ** الدافع الأساسي لكثير من الصراعات والحروب، فكثيرا ما تسبب ذلك في نشوب منافسات بين الدول للهيمنة عليها، ما نتج عن ذلك توترات داخلية وصلت أحيانا إلى درجة الحروب والنزاعات تارة، ودافعا أيضا وعاملا للتقارب والتعاون فيما بينها تارة أخرى.

تبحر يوميا حوالي 48 مليون برميل من النفط الخام عبر بحار ومحيطات العالم، منها أكثر من 35 مليون برميل تعبر يوميا من خلال المضائق البحرية ملزمة، بحيث يوجد في العالم حوالي 43 مضيقا مائيا تجوبها السفن التجارية وناقلات النفط والغاز العملاقة، **كما** هو في مضيق هرمز، ومضيق باب المندب الرابط بالبحر الأحمر وقناة السويس، باعتبار أن المنطقة العربية مركز الصدارة في إنتاج الغاز المسال وتجارته في العالم.

وبما أن المضايق البحرية فيها سهلة للإغلاق أو وقف المرور فيها فهي سريعة العطب وتشكل أهدافا محتملة عند الحركات والمنظمات الإرهابية أو عند أنواع أخرى كالقرصنة.

كما هو الحال لمضيق هرمز بين الخليج العربي والمحيط الهندي، أكثر المضايق البحرية أهمية في العالم، الذي يمر من خلاله شحنات ضخمة من النفط بحمولة تصل إلى 17 م ب/ي، ومضيق باب المندب الذي يمرر شحنات بسعة حوالي 3.7 م ب/ي، وقناة السويس بسعة 4.5 م

ب/ي، فضلا عن مضايق مهمة أخرى كمضيق ملكا الذي تمر من خلاله شحنات بحمولة تصل إلى 15 م.ب/ي ما أهله أن يكون ثاني أهم مضيق في العالم بعد مضيق هرمز، إضافة إلى المضايق التركية المهمة كالدردنيل والبوسفور.

تضاعفت أعداد وقدرات ناقلات النفط البحرية بشكل هائل، بحيث في كل سنة يتم نقل حوالي 62 بالمائة من كميات النفط التي يتم إنتاجها في العالم عبر ناقلات النفط البحرية التي تشكل اليوم ما نسبته 33.1 بالمائة من الأسطول التجاري البحري العالمي، فيما يتم نقل 38 بالمائة الباقية عبر أنابيب النفط والقطارات أو حتى الشاحنات للمسافات القصيرة نسبيا.

أما الولايات المتحدة، فتحرص على تأمين مضيق هرمز خاصة منذ سقوط حكم الشاه عام 1978، بحيث وضع مذهب كارتر عام 1979، الذي عرف الخليج العربي بأنه منطقة حيوية للمصالح الأمريكية ولابد من التفكير بتوظيف واستخدام القوة العسكرية الأمريكية هناك بشكل مباشر ضد أي قوة تحاول السيطرة أو تحاول التحكم فيه.

إن المكانة الجيومورفولوجية المهمة التي جعلت منه أحد أهم ممرات البحرية في العالم ومن بين أكثرها عبورا للسفن و شريانا هاما للحركة التجارية العالمية، فهو رابع أكبر الممرات في العالم بعد مضيق هرمز ومضيق ملكا وقناة السويس، فقد اكتسب أهميته بافتتاح قناة السويس عام 1869 بعدما كان ذو أهمية محدودة، فأصبح بذلك يخضع للقواعد العامة الخاصة بالملاحة في المضايق الدولية، وما زاده أهمية أيضا هو بداية تدفق النفط من الخليج العربي و إيران عام 1930، فتم تحويله من ممر يقتصر على البضائع والمسافرين إلى شريان النفط الرئيسي للعالم الغربي.

تعتبر من بين أهم الممرات المائية إستراتيجية في العالم بعد شقه عام 1869، بطول يبلغ 193 كلم، وعرض مقدر حوالي 350 متر، مشكلا عنق الزجاجة الشمالية للبحر الأحمر، ما شكل عبره بوابة اتصال بين الشرق والغرب ذهابا وإيابا بربط القارات الثلاث: إفريقيا وأوروبا، واسيا.

كما كان للقناة حضورا بارزا في مفاوضات كامب ديفد الأمريكية-الصهيونية-المصرية عام 1979، ويؤكد ذلك ما يقوله رئيس الوزراء السابق إسحاق رابين " لقد حدد الموقف الأمريكي النهائي حيال نزاع الشرق الأوسط في بداية اللقاء الذي تم بين نيكسون وغولدا مائير عام 1971.

ولو اضطرت لاستخدام القوة العسكرية، وإنشاء تحالفات مع قوى عسكرية خارجية لتأمين مصادر الطاقة ، فقد أعلن الرئيس جيمي كارتر عام 1977، أن قضية استقلالية الطاقة هي قضية حيوية بالنسبة للأمن مثلها مثل الحرب، ما دفع حينها إلى إنشاء مكتب إدارة أزمات الطاقة بوزارة الطاقة.

إن متغير النفط في السياسة الخارجية الأمريكية اتجاه منطقة الشرق الأوسط ليس بالشيء الجديد، فبعد أحداث 11 سبتمبر 2001، التي كانت نقطة تحول في السياسة الدولية و خصوصا بالنسبة للإستراتيجية الأمريكية العالمية، حيث حددت معالمها في ووثيقة الأمن القومي الأمريكي عام 2002، بعد هذه الأحداث حددت أولوياتها التي كان من بين أهمها النفط، فعمدت إلى التحرك في الأقطار الدولية بداية من أفغانستان و وصولا إلى العراق باسم مكافحة الإرهاب تارة و مكافحة انتشار أسلحة الدمار الشامل تارة أخرى، متخذة كافة الوسائل حتى و لو كانت عسكرية من أجل تأمين الموارد الطاقية، و نظرا للمكانة الجيوسياسية للطاقة لمنطقة الشرق الأوسط، ارتأت الولايات المتحدة إلى وضع يدها على مادتها الحيوية، التي تفترض بالضرورة السيطرة على التطورات السياسية و الإجتماعية في المنطقة.

وكانت الشخصيات الحكومية الهامة وخبراء الإستراتيجيا في الولايات المتحدة، أمثال هينري كيسنجر وزبيغنيو بريجينسكي وصمويل هيتينغتون، لجانب كبار العلماء ومفكريها القدامى، يرون على السواء استلزام إحكام السيطرة الأمريكية على منطقة الشرق الأوسط، وخاصة منطقة الخليج العربي، وعلى ضوء ما تقدم، ليس من الصعب أن تدرك الأسباب الخفية التي دفعت بالولايات المتحدة لشن حرب إقصاء صدام ، وتقسيم السودان، وضرب ليبيا، واليوم تحاول وضع يد السيطرة على سوريا، في حرب استنزاف النفط، تحت شعار نشر الديمقراطية.

إن أهمية الشرق الأوسط و خاصة الخليج العربي منه بالنسبة للولايات المتحدة تبرز بشكل واضح من خلال تزايد الإعتماد المطلق على الموارد الطاقوية على وجه الخصوص، فلقد برز الإهتمام الأمريكي بالمنطقة مع بداية عقد السبعينيات من القرن العشرين، عشية حرب أكتوبر عام 1973، التي كان من نتائجها الحظر العربي للنفط على القوى الغربية المتمثلة أساسا في الولايات المتحدة، كما ارتبطت بارتفاع أسعار النفط في الأسواق العالمية، الأمر الذي أدى

بالولايات المتحدة إلى التفكير جديا بالتدخل العسكري في منطقة الخليج عبر إنشاء قوات التدخل السريع الخاصة لضمان استقرارها السياسي و الإقتصادي.

معضلة الأمن الطاقوي الصيني

الصين، منذ تسعينات القرن العشرين، واقتصادها يشهد نموا سريعا، مما ترتب على ذلك زيادة حجم طلبها لمصادر الطاقة و المواد الخام، و خاصة على النفط، فبارتفاع نسب وارداتها للمواد الطاقوية حول العالم، تعيش الصين اليوم تحت ضغط توفير مصادر بديلة، وخاصة مع كونها المستهلك الثاني للنفط عالميا و دخولها بذلك لدائرة المنافسة على موارد الطاقة مقابل القوى الكبرى، فبالرغم من أنها تمتلك ثاني أضخم احتياطات العالم من الفحم الحجري بحجم يقدر بـ 114500 مليون طن، و أكبر دولة منتجة له في العالم بقدرة تصل إلى 1827 مليون طن سنويا حسب إحصاءات عام 2016**(1)***، إلى أنها تعاني من محدودية مصادر الطاقة الأخرى.

فقد تمكنت إلى غاية عام 1992 من تحقيق إكتفاءها الذاتي في مجال النفط، إلا أنه انطلاقا من عام 1993، أصبحت الصين في تبعية إلى الخارج للإيفاء بمتطلبات الإستهلاك المحلي المتزايد و أصبحت الصين مستوردا صافيا للنفط.**(2)**، و عليه، فإن أمن الطاقة الصيني يواجه مشاكل على الصعيدين، الداخلي و الخارجي في آن واحد، فعلى الصعيد الداخلي يؤدي ذلك إلى عدم قدرة مصادر النفط والغاز المحلية الإيفاء وتلبية حاجيات ومتطلبات التنمية الإقتصادية، خاصة وأن نظام احتياطها النفطي الإستراتيجي لم يتشكل بعد، أما على المستوى الخارجي، فلا زالت الصين تعتمد بدرجة كبيرة على النفط المستورد لتغطية احتياجاتها، مما يعود بمخاطر حادة على أمنها النفطي، خاصة بتسجيلها نسبة مرتفعة جدا من اعتمادها على الخارج تقدر بـ 66.4 بالمائة عام 2016**(3)**، بعد أن كانت 7.6 بالمائة فقط عام 1995.

وفقا للمعلومات المتاحة فإن إجمالي حجم الإستهلاك الصيني لموارد الطاقة المختلفة يقدر بـ 23 بالمائة من مجموع استهلاك الطاقة العالمي، واستهلاكها من النفط يقدر بنحو 11.9 م ب/ي عام 2016، منها حوالي 4.3 م ب/ي من الإنتاج المحلى، وتستورد حوالي 7.6 م ب/ي، ومن المتوقع أن يصل الطلب الصيني على النفط إلى 15 م ب/ي على أقل تقدير عام 2020.

من ناحية أخرى، ينعكس إلتزام الصين بسياسة الصعود السلمي التدرجي بشكل واضح على سياستها الخاصة بأمن الطاقة، فالصين في سعيها لتحقيق ذلك الهدف تتفادى كل سياسة استفزازية توسعية مثل الولايات المتحدة، و عليه يظهر هذا السلوك يتوافق و أهداف السياسة الخارجية الصينية التي تتسم بطابعها السلمي (الدبلوماسية المرنة)، فهي لا تسعى لاستفزاز القوى الدولية الكبرى، خاصة الولايات المتحدة، فالصين حساسة للإدراك الأمريكي على أنها تشكل منافسا لمكانتها، ما جعلها تبتعد عن التدخل في المناطق التي تعد من مناطق نفوذها، لذا فهي تتفادى الإستفزازات بما يضمن الإستقرار في علاقاتها الخارجية وبما لا يؤثر على مسار التنمية فيها، فمن المستبعد جدا أن تستخدم الصين القوة العسكرية ضد تلك القوى.

الطاقة في الشرق الأوسط من المنظور الاستراتيجي والأمني الأوروبي

قبل الحرب العالمية الثانية، كان الإقتصاد الأوروبي يعتمد اعتمادا رئيسيا على الفحم كمصدر أساسي للطاقة، غير أن ظهور نفط الشرق الأوسط، جعل دول أوروبا الغربية بعد عام 1950 تتحول إليه، حيث ارتفعت نسبة استهلاكه في السوق الأوروبية المشتركة من 10 بالمائة إلى 45 بالمائة عام 1965، وذلك بسبب زيادة اعتمادها على نفط الشرق الأوسط - الزهيد الثمن- كمصدر أساسي للتصنيع. فباستثناء المملكة المتحدة والنرويج، تكاد دول أوروبا لا تمتلك احتياطا نفطيا يذكر بالمقارنة مع الدول المنتجة للنفط في العالم.

بحيث تستورد نسبة 80 بالمائة من النفط و57 بالمائة من الغاز، وتنتج منه ما يقارب 0.45 بالمائة من الإنتاج العالمي، ويتوقع أن ترتفع نسبة وارداتها من الطاقة إلى 65 بالمائة بحلول سنة 2030، وتعتبر كل من الشرق الأوسط (على رأسها قطر وإيران والجزائر)، روسيا، النرويج، وبحر قزوين من أكبر مورديها من الطاقة.

ومن أجل جعل الصورة أكثر وضوح، يمكن التنبؤ بأن أي اضطرابات في أحد الموردين الأساسين يمكن أن يؤدي بشلل تام في أوربا، يقول بعض الخبراء الإقتصاديين "إن الأمن الطاقوي الأوربي سيكون عرضة لتحديات جيواستراتيجية متعددة الأوجه والجهات، لاسيما إذا ما أخذنا في الحسبان عدم ضمان استقرار وسلامة المستقبل السياسي للموردين الأساسين خاصة المملكة العربية السعودية إيران العراق الجزائر"

فبعد غزو الولايات المتحدة للعراق عام 2003 دون موافقة مجلس الأمن وبمعارضة فرنسية ألمانية، قام الإتحاد الأوربي وللمرة الأولى في تاريخه بالإعلان عن "الإستراتيجية الأمنية للاتحاد الأوربي" في 12 ديسمبر2003، فلقد تم تصميم هذه الإستراتيجية للإعلان عن ميلاد أوربا جديدة، حيث ينص هذا البيان على أنه "لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تقوم دولة لوحدها بمواجهة التحديات المعقدة الراهنة من دون الحاجة إلى مساندة دول أخرى".

محاضرة

جيوسياسة الماء

دراسة نماذج من البيئة الدولية

جيوسياسة الماء

إذا كان التنافس والصراع على النفط قد شكل مساحة كبيرة من الأحداث العالمية منذ عقود كثيرة الى الآن، فإن الصراع على المياه يمكن أن يكون أشد حدة منه، وذلك أن المياه في التحليل النهائي أهم من النفط واهم بكثير، فهو الحياة، مصداقا لقوله سبحانه: "**وَجَعَلْنَا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يؤمِنون**". سورة الأنبياء آية 30.

ومن المهم الاقرار بحقيقة أن هناك علاقة مباشرة بين الأمن العالمي عامة ومسألة تأمين مصادر المياه. وان كان أمن الدول يتضمن الإجراءات التي تتخذها لتحافظ على كيانها ومصالحها حاضرا ومستقبلا، فإن فهم الأمن على أنه موضوع الدفاع العسكري داخليا وخارجيا هو أمر سطحي وضيق كما قال روبرت مكنمارا وزير الدفاع الأميركي الأسبق. فهناك الكثير من الجوانب غير العسكرية المرتبطة ارتباطا وثيقا بمسألة الأمن القومي ومنها مسألة الأمن الغذائي والاقتصادي، ومسألة المياه على رأس تلك الجوانب.

إن عنصر الماء يعتبر عنصر جوهري لاستمرار حياة الكائنات بعد الهواء، لذا شكلت المياه في المسيرة الإنسانية عاملاً مهماً في ظهور الحضارات وتقدمها، لما لها من حالة استقطاب للأفراد والجماعات ساعدت على بناء مجتمعات من خلال إقامة التجمعات السكانية بالقرب من مصادر الموارد المائية، ولم تتوقف حاجة الإنسان للمياه عند حدود الاستخدام الشخصي بما تمثله من اهمية في استمرار الحياة وسلامة الصحة والاستقطاب والتجمع، بل تعدته ليشمل جميع مجالات الحياة في النقل والزراعة والصناعة وغيرها وبقدر ما تشكله المياه من نقاط التقاء وتواصل بين المجتمعات والحضارات، كما كانت من عوامل الصراع الذي بدأ مع بداية الخليقة، لكنه لم يصل في أحواله إلى ما نحن عليه الآن، ومستقبلاً ستكون مصدرا للصراعات والحروب.

أثر الماء على حضارة الإنسان

للماء دور حيوي في تقدم حياة الإنسان وبقائه وتطور وجوده وتطور حضارته. فقد نهضت الحضارات الأولى في وديان الأنهار الكبيرة، في وادي النيل في مصر وشمالي السودان، ووادي دجلة

والفرات في بلاد ما بين النهرين، ووادي السند في الهند وباكستان، ووادي هوانج في الصين وغيرها. وأنشأت كل هذه الحضارات أنظمة ري كثيرة طورت الأرض وجعلتها منتجة. وقد انهارت الحضارات حينما نضبت موارد المياه أو عندما أساء الناس استخدام هذه الموارد، فقد شق الرومان القدماء قنوات لجر الماء، وأنشأوا القنوات والخزانات المائية في أرجاء إمبراطوريتهم، فأحالوا المناطق على طول ساحل الشمال الإفريقي إلى حضارة مزدهرة تطورت خلالها الحياة وازدهرت. وبعد ذهابهم طويت مشاريعهم المائية. وفي الوقت الراهن صارت بعض هذه المناطق أماكن صحراوية تصعب فيها الحياة .

في الماضي: كانت الدول تخوض غمرات الحرب صراعاً على الأرض.
في الحاضر: يشهد العالم أكثر من صراع على مصادر الطاقة.
أما في المستقبل: فالمسألة سوف تتغير، حيث يتحول العالم إلى الصراع على المياه.

وهذا الصراع، كفيل بأن يرسم صورة مستقبل العالم كله. بل على الأرجح أن يشتد هذا الصراع بحكم اشتداد ندرة أو شح موارد المياه المتاحة لسكان المعمورة. كما يشير بعض الباحثين زاد سكان هذا العالم بمقدار 3.8 أضعاف على مدار القرن العشرين، فيما زاد معدل استخدامهم للمياه بنسبة تسعة أضعاف. كما تجاوز سكان العالم السبعة مليارات (7.7 م)، ومن ثم، فالحقيقة المؤسفة تظهر بأن أكثر من نصف البشر أصبحوا يعيشون في مناطق تعاني بشكل أو بآخر أزمة في المياه، أو هي مصابة بنوع أو آخر من مظاهر الجوع المائي إن صح التعبير، كما أن هذا النصف كفيل بأن يصل إلى الثلثين من سكان المعمورة خلال سنوات العقد المقبل، فيما تعاني نسبة الخُمس (20 في المئة) من سكان العالم، بالفعل، ضروب المشقة في الحصول على احتياجاتهم من المياه الصالحة للشرب، وهذا الشح يؤدي إلى الإصابة بأمراض شتى، كما ان هذه الندرة المائية التي يعاني منها المجموعات المحرومة من العالم، أصبحت تمثل أكبر عامل لإزهاق حياة البشر على سطح الارض.

الماء، هذا المورد النفيس، ذهب زمنه الذي كانت تنعم به به البشرية في عهود وأحقاب ماضية، ففي أرجاء شتى من العالم، راح عهد المياه المأمونة، الرخيصة والمتاحة، وأصبح محلها حقبة

جديدة من مشكلات التوافر وعقبات الإتاحة، فضلاً عن قضايا حسن نوعيتها، كما ان تفاقم أسعار المواد الغذائية، وكل هذه الظواهر الواجب التنبه لها، من شأنها أن تفضي بدورها إلى ظاهرة ذات نمط مستجد في أجرومية مفاهيم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، بنشوء مصطلح «**هيدروبوليتيك**".

التذكير إلى ما أورده الصهيوني، أرييل شارون، في مذكراته، حين أشار إلى أنه من أهداف حرب عام 1967، ما كان متصلاً بأهمية السيطرة على الموارد المائية، سواء في نهر الأردن أو في مرتفعات الجولان السورية، والامر نفسه على حرب الهند وباكستان عام 1965 في مناطق جامو وكشمير الجبلية، حيث كان هدف باكستان العسكري الاستيلاء على منطقة تتدفق على صعيدها مياه الفيضان المتأتية من ثلاثة أنهار دفعة واحدة.

بالرغم من ان هناك اتفاقيات دولية تم من خلالها تنظيم استخدامات المجاري المائية المشتركة بين جماعات الدول أو الشعوب وصلت إلى أكثر من 200 اتفاقية مائية دولية، الا ان أغلب هذه الاتفاقات تعاني وضع الاليات الحقيقية للتنفيذ تكفل حل المنازعات التي قد تنشب، وقد نشبت بالفعل، بين اغلب أطراف تلك الاتفاق. فضلاً عن أنها تفتقر إلى أحكام تقضي بتقسيم الحصص المائية بين تلك الأطراف (وهنا نستطيع، كقارئين، أن نشير إلى بوادر الأزمة المحيطة حالياً بما يعرف باسم سد النهضة، الذي ما برح يثير مشكلات كبيرة، على مستوى حوض نهر النيل، وبخاصة بين ثلاثي الدول النيلية المعنية مباشرة بالقضية، وهي إثيوبيا ومصر والسودان. فيما تظل أفريقيا مرشحة لمشكلات مائية يمكن أن تشتعل.

وفي أحدث الدراسات التي نشرت (في مجلة "وورلد بوليسي") تصف آسيا بأنها تضم أقل معدل من نصيب الفرد من المياه العذبة في العالم، وما يزيد من وطأة هذا النقص هو أن آسيا تشهد أسرع ارتفاع في الطلب على المياه في العالم.

وعلى نحو ما ذكرته مجلة "فورين أفيرز"، في إشارتها النقدية إلى كتاب **"براهما شيللاني (Water, Peace, and Ware)"** (عدد ديسمبر 2013)، فإن بوادر الأزمات المائية - الصراعات الهيدروليكية - لن تكون مقتصرة على أفريقيا أو آسيا، بل إن هناك من الدول المتقدمة من بدأ

يعاني بدوره في هذا الخصوص، ومنها مثلاً قارة كاملة مثل أستراليا، وأقطار في أوروبا مثل إسبانيا.

أنماط القوة

كواحدة من علاقات الموارد بالصراعات الدولية الأزلية، نشأ الصراع على المياه الذي بات يلعب دوراً حساسا في تقرير سياسات الدول الداخلية والخارجية. فمن المتوقع ظهور صراعات حول المياه، خصوصاً أنَّ هناك أنهاراً دولية تقطع مساحات شاسعة وتمرُّ بالعديد من الدول في طريقها إلى المصب. وهذا ما جعل عدداً من الدول تتلقى أكثر من 75 في المئة من مياهها الضرورية من الأنهار من خارج حدودها.

وأوضح ديفيد ميشيل، مدير برنامج الأمن البيئي في مركز ستيمسون (منظمة بحوث السلام والأمن) في واشنطن، أنَّ "قضية حروب المياه أكثر تعقيداً من كونها نظيراً لما يوازيها بشكلٍ مباشر من موارد أخرى. فمن المهم أن يتم التمييز بين أنواع الموارد والمسارات التي يمكن من خلالها أن تسهم في النزاع".

وقد برزت معايير لحلِّ النزاعات المائية بُنيت على قوة الدولة التقليدية والحديثة. وُجد أنَّ القوة التقليدية تتميَّز بالثبات النسبي مثل المساحة والحدود والموقع والسكان، إلَّا أنَّها لم تعد هي المؤثر الرئيس إلى قوة الدولة، حيث دخلت العوامل الحديثة وهي العوامل المتجددة بحسب ما يفرضه الواقع الدولي، والمرتبطة بالمعرفة العلمية والتقنية المتطورة باستمرار. وبالإمكان تغير أنماط القوة من زمانٍ إلى آخر، خصوصاً مع حقيقة التحديات التي تؤمن بأنَّ الخيار ليس للدولة وحدها في أن تثبت مكانتها كقوةٍ دوليةٍ أو تتزلزل قوتها إلى ضعفٍ واضح.

تقنين الأنهار

في مطلع عقد التسعينيات، طرح تقرير التنمية البشرية الصادر عن الأمم المتحدة لعام 1990 فكرة الأمن البشري كإطار يتجاوز المنظور الكلاسيكي لفكرةِ الأمن الوطني والذي كان محصوراً بالجوانب العسكرية والأمنية وما يتصل بها. بعدها نشأ الأمن المائي كجزءٍ لا يتجزأ من مفهوم

الأمن البشري، وأصبح يتمثَّل بالقدرة على الحصول على المياه من أجل الاستهلاك والإنتاج وفي الحدِّ من الطاقات التدميرية للمياه وفي حفظ حق الأجيال القادمة منها.

من هنا برزت الحاجة إلى تقنين المياه، وعلى الرغم من تجديد القوانين وتطويرها إلَّا أنَّها استقت مبادئها من القاعدة المرجعية القديمة في القانون الدولي حول المياه العذبة في العالم، التي تعود إلى مبدأ السيادة الإقليمية. وهو المبدأ الذي يعطي الحق لكلِّ دولة في السيادة المطلقة على المياه المُشتركة التي تنبع من أراضيها. ولأنَّ ذلك القانون لم يعد يلبي الاحتياجات العصرية، تمَّ التوصل إلى قانون "هلسنكي" حول استخدامات المياه العذبة في العالم التي أقرها الاتحاد القانوني الدولي عام 1966. ولكن لا زالت تعترض تطبيق ذلك قوانين المياه الخصوصية والنسبية، التي تتميز بها الأنهار والمجاري المائية الدولية. وهذا يعني عدم إمكانية تطبيق وصياغة القواعد القانونية بصورةٍ مطلقة وتطبيقها على جميع النزاعات المائية الدولية. ومثال لذلك معاهدة نهر النيل 1929، التي تم تحديثها عام 1959، وحددت حصص مصر والسودان لكنها التي لم ترضِ الطرفين.

أشارت دراسات إلى أن استهلاك المياه في العالم قد تضاعف ثلاث مرات خلال الخمسين سنة الماضية، كما أفاد البنك الدولي بأن 80 دولة تعاني الآن من نقص في المياه ويعيش أكثر من 2.8 مليار شخص في مناطق تعاني من نقص حاد في المياه. ومن المتوقع أن يرتفع هذا العدد إلى 3.9 مليار ليشمل أكثر من نصف سكان العالم بحلول سنة 2030.

على الصعيد الدولي، يعاني نصف المرضى في المستشفيات من أمراض مرتبطة بالمياه. والأكثر إثارة للدهشة هو أن حوالي 80 بالمئة من الأمراض في البلدان النامية مرتبطة بتلوث مصادر المياه. كما يموت 15 طفلا كل دقيقة بسبب شرب المياه غير النظيفة حسب إحصاءات منظمة الصحة العالمية. ويموت الفقراء من نقص المياه، بينما يستهلك الأغنياء كميات هائلة من المياه. ما يوضح مفارقة المياه هذه أننا على وشك أن نشهد صراعا عالميا حول المياه. وقد سُلط الضوء على مسألة ندرة المياه في تقرير صدر قبل بضع سنوات من قبل مجلس الشيوخ الأمريكي، حذر

من حروب المياه القادمة في وسط وجنوب آسيا بسبب ندرة المياه، وتوقع أن "صداها سيكون محسوسا في جميع أنحاء العالم".

تسعير المياه وخصخصتها:

قد تحدث نزاعات متى حاولت الدول او السلطات المحلية خصخصة ادارة المياه وفرض رسوم على استهلاك المياه او خدمات الصرف الصحي، وفي الحالات التي لطالما كانت المياه فيها موردا عاما مجانيا، من المحتمل ان تثير هذه المبادرات احتكاكا بين الجماعات المتضررة والسلطات والقطاع الخاص، أكد الموقع أن خصخصة المياه تطبق حتى الآن بشكل خاص في البلدان الأفقر، حيث يستخدم البنك الدولي نفوذه المالي لإجبار الحكومات على خصخصة مرافق المياه مقابل القروض. ونقلا عن الاتحاد الدولي للمحققين الصحفيين، لم يكن التوسع الهائل لهذه الشركات ممكنا دون تدخل البنك الدولي والمؤسسات المالية الدولية الأخرى، على غرار صندوق النقد الدولي وبنك التنمية الآسيوي والبنك الأوروبي لإعادة البناء والتنمية.

وفي بلدان مثل جنوب إفريقيا والأرجنتين والفلبين وإندونيسيا، حث البنك الدولي قادة هذه البلدان على "إضفاء الطابع التجاري" على مرافق المياه الخاصة بهم كجزء من سياسة البنك الشاملة للخصخصة واقتصاديات السوق الحرة.

باكستان والهند

بالنظر إلى التوتر القائم بين الهند وباكستان، حذر الموقع من أن الذوبان السريع للأنهار الجليدية في جبال الهيمالايا سيؤدي إلى خفض تدفق الأنهار الضخمة مثل نهر السند ونهر الغانج ونهر براهمابوترا، مما يجعل شبه القارة الهندية واحدة من أكثر المناطق المعرضة للجفاف.

ومن المتوقع أن تتسبب محاولات السيطرة على المياه المتبقية في نهر السند إلى إشعال نيران الحرب حول كشمير، حيث يتدفق النهر بشكل أكثر قوة. من جهتها، تعتمد باكستان بشكل كبير على تدفق نهر السند في الزراعة وإمدادات المياه العذبة. وبالتالي، فإن أي محاولة من جانب الهند للاستحواذ على مياه نهر السند أو العبث بتدفقها السلس ستقابل بمقاومة كبيرة من جارتها المسلحة نوويا باكستان.

في باكستان، يهدد النمو السكاني الجامح وأنماط هطول الأمطار المتغيرة توقعاتها المائية. مع وجود عدد هائل من السكان الذي من المتوقع أن يتضاعف في السنوات الخمس والثلاثين المقبلة، فإن طلب باكستان على مواردها المائية المحدودة للغاية سوف يزداد بطريقة لا يمكن تصورها تقريبا.

نهر دجلة والفرات

أما نهرا الفرات ودجلة فينبعان من الجبال الواقعة شمال تركيا ويمر الفرات عبر سوريا ثم العراق، أما دجلة فيمر من تركيا للعراق مباشرة، ذكر الموقع أن نهر دجلة والفرات منطقة أخرى قد تشهد صراعات مائية. في السنوات الأخيرة، بنى الأتراك سدودا تتحكم في تدفق المياه إلى العراق وسوريا. وإذا استمرت تركيا في الحصول على المزيد من المياه أو أدى الجفاف إلى تقليل تدفق النهر بشكل أكبر، فقد تصبح البلدان التي تعاني من شح المياه في اتجاه مجرى النهر حانقة على تركيا. وهذا بدوره يمكن أن يؤدي إلى نشوب صراع عنيف.

اليمن

لعبت المياه أيضا دورا مهما في أزمة اليمن. فقد تركت عقود من سوء الإدارة البلاد ببنية تحتية متداعية للمياه واحتياطيات مياه جوفية مستنفدة ومعدلات عالية من عدم كفاءة استخدام المياه. قد تصبح العاصمة اليمنية، صنعاء، أول عاصمة في العالم الحديث تنفذ وظيفيا من المياه، ربما بحلول سنة 2025.

الصراع على النيل

نهر النيل ينبع من إثيوبيا "النيل الأزرق"، وبحيرة فكتوريا "النيل الأبيض"، ويمر بتسع دول أفريقية هي "إثيوبيا، كينيا، أوغندا، تنزانيا، رواندا، بوروندي، والكونغو والسودان ومصر"، ويقطع مسافة من أبعد منابعه على روافد بحيرة فكتوريا نيانزا في قلب أفريقيا لساحل رشيد على البحر الأبيض المتوسط بمصر نحو 6700 كم. يعد نهر النيل أطول نهر في العالم وليس من المستغرب أن يكون هناك الكثير من الصراع على مياهه. منذ العصور القديمة، كانت مصر

تعتمد على النيل في المياه والنقل والغذاء. ولكن منذ أن بنت إثيوبيا سد النهضة الأول، ما فتئت مصر تضغط على جارتها الجنوبية لكيلا تأخذ أكثر من حصتها العادلة من المياه.

ويكمن الخطر في أنه كلما زاد استخدام إثيوبيا والسودان وجنوب السودان للمياه، قل وصول المصريين إلى المنبع. في الأثناء، تجري دول حوض النيل محادثات لحل مشكلة المياه سلميا. ولكن إذا فشلت هذه المناقشات، فإن احتمال حرب المياه يظل واردا.

إسرائيل تطالب بمدها بنصيب من مياه النيل عن طريق سيناء، وإلا قامت بإحداث متاعب لمصر في منابع النيل بإثيوبيا ومنطقة البحيرات، فالكيان الصهيوني يسعى لزيادة نفوذها في القرن الأفريقي ومنطقة البحيرات الكبرى، وكذلك أميركا التي نجحت أخيرا في تحقيق أكبر قدر من النفوذ على كل من إثيوبيا وأوغندا والكونغو ورواندا وبورندي، والمخططات المعادية لمصر في هذا الصدد كثيرة وهناك مخطط قديم يقضي بمحاولة تحويل مجرى النيل في إثيوبيا، ويسعى الكيان الصهيوني وفق هذه الخطة للحصول على 8 مليارات متر مكعب من المياه سنويا من النيل، وقد تكرر الحديث عن هذا المشروع فيما بعد خاصة بعد توقيع معاهدة كامب ديفد عام 1979م.

تظهر الخبرة المكتسبة في العالم أن التوصل إلى اتفاق بين الدول المتنازعة على توزيع مياه الأنهار العابرة للحدود في كثير من الحالات يكون صعباً للغاية. وهذا ينطبق على مشكلة مياه النيل؛ إذ شرعت إثيوبيا منذ عام 2011، حيث 65 في المائة من السكان فيها محرومون من الكهرباء، بإنشاء ربما أكبر مشروع تقني واقتصادي طموح في تاريخها - «سد النهضة الإثيوبي الكبير» والمحطة الكهرومائية، وقد وصلت نسبة إنجاز المشروع إلى 80 في المائة. تتوقع أديس أبابا تغطية جميع احتياجات السكان من الكهرباء، بل وبيع الفائض منها للدول المجاورة عبر خطوط شبكة الكهرباء. تبلغ تكلفة المشروع من 4 إلى 6 مليارات دولار، بيد أنه بعد بدء تشغيل المنشأة، ستكون الدولة قادرة على كسب 27 مليون دولار في اليوم، ناهيك بإمكانية إنتاج ما يقارب سبعة آلاف طن من الأسماك سنوياً في الخزان الكبير.

النزاع بين السنغال وموريتانيا خلال الفترة من إبريل 1989 ويوليو 1991 حول الحقوق المائية فى نهر السنغال. المعارك نشبت بين مدنيين من الطرفين ولقى المئات من الفلاحين المقيمين فى القرى الحدودية مصرعهم، حتى تدخلت القوات المسلحة فى البلدين لاستعادة النظام، وعادت العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين فى عام 1991.

الدول الأخرى التي قد تواجه نزاعات حول المياه

تشمل لائحة الدول التي قد تنضم إلى معركة الاستحواذ على الذهب الأزرق إيران وأفغانستان ومصر وليبيا ونيجيريا والصومال. والأكثر إثارة للقلق أن الأطراف العالمية ذات الوزن الثقيل مثل الصين والهند وحتى الولايات المتحدة تواجه مستقبلا غير مريح نظرا لعدم التوافق بين الطلب المتوقع على المياه ومصادر الإمداد المحدودة.

للحد من كل ذلك، وإدراكا لخطورة الموقف، يجب أن نتخلى عن موقفنا السريري تجاه هذه القضية الخطيرة وأن نضع استراتيجية فعالة للتعامل مع هذا المصدر الناشئ للصراع العالمي لأننا نستطيع أن نعيش دون نفط ولكننا هالكون من دون الماء. علاوة على ذلك، يجب على البلدان التي تتصادم بشأن هذه القضية بالذات أن تحل شؤونها باللجوء إلى الدبلوماسية المائية؛ لأن الماء يجب أن يكون أداة سلام لا حرب، كما أشار أنطونيو غوتيريش في حديثه الصحفي الأخير في باكستان.

إن المياه غالباً ما تكون ضحيةً للصراع أكثر من كونها مصدراً رئيسياً له في المنطقة. وباستخدام بيانات مستقاة من قاعدة البيانات المتعلقة باستهداف البنية التحتية في الشرق الأوسط التابعة لجامعة ديوك، وجد التقرير أنه منذ عام 2011 كانت هناك 180 حادثة على الأقل تعرضت فيها مرافق البنية التحتية للموارد المائية للاستهداف في أثناء الصراعات الدائرة في قطاع غزة واليمن وسوريا وليبيا، متسبِّبةً في حرمان مئات الآلاف من الناس من الحصول على إمدادات المياه. ومع تزايد المعارك في المناطق الحضرية المكتظة بالسكان باستخدام أسلحة شديدة الانفجار وطائرات مسيرة، باتت هناك حاجة ملحة لحماية مرافق البنية التحتية المدنية للمياه من الاستهداف.

ولو أخذنا مسألة الأمن الغذائي كمحدد لفهم مستقبل العالم العربي لوجدنا أن الأمر مفزع، ذلك أنه إذا كان من يمتلك غذاءه يمتلك قرارا، فإن وجود فجوة غذائية في العالم العربي تصل لنحو 30 مليار دولار سنويا هي الفرق

بين الصادرات والواردات العربية مما يمثل مشكلة خطيرة، بل ونسبة الاكتفاء الذاتي من أهم السلع الإستراتيجية في مجال الغذاء لا تزيد عن 39%، وهذه النسبة لها أهميتها، ونراها أكبر في حالة الدول ذات الأهمية بالمنطقة العربية مثل مصر التي يبلغ اكتفاؤها الذاتي من القمح 27.%، وإذا أخذنا في الاعتبار أن السوق العالمية للقمح تتشكل من دول ذات توجهات سياسية ومتعارضة معنا، أدركنا فداحة المشكلة.

فالدول الكبرى المسيطرة على سوق تصدير القمح هي "أميركا، كندا، أستراليا، السوق الأوروبية المشتركة"، حيث يمكنها التكتل والتحكم ليس في تصدير القمح فقط بل وفي أسعاره أيضا.

وهكذا فإن المسألة الغذائية تفجر بالضرورة مسألة الماء لأنه العنصر الأساس للزراعة القادرة بدورها على سد تلك الفجوة الغذائية. وبالطبع لا تقتصر أهميته على مسألة الزراعة، فهو ضروري للتصنيع، فضلا عن أهميته لتلبية الاستهلاكات البشرية المباشرة من مياه شرب وغسل وغيرها، وليس عبثا بالطبع أن تكون معظم الحضارات نشأت حول مصادر المياه.

ومشكلة المياه في الوطن العربي ذات أبعاد كثيرة لوقوعه في الحزام الجاف وشبه الجاف من العالم، وقلة الموارد المائية المتجددة فيه عن 1% من المياه المتجددة في العالم، ونصيب الفرد العربي من المياه 1744 مترا مكعبا سنويا، في حين أن المعدل العالمي يصل إلى 12900 متر مكعب سنويا، ومعدل هطول الأمطار بالوطن العربي بين 5-450 ملم سنويا، في حين يتراوح في أوروبا مثلا بين 200 . 3000 ملم سنويا.

والموارد ومصادر المياه في الوطن العربي تتمثل في الأمطار والمياه السطحية "الأنهار" والمياه الجوفية، ولعل المشكلة حول المياه السطحية هي الأهم، فالمياه السطحية المتاحة حاليا للوطن العربي تبلغ 127.5 مليار متر مكعب سنويا، تحوز ثلاثة أقطار عربية نحو 71% منها، هي مصر والعراق والسودان.

ديفد بن غوريون أعلن عام 1955 أن "اليهود يخوضون مع العرب معركة المياه، وعلى نتيجة هذه المعركة يتوقف مصير إسرائيل، وإذا لم ننجح في هذه المعركة فإننا لن نبقى في فلسطين"، وبالنسبة لنهر الفرات الذي ينبع من تركيا ويمر بسوريا والعراق، فقد نشأت حول حصص المياه والتدفق في هذا النهر العديد من المشاكل بين كل من تركيا وسوريا والعراق، وتستخدم تركيا مسألة المياه للضغط السياسي على سوريا مثلا.

ومن الناحية الفنية فإن سوريا لديها عجز في المياه يقدر بنحو مليار متر مكعب سنويا، ومع قيام تركيا بمشروعات كبرى على نهر الفرات تقضي بإنشاء 13 سدا، نفذت بالفعل منها سد أتاتورك عام 1990م، فإن معدل التدفق في النهر قد انخفض مما أثر على كل من سوريا والعراق. كما أن قيام سوريا بدورها بإنشاء سدود على الفرات يؤثر على العراق الذي يصل إليه النهر في النهاية، بل قد وصلت الأمور إلى حافة الصدام بين سوريا والعراق عام 1974م.

وهناك مشروعات يتم التفكير فيها الآن خاصة بعد التحالف العسكري التركي الإسرائيلي بنقل المياه من تركيا لإسرائيل عبر أنبوب طويل يسير في البحر المتوسط لشواطئ إسرائيل، وهذا يحقق لتركيا موارد مالية من بيع المياه، ويحقق لإسرائيل تلبية حاجاتها من المياه بثمن بسيط، ولكن هذا بالطبع سيكون على حساب كل من سوريا والعراق.

كانت المياه من أهم العوامل التي نشأت بسببها الحروب بين العرب وإسرائيل، فالعمليات العسكرية الإسرائيلية على الحدود السورية-اللبنانية عامي 1964 و1965م كانت بسبب الأطماع الإسرائيلية في مياه نهر الأردن ونهر بانياس ونهر اليرموك ونهر الحاصباني، كما كان من أسباب حرب 1967م موضوع تحويل مجرى نهر الأردن، وعام 1982م شنت إسرائيل حملة عسكرية على لبنان كان من أهدافها أطماع إسرائيل في نهر الليطاني.

محاضرة

جيوسياسة الاعلام – بين التحكم والاختراق

جيوسياسة الاعلام -بين التحكم ة الاختراق

تمهيد:

في العالم المعاصر، أدت ثورة الاتصالات والتقدم التكنولوجي التقني الفائق إلى غياب الحدود الجغرافية بين الدول، حيث شهد هذا الزمن تطورا في تكنولوجيا الاتصال والأقمار الصناعية، الهواتف الخلوية والنقل التلفزيوني والناسخات الرقمية والأنترنت حيث الصوت والصورة تنقل بسرعة فائقة. ونتيجة لذلك اتجهت الجيوبوليتيك للتغير نتيجة حرب الاستراتيجيات الإعلامية العالمية التي أصبحت لا تأخذ بعين الاعتبار الجغرافيا بشكل رئيسي، ومثل هذه التغييرات دفعت بالمفكرين والباحثين إلى دراسة تأثير جيوبوليتيك الإعلام على الأمن الوطني من خلال ظهور عدة نظريات سعت في مجملها لتوضيح مفهوم الأمن الوطني ولتفسير تأثير جيوبوليتيك الإعلام عليه.

رأى راتزل أن الدولة عليها أن تتوسع، حيث مجد الدولة الألمانية واعتبر الأرض والأمة الالمانية متفوقين على الأراضي والأمم الاخرى، لذلك يجب عليها أن تتوسع على حساب الكائنات العضوية الأخرى لكي تجد لنفسها مجالا حيويا للعيش والتقدم، ومن خلال هذه النظرة العضوية يتضح أن راتزل يفهم التطور الزاحف للدولة بأنه عملية طبيعية حية، شبيهة بنمو الكائنات الحية. (دوغين، 2004، صفحة 77)

وبناء على ذلك فإن توسع الدولة وتقلصها المكاني عمليتان طبيعيتان مرتبطتان بدورتها الحياتية الداخلية، حيث حدد راتزل في كتابه "حول قوانين تطور الدولة في المجال" 1901 سبعة قوانين للتوسع: ويعتبر القانون الأول المتمثل في امتداد الدول يتسع وفقا لتطور ثقافتها، فكلما انتشر السكان ومعهم ثقافتهم الخاصة زادت رقعة الأرض الجديدة التي ينتشرون فيها في مساحة الدولة. حيث يعتبر القانون الأول الأكثر تأثيرا وبروزا وخدمة لفكرة التوسع وهو البعد الثقافي.

كما تعتبر كل من المدرستين الفكريتين الروسية والفرنسية من أبرز المدارس التي تناولت موضوع الاعلام في التحليل الجيوبوليتيكي.

من المنظور الروسي، نجد إيديولوجية دوغين المناهضة للغرب المناهضة لليبرالية، هي إيديولوجية تقليدية اجتماعيا، بالرغم من أن الفكر الروسي يتمحور حول الوحدة والأرض، إلا

أنها مرتبطة أيضا بالقوميات الأخرى لأوراسيا، حيث تدخلها ضمن المواجهة الثقافية والأيديولوجية المجابهة للأفكار والقيم.

يرى دي لابلاش أن الإنسان ليس عبدا لبيئته كما تنادي المدرسة الحتمية بل يختار من بين إمكانياتها ما يشاء تبعا لمستواه الحضاري ولذا فإن أنماط النشاط الاقتصادي على سطح الأرض هي نتائج لتفكير الإنسان ومجهوده

وحركته في إطار بيئته الطبيعية". (جودة و أبو عيانة، 1986، صفحة 340) ومن هنا يمكن فهم التوجه أوالقناعة لتغير الأنماط الثقافية للشعوب المستعمرة، بناء على هذه الفكرة انطلاقا من الداخل إلى المحيط الخارجي وهذا ما بات الإعلام وسيلة لتجسيده اليوم بصورة عامة (إمكانية إعادة هندسة المجتمعات عن طريق الإعلام).

الميدياكراتيا عاملا «جيوبوليتيكية»:

حدد إيف لاكوست مهمته في أن يعزز الجيوبوليتيكا بالمعايير الأكثر جدة والخاصة بمجتمع المعلومات. أما الأهمية الأعظم بين النظم المعلوماتية التي تترك أثرها على العمليات الجيوبوليتيكية فتملكها وسائل الإعلام الجماهيرية، والتلفزيون من بينها بشكل خاص. وفي العالم المعاصر تسيطر لا الطريقة البنيوية - العقلانية بل ألق «الشخصية» (الإيميج). فالنظرات السياسية والأيديولوجية والجيوبوليتيكية تصاغ لدى جزء كبير من المجتمع، وبطريقة استثنائية، على أساس برامج البث التلفزيوني و «الصورة الشخصية الوسطية تمثل التركيب الذري الذي تتركز فيه دفعة واحدة عدة رؤى - الإثنية، الثقافية، الأيديولوجية والسياسية، والنوعية التركيبية للإيميج» تقربه من تلك الخصائص التي تعتمدها الجيوبوليتيكا بطريقة تقليدية.

وعلى الربورتاج الإعلامي، المبثوث من نقطة حارة، مجهولة تماما بالنسبة الساكن الكابيتول مثلا، أن يقدم في فترة بالغة القصر الصورة الجغرافية التاريخية والدينية والاقتصادية - الثقافية والإثنية للمنطقة، كما عليه أن يوزع نقاط تركيزه وفقا للهدف السياسي المعطى بشكل

محدد وبناء على هذا تقترب وظيفة الصحفي وبخاصة الصحفي التلفزيوني من وظيفة الجيوبوليتيكي، فوسائل الإعلام لا تلعب في المجتمع المعاصر ذلك الدور المساعد الذي كان لها في السابق، بل تغدو العامل الجيوبوليتيكي المستقل الأوفر قوة والقادر على ترك تأثير قوي على المصائر التاريخية للشعوب. (دوغين، 2004، صفحة 176)

الهوية والمجتمع والأمن المجتمعي

يعتبر الأمن المجتمعي واحد من بين أهم عناصر برنامج البحث في الدراسات الأمنية المعاصرة، فقد تجاوز الرؤى التقليدية التي تعتبر المجتمع مجرد قطاع تابع لأمن الدولة باعتباره كيانا مستقلا بذاته وموضوعا مرجعيا للأمن، فالمجتمع ليس المقصود به بنيته أو تنظيمه بقدر ما تركز الاهتمام حول هويته، حيث أصبح التركيز في الدراسات الأمنية على فهم ثنائي للأمن يمزج بين أمن الدولة الذي يدور حول السيادة والأمن المجتمعي المتعلق بالهوية، فالبقاء بالنسبة لأي دولة يختصر في حمايتها لسيادتها وتماسك مجتمعها وثقافتها و قيمها التي هي عرضة للتأثر، في حين يكمن بقاء المجتمع في حماية هويته بالأساس وهذا ما يتم العمل عليه. (بوستي، 2019، الصفحات 16،17).

يرى "ويندت" (البنائية) أن للهوية والثقافة والأفكار دور مهما في فهم وتحليل ظواهر السياسة الدولية بشكل عام. ويرى أيضا أن الهويات تشير إلى من "نحن" ومن "هم الآخرون"، وإن المصالح تشير إلى "ماذا يفعلون"، فالمصالح تعني الحاجات والرغبات التي تسعى الدول إلى تحقيقها.

من جانب آخر يرى "رايوند هانيبوش"* بأن النظرية البنائية هي الأمثل لتفسير الصراعات والعلاقات البيئية التي تجري في منطقة الشرق الأوسط، وذلك لأن هذه الدول مازالت تمر بمرحلة بناء الدولة ومرحلة بناء الهوية الوطنية، وهي تعاني من أزمة هوية وأزمة اندماج وتكامل وطني، وهذا ما يعكس بالضرورة ان تكون الدولة مفرطة في تعزيز أمنها المجتمعي و ضعف إرادتها في تكريس التنشئة الثقافية، الاجتماعية والسياسية عبر مؤسساتها الرسمية و غير الرسمية و التي على رأسها الإعلام بمختلف وسائله، ما أنتج إمكانية الاختراق الثقافي للمجتمع و قد يحدث

بذلك تحولات أمنية خطيرة قد تؤدي إلى تفكيك المجتمع، وتحويل ولائه إما لنماذج الدولة أو تركه بدون مصدر هوياتي و ثقافي ثابت. وذلك بفعل عملية تأسيسها من قبل الاستعمار الفرنسي والبريطاني الذي قام بتفكيك وتقسيم هذه المنطقة وترسيم حدودها دون مراعاة الهويات العرقية والدينية والثقافات المحلية وخصوصية هذه المنطقة. (عرنوس، 2019، صفحة 04)

مجالات التنسيق والتعاون بين الأجهزة الأمنية والأجهزة الإعلامية

يتأثر أمن المجتمع بما تعرضه أجهزة الإعلام من مواد إعلامية، فهو قادر على جعل المواطن يشعر بالأمن والأمان وفي نفس الوقت له القدرة على إحداث تأثير سلبي قد يؤدي لتقليل أهمية الأجهزة الأمنية وزعزعة الثقة في قدرة الأجهزة الأمنية على تحقيق أهدافها والتأثير عليها داخليا وخارجيا حيث تصبح غير قادرة على المواجهة. (اللحام، الشمايلة، و كافي، 2015، صفحة 136،173)

تسعى مؤسسات الدولة للحفاظ على الاستقرار الأمني وحماية المجتمع من مختلف الأبعاد التي تهدد تماسكه ووحدته، ولتحقيق هذا الهدف وجب توحيد الجهود والتنسيق الكامل بين مختلف مؤسسات الدولة، ويعتبر الإعلام الأمني من شرائح الإعلام المهمة في المجتمع والتي يستلزم عليها تأدية مهامها الحساسة بكل دقة ومصداقية، فالتنسيق بين الأجهزة الأمنية ووسائل الإعلام من الأولويات المساعدة في حماية المجتمع من أي اختراقات خارجية. (عجوة، 2002، صفحة 19)

أصبحت وسائل الإعلام أداة مهمة في فن الحكم في العصر الحديث. إنها "السلطة الرابعة" التي تساعد الدولة على تعزيز مصالحها وأهدافها وغاياتها. منذ فجر ثورة المعلومات واستخدام وسائل الإعلام "لتحقيق أهداف الحرب بوسائل أخرى"، أصبح الإعلام عنصرا مهما في صنع / بناء الرأي، وخلق الأبطال والأشرار، وخلق الوحوش والأعداء.

لقد أثرت التغييرات التي يشهدها العالم بفعل ضغط العولمة على بنية المجتمعات وتركيباتها واستقرارها، وأصبحت التكنولوجيات بمثابة المصدر الذي ينهل منه الصغار والكبار أفكارهم ومعلوماتهم، وأصبحت تشغل الحيز الأكبر من أوقاتهم وعوضت بذلك أدوار مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالمدرسة والأسرة، وبهذا أصبح الإعلام يمارس أحد أهم الأدوار الاجتماعية والمتمثلة في عملية التنشئة الاجتماعية. (مدفوني، 2019، صفحة 244)

إن التدفق الحر للمعلومات لا يعدو أن يكون سوى وسيلة لتدعيم الصمت لدى أغلبية الأسر التي تلجأ للبرامج الرياضية والترفيهية والتي تعتبر كصورة من صور تزييف الوعي بالواقع عوض تحفيزهم على فهم الواقع فهم صحيحا والعمل على تغييره نحو الأفضل. (كامل محمد و شكر، 2011، صفحة 9)

تعتبر عولمة الإعلام من السمات الرئيسية لهذا العصر تسعى للتوسع الثقافي بإلغاء خصوصية الشعوب والأفراد و إذابة قيمهم المكتسبة بتقديم مضمون متشابه في مناطق جغرافية مختلفة، والسعي نحو القفز فوق الحدود الثقافية والسياسية للتقليل من مشاعر الانتماء لثقافة محددة، هذا وأصبحت تستخدم في توسيع نطاق النمط الرأسمالي الليبرالي على المستوى العالمي و التسويق له من خلال المضامين المقدمة في وسائل الإعلام بمختلف مجالاتها، (بوفدح بديسي، 2018، صفحة 485) و هذا ما صرح به المفكر الألماني "فريديريك راتزل" في قوانين التوسع السبعة التي جاء بها، حيث جاء في قانونه الأول بأن الدولة تتوسع بتوسع ثقافتها، فكلما انتشر السكان ومعهم ثقافتهم كلما زادت رقعة الأرض التي ينتشرون فيها في مساحة دولتهم، ومن هنا تتجلى خطورة العولمة الإعلامية التي تسعى الدولة المتحكمة فيها للسيطرة الثقافية من اجل السيطرة على العالم و التوسع على حساب باقي الدول.

تشير العولمة الإعلامية لوحدة المضمون الإعلامي، وهذا ما يتيح تعددا وتنوعا وجماهرية أكثر، كما انها تعمل على تآكل الحدود التقليدية للدولة، على اعتبار أنها تسعى لنشر العولمة والتقليل من أهمية الهوية وروح الانتماء للوطن الأم، فالمتحكمون في العولمة يسعون لصياغة ثقافة كونية تغطي كل جوانب النشاط الإنساني بهدف خلق الإنسان العالمي المبرمج الذي يؤمن بإيديولوجية السوق العالمية ذو أفكار موحدة الإنتاج. (كامل محمد و شكر، 2011، صفحة 7،6)

خطورة العولمة الإعلامية

يتجلى خطر العولمة الإعلامية على الأمن المجتمعي الوطني من خلال ما يلي:

- ذوبان سيادة الإعلام الوطني ومنه سيادة الدولة في ظل تفعيل المفاهيم الجيوبوليتيكية الحديثة، كالسيادة على الفضاء والحدود وصنع السياسات الإعلامية وظهور تقسيم جديد للعالم.

- اعتماد دول النامية بشكل اساسي على المضامين الإخبارية والحوارية والإعلانات وبرامج الدراما الغربية، وهذا ما يؤدي للغزو الإعلامي لدول المركز المتحكمة في العولمة.
- تدفق لثقافات غريبة عن دول الأطراف بلا حاجز ولا ضابط في إطار التنافس التجاري بين الشركات المتعددة الجنسيات.
- تقزيم الإنجازات الإيجابية والتركيز على المظاهر السلبية بإعطاء قراءة متحيزة للأحداث والوقائع، وهذا ما نلاحظه من خلال المواد الإعلامية التي تركز على ظواهر القتل والاغتصاب والمخدرات والعلاقات الحميمة بين الرجال والنساء.
- خلق حالة من الاغتراب الثقافي بسبب تباين الثقافات خاصة عبر تلقي مضامين العنف والرعب والإباحية. (بوفدح بديسي، 2018، صفحة 486،487)
- الترويج لثقافة الاستهلاك الذي تنتجه الرأسمالية الغربية الأمريكية من أفكار وملابس ومأكولات ومشروبات.
- إشاعة ثقافة الإباحية وغيرها من المنتجات الممنوعة وما ينتج عنها من إباحة للمنكرات وفساد في المجتمع ومحاولة تبسيط فكرة تحليل المحرمات والممنوعات في قوالب علمية محكمة التركيب كالأفلام المدبلجة وغيرها.
- محاولة التمويه وتلطيف ما هو قبيح باستعمال عبارات ملطفة وغير مباشرة، كوصف القدس الشرقية بانها متنازع عليها بدلا من اعتبراها محتلة من الكيان الصهيوني، ووصف محاولات تحريف الدين الإسلامي بعملية التجديد الديني. (رفيق، 2007، صفحة 10)
- تغيير عدة مفاهيم من الفكر الإسلامي، كالسعي نحو المساواة بين الجنسين في الميراث.
- إحداث تغييرات سياسية واقتصادية تتوافق مع القيم الديموقراطية والرأسمالية.
- السعي نحو تشويه سمعة رموز الأمة حتى لا يقتدي بهم أحد من أفراد المجتمع، وإغفال تراجم وسير القيادات والشخصيات البارزة في المجتمع. (بن عطية الله، 2013، صفحة 87)

يقول مالك بن نبي: "إن الاستعمار لا يتصرف في طاقتنا الاجتماعية إلا لأنه درس أوضاعنا النفسية دراسة عميقة، وأدرك منها موطن الضعف، فسخرنا لما يريد، كصواريخ موجهة،

يصيب بها من يشاء، فنحن لا نتصور الى أي حد يحتال لكي يجعل منا أبواقا يتحدث فيها، وأقلاما يكتب بها، أنه يسخرنا وأقلامنا لأغراضه، يسخرنا له، بعلمه، وجهلنا. والحق أننا لم ندرس بعد الاستعمار دراسة علمية، كما درستنا هو، حتى أصبح يتصرف في بعض مواقفنا الوطنية، وحتى الدينية، من حيث نشعر أو لا نشعر..." (1986، صفحة 155)

إن أثر الاستعمار الغربي يظهر جليا من حيث كيفية تأثيره على المجتمع خاصة من ناحية الأفكار التي يتم تسويقها من خلال الاعلام خاصة وأنها حرب من نوع آخر، حيث يعمل على توجيه ضربات قوية في صلب ثقافة المجتمع، وهذا راجع لسهولة اختراق المجتمع حيث لا يمتلك أي قوى رادعة تصد الفكر الغربي، ومع تشبع الفرد الجزائري بهذه الثقافة الغربية.

لقد أبرز الأستاذ في جامعة هارفارد، جوزيف ناي، ظهور وأهمية جانب القوة الناعمة، مؤكدا أن مفهوم القوة كان سريع التغير في السياسة العالمية والعلاقات الدولية. لقد عرف القوة الناعمة بأنها القدرة على الحصول على النتيجة التي يريدها المرء عن طريق الجذب والإقناع بدلا من الإكراه، ظهر المفهوم نفسه مع تطور تكنولوجيا المعلومات والنظرية النيوليبرالية والعولمة في العلاقات الدولية والتواصل المتشابك بشدة كأداة مثالية، وجادل بأن مظاهر القوة لا تكمن في الموارد الدنيوية ولكن في القدرة على تغيير سلوك الدول والشعوب

الأدوار الجديدة لتكنولوجيات الإعلام والاتصال

لقد أحدث تطور تكنولوجيات الإعلام و الاتصال تغييرات كبيرة نتيجة تطبيقاته الواسعة و من مظاهر انتشار الصناعة و توسع المدن على حساب الريف، ما أدى لظهور نمط حياة اجتماعي حضري عوض النمط الريفي، و هذا ما تفرع عنه عدة تغييرات منها خروج المرأة للعمل لتتغير وظيفتها و تضيف وظيفة ثانية إضافة للمكوث في البيت و القيام بالواجبات المنزلية و هذا من السعي الإعلامي الحثيث الموجه للمرأة، و هذا ما أحدث تغييرات عميقة في النظام الأسري و ادى لحدوث العديد من المشاكل وارتفاع نسبة الطلاق بين الأزواج مرجع، (أعراب ، 2006، صفحة 24) إضافة لقضية التعدد التي أضحى الإعلام يطبع في أذهان النسوة بأنه تخلف ورجعية و أن المرأة التي تقبل بالتعدد لا كرامة لها في بيت زوجها.

تحديات التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال

لقد فرضت التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال والمعلومات عدة تحديات قد تتسم بالخطورة ومن أهم هاته التحديات:

- **التحديات التقنية:** ويتمثل في ان هاته التقنيات يمكن استخدامها واستغلالها في تنظيم المجموعات الإرهابية وجماعات الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية.
- **التحدي البشري ونقص الكفاءات:** حيث يكون هناك نقص كبير على مستوى القيادة والتقنية بسبب نقص التأهيل وهجرة العقول مما يجعل من التعامل مع هاته التقنيات الجديدة امر صعبا ويشكل تحديا كبيرا، وفي بعض الأحيان تصبح كثغرة يستغلها العدو للاختراق وتحقيق مصالح و أجندات ذات أبعاد متنوعة.
- **التحدي الثقافي:** فالتهديدات الأمنية في عصر العولمة تتطلب وجود تحصين أمنى ومشاركة اجتماعية لتكوين ثقافة نابذة للعنف، (أعراب ، 2006، صفحة 24) وتقي المجتمع من الاختراق الثقافي والفكري وتحفظ له قيمه ومعتقداته.
- **التهديد باستغلال المعلومات الحساسة والسرية والملكية الفكرية:** فسرقة المعلومات والجرائم الفضائية تؤثر سلبا على الأفراد كسرقة بطاقاتهم الائتمانية، وتؤثر ايضا على المؤسسات كتسريب معلومات حساسة وسرية.
- **التهديد باستغلال المعلومات** لأغراض سياسية أو اقتصادية أو عسكرية.
- التهديد بتدمير المعلومات او مكونات البناء المعلوماتي التحتي باستعمال التجسس والفيروسات مثلا، وهذا ما قد يهدد الاقتصاد والامن الوطني ويؤثر عليهما.
- **التهديد عن بعد:** ميزة التهديدات الأمنية الجديدة أنها قابلة للتخطيط والتنظيم والتنفيذ عن بعد وبأنها تهديدات عابرة للقارات، إضافة لسهولة تخفي الفاعلين وانخفاض تكاليفها المادية مقابل النتائج المرضية التي قد تصل إليها.
- **التهديدات المتعلقة ببنية المعلومات الحساسة:** كالاتصالات والبنوك والمال والطاقة الكهربائية ومصادر المياه وخدمات الطوارئ والخدمات الحكومية وغيرها. (جدو، 2017، صفحة 25)

تستعمل الحكومات الغربية وسائل الإعلام في الترويج لرؤاها السياسية والإيديولوجية، وتشويه الأفكار والإيديولوجيات المعارضة، خاصة في البلدان التي يسيطر فيها اللوبي اليهودي الموالي للكيان الصهيوني على وسائل الإعلام، والملاحظ ان الحملة الدعائية تكون موجهة بشكل خاص للدول الإسلامية تطبيقات لعملية المواجهة الإعلامية لما يعرف بصدام الحضارات. (ملي، 2010، صفحة 460)

التأثير الثقافي لوسائل الإعلام في المجتمع

يتجه العالم الى النمط الثقافي الأحادي في ظل العولمة، حيث تعمل العولمة على جعل القيم موحدة بين البشر في المأكل و الملبس و العلاقات الأسرية و في كل ما يتعلق بحياة الإنسان، إن ظهور هذا النوع من القيم يرجع لضعف منظومة القيم التقليدية كونها عاجزة عن مقاومة تأثير العولمة و أيضا بسبب ضعف انتقال القيم من الأجيال القديمة للأجيال الجديدة عبر المؤسسات التي تعنى بالتنشئة الاجتماعية، وكذلك بروز الجفاف العلائقي الذي غيب عدة قيم مهمة في المجتمعات الإسلامية كصلة الرحم و بر الوالدين و كل ما يمد بالعائلة.. (فرناني، 2019، صفحة 278،277)

الهوية الثقافية هي القدر الثابت والمشترك من السمات العامة التي تميز حضارة الامة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل للشخصية الوطنية طابعا يميزها عن الشخصيات الأخرى، فهي الحلقة الأساسية التي تربط الإنسان بتراب وطنه، ومن خلال هذا التعريف نستطيع القول ان العولمة هي نقيض للهوية الثقافية لأنها تسعى لسلخ قيم الفرد التي اكتسبها من المجتمع الذي ينتمي إليه وجعل العالم قرية صغيرة بدون حدود. (البكري، 2009، صفحة 379)

أضحى الشباب أكثر عرضة للأفكار المتناقضة و المعلومات المتجددة و التي أثر على تحديد خياراتهم واحتياجاتهم، ما جعلهم يستمدون سلوكياتهم و نمط تفكيرهم و أسلوب حياتهم من وسائل الإعلام، وأصبح التقليد لنمط العيش الغربي سائدا بقوة، و هذا بسبب محطات التلفزة التي قدر لها ان تدخل البيوت و تأثر على المفاهيم و أذواق و سلوكيات و نمط عيش الأفراد،

وتمكنت من تحقيق نجاحات كبيرة خاصة في ظل الفراغ الثقافي الذي أضحت تعيشه المجتمعات، (أبو الكاس، 2014، صفحة 30،29) و هذا ما يتجسد في المسلسلات المدبلجة التي اصبحت تبث أفكار فاسدة ودخيلة على المجتمع الإسلامي كتشجيعها للعلاقات المحرمة بين الرجال و النساء و عرض مشاهد القبل و إباحة شرب الخمر وتعاطي المخدرات، إضافة لتشجيع النساء على التمرد و فرض توجهاتهم على أزواجهن، و نشر ثقافة اللباس الغربي الفاضح و غيرها من القيم التي لا تمت للمجتمع الإسلامي بصلة.

أصبحت الإنترنت أداة للهيمنة الثقافية، لأن المسيطر على الشبكة هو الذي يفرض قيمه وثقافته، متجاوزا بذلك ثقافات الشعوب وسيادتها، وكنتيجة لكون الدول المتقدمة صناعيا واقتصاديا هي المتحكمة في صناعة الكومبيوتر وتطوير محتوى مواقع شبكة الإنترنت فقد تم اختراق ثقافات معظم الدول النامية. (آيت عيسى، 2016، صفحة 74)

تعد الإنترنت من الوسائل الاتصالية الاجتماعية التي تقدم أحزمة ثقافية عابرة للحدود، وبهذا فهي لا تساهم في التطبيع الاجتماعي للفرد في محيطه القريب، ولا تساهم في الاستفادة من الثقافة المحلية ولا في تنمية حس الانتماء بين أفراد المجتمع الواحد الذين تربطهم صفات مشتركة كالقيم والثقافة واللغة وغيرها، بل تقوده لأفكار أخرى خارجة عن مجتمعه، هنا يصبح الفرد غريبا عن مجتمعه فاقدا لهويته ومعتقداته. (آيت عيسى، 2016، صفحة 75)

أثر جيوسياسية الإعلام على قيم ومكتسبات المجتمع

يقول والتر ليبمان على أن الأمن هو "حفاظ الأمة على قيمها الأساسية وأن تكون قادرة على صيانة هذه القيم حتى وإن دخلت في حالة حرب للحفاظ عليها". إن قوة المجتمعات وضعفها تتحدد بمكتسباتها القيمية والخلقية والفكرية، فهي الأسس والموجهات السلوكية التي يبنى عليها تقدم المجتمعات ورقيه من أفكار ومهارات اجتماعية ولغوية وأخلاقية ودينية، وتشكل هذه القيم محورا رئيسيا من ثقافة المجتمع التي تعكس أنماط السلوك الانساني الممارس فيه. (نواصرية، 2019، صفحة 87،86) ولوسائل الاعلام مكانة لا يستهان بها في حياة المجتمع المعاصر، ولها أثر كبير على المجتمع وعلى بناء المفاهيم والأخلاق والقيم فيه.

ايدلوجيا الاختراق الثقافي تقوم على نشر وتكريس جملة من الأوهام التي تترك المجتمعات تسير في نوع من الثقة المغلوطة، يمكن حصرها في الأوهام الخمسة التالية:

- **وهم الفردية:** أي اعتقاد الفرد أن حقيقة وجوده محصورة في فرديته وأن كل ما عداه أجنبي عنه لا يعنيه، إنما يعمل هذا الوهم على تخريب وتمزيق الرابطة الجماعية التي تجعل الفرد يعي أن وجوده إنما يكمن في كونه عضوا في جماعة وفي طبقة وأمة، وبالتالي وهم الفردية هذا يهدف إلى إلغاء الهوية الجمعوية والطبقية والوطنية والقومية وكل إطار جماعي أخر ليبقى الإطار العالمي بل العولمي هو وحده الموجود.
- **وهم الخيار الشخصي:** يرتبط بالأول ويكمله، إنه باسم الحرية يكرس النزعة الأنانية ويعمل على طمس الروح الجماعية، سواء كانت على صورة الوعي الطبقي أو الوعي القومي أو الشعور الإنساني.
- **وهم الحياد:** ليدفع بالأمور خطوة أخرى في الاتجاه نفسه فما دام الفرد وحده الموجود وما دام حر فهو محايد وكل الناس والأشياء إزاءه محايدون أو يجب أن يكونوا كذلك وهكذا تعمل هذه الأيديولوجيا من خلال وهم الحياد على تكريس التحلل من كل التزام وارتباط بأية قضية.
- **الاعتقاد في الطبيعة البشرية التي لا تتغير:** إنه يرمي إلى صرف النظر عن رؤية الفوارق بين الأغنياء والفقراء، بين البيض والسود، بين المستغلين وبين من هم ضحايا الاستغلال وقبولها بوصفها أمورا طبيعية، وبالتالي شل روح المقاومة في الفرد والجماعة.
- **الاعتقاد في غياب الصراع الاجتماعي:** هو التتويج الصريح للأوهام السابقة، غياب الصراع الاجتماعي معناه إذا قبلناه وسلمنا به وقمنا بالاستسلام للجهات المستغلة، من شركات ووكالات وغيرها من أدوات العولمة، وبعبارة أخرى التطبيع مع الهيمنة والاستسلام لعملية الاستتباع الحضاري يأتي فقدان الشعور بالانتماء للوطن، أو أمة أو دولة وبالتالي إفراغ الهوية الثقافية من كل محتوى.

يقول ردولف كلين على أن الدولة كائن عاقل له قدرة أخلاقية وذهنية، فالدولة في توسعها وسعيها إلى السلطة توظف ما لديها من تقنيات حضارية للوصول إلى الأهداف المرجوة. اتفق مع

"راتزل" في أن الهدف النهائي من نمو الدولة أنها تسعى لتحقيق القوة، وأنها في سعيها لتحقيق القوة عليها أن تستعين بالتقدم الحضاري والثقافي، وقرر أن الدولة تتكون من 5 أعضاء هي: الحكومة، السكان، الأحوال الاجتماعية، المركب الطبيعي، والمركب الاقتصادي، وأن أهم عنصر فيها هو القوة، من بين المبادئ التي يستند إليها القانون الطبيعي هو "حتمية النمو البيولوجي للدول" الذي سيؤدي إلى احتكاك الدولة مع غيرها، مما يولد النزاع الذي لا ينتهي إلا بانتهاء الدولة الأضعف. وهنا يأتي دور الإعلام الذي يمثل السلاح الحضاري والثقافي للتأثير على الآخر حيث يظهر جليا القوة الناعمة للدول من خلال قوتها المعرفية باستخدامها للتكنولوجيا للتأثير وبسط النفوذ ثقافيا وفكريا ودينيا وقيميا.

جيوسياسية الاعلام واللغة

يعرف "باري بوزان" الأمن المجتمعي على أنه استمرار في ظل شروط مقبولة للتطور، أنماط تقليدية للغة والثقافة، وكذا للهوية والممارسات الوطنية والدينية لمجتمع من المجتمعات، ويعرفه "**أولي ويفر**" بأنه قدرة مجتمع على حماية هويته في مواجهة تهديدات كامنة أو حقيقية. إن اللغة العربية التي تمثل روح الأمة وأهم مكون لهويتها وشخصيتها ووحدتها، والوعاء الحافظ لثقافتها وتراثها، والوسيلة الناقلة للأفكار والتقاليد والخبرات عبر الأجيال المتعاقبة، تعد المدخل الرئيس لتقويض ثقافة الأمة وهويتها. وقد أصبحت تعيش مأزقا في الإعلام الجديد الذي هو الواجهة التي تعكس مختلف التفاعلات الثقافية والقيمية في مجتمعنا، فهذا الإعلام بقوة تأثيره، كمجموعة الإشهارات المبثوثة غبر القنوات الوطنية مستعملة اللكنات العامية كوسيلة تسويقية إلا أنها أسهمت في الإضرار باللغة العربية من خلال:

- ركاكة اللغة المستعملة مع شيوع الأخطاء النحوية والصرفية والإملائية، وضعف الأداء اللغوي.
- إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية.
- إحلال العامية أو العاميات محل العربية الفصحى.

- اعتماد "عربيزي "arabizi* لغة تواصل، بل والأسوأ من ذلك أن محرك البحث "غوغل" اعتمدها لغة بحث في الشبكة. (مهداد، 2017)

دور جيوسياسية الاعلام في التنشئة الدينية

يقول "مالك بن نبي" عن المجتمع أنه: تجمع أفراد ذوي عادات متحدة، يعيشون في ظل قوانين واحدة، ولهم فيما بينهم مصالح مشتركة. (1986، صفحة 15) يتكلم "بن نبي" على أن المجتمع تربطه عادات وثقافات وقيم دينية توحده وتجعل منه مجتمع متماسك، ومن أهم هذه الميزات هي الدين.

وتعتبر وسائل الاعلام من الوسائط الأساسية التي تساهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة في عملية التنشئة الدينية، فقد ساهمت في تنمية الوعي الديني لدى أفراد المجتمع، ذلك لما للدين من أهمية في الحياة الاجتماعية، كما تعمل على تكريس العقيدة الإسلامية وتثبيتها والحفاظ عليها من الانحرافات والشبهات داخل المجتمعات الإسلامية. (لغرس، 2019، صفحة 02)

لكن الاعلام سلاح ذو حدين، فبخصوص المكون العقدي للهوية، فإنه يتضرر كثيرا بفعل ما يبثه هذا الإعلام من تشويه صريح وواضح ومقصود للدين الإسلامي وعباداته ومعتقداته وثقافته، ما يؤدي إلى زعزعة عقيدة الشباب المسلم، والتشكيك في صحتها، والتنقيص من قيمتها. فتكونت في ذهنه صورة قاتمة في غاية السوء عن أهم مكونين للهوية وهما الدين والتراث، وهو ما يؤدي إلى ازدراء الذات وتحقيرها، وانسلاخ الشباب من مقومات هويتهم والارتباط بجماعات أخرى تحمل ثقافات مضادة، والتفاعل معها وتبني مكونات هويتها، واتخاذها جماعات مرجعية في الثقافة والسلوك، يستمد منها قيمه، ويتبادل وإياها التعاطف والتأييد. وهو ما يكسبه هوية أخرى بديلة، لا تجد أي سند في وسطه الاجتماعي. (مهداد، 2017)

---

*عربيزي: هي أبجدية غير محددة القواعد مستحدثة غير رسمية ظهرت منذ بضعة سنوات، يستخدم البعض هذه الأبجدية للتواصل عبر الدردشة على الإنترنت باللغة العربية أو بلهجاتها، وتنطق هذه اللغة مثل العربية، إلا أن الحروف المستخدمة في الكتابة هي الحروف اللاتينية والأرقام بطريقة تشبة الشيفرة.

جيوسياسية الاعلام والتباعد الأسري

أثبت عدة دراسات تم اجراؤها بخصوص أثر جيوسياسية الاعلام على الروابط الاجتماعية، أن لوسائل الاعلام وخاصة الحديثة منها لها عدة سلبيات على الترابط الأسري:

- فقدان التواصل الاجتماعي المباشر، وظهور الأسر المفككة والتوسع اللامحدود في العلاقات.
- تراجع درجة التواصل العائلي، مما أحدث زعزعة في عملية تفاعل الأفراد مع أسرهم وأقاربهم الذي شكل خطورة على متانة التماسك الأسري وقوة التضامن العائلي، مما يؤدي إلى مشكلات نفسية واجتماعية عديدة.
- سوء استخدام مواقع التواصل الاجتماعي يهدد الاستقرار الأسري ويمزق أواصر التواصل بين أفراد الأسرة.
- البرود العاطفي وازدياد درجة العصبية في تعامل أفراد الأسرة مع بعضهم مما ينتج عنه تفاقم الخلافات والمشاكل. (محمد بن حمد الناصر، 2019، صفحة 260)
- الاستغراق في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي يضعف العلاقات الاجتماعية ويقلل من التفاعل الاجتماعي في محيط الأسرة، وذلك من خلال قلة الزيارات واللقاءات العائلية.
- ارتفاع نسب الطلاق بفعل انفتاح هذه الوسائل وعدم نضج بعض المتعاملين معها.
- وسائل التواصل الاجتماعي تزيد أيضا من الاغتراب النفسي بين الشباب ومجتمعهم.
- الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي يضعف مهارات التواصل الاجتماعي، ما قد يسبب عزله اجتماعية.

وسائل الاعلام الحديثة سمحت باستيراد نماذج من السلوك لا تتفق مع ثقافة المجتمع الدينية والاجتماعية، حيث فسحت المجال لبناء علاقات بين الجنسين بما يتعارض مع قيم ومعايير المجتمعات الإسلامية.

بين الدبلوماسية التقليدية والشعبية

تعتبر الدبلوماسية التقليدية كوسيلة رسمية سلمية يستخدمها رؤساء الحكومات للتواصل مع بعضهم البعض، ويطلق عليها أيضا دبلوماسية النخبة، في حين أن الدبلوماسية الشعبية ترتكز على الطرق التي تستخدمها الدول أو المنظمات الدولية للاتصال بالمواطنين في مختلف

المجتمعات، عبر الحوار وتبادل المعلومات لتحقيق أهداف السياسة الخارجية للدولة. (شديد، 2021، صفحة 24)

تقوم الدبلوماسية الشعبية على أساس التعامل بين الحكومات، ومع التطور التكنولوجي والثورة الهائلة في وسائل الاتصال فإن الدول اصبحت تحاول ربط علاقات مباشرة مع الشعوب وهذا ما يسمى بالدبلوماسية الشعبية. (عبد الفتاح، 2016، صفحة 62)

يعرفها محمد التابعي بقوله: "أن الدبلوماسية الشعبية تسمى بالدبلوماسية الجماهيرية، وهذا النوع من الدبلوماسية يتجه إلى مخاطبة الجماهير من خلال وسائل الإعلام المختلفة ومن فوق منابر متعددة كالجمعيات الثقافية والعلمية". (زراع، 2016، صفحة 34)

أدوات توظيف الأنظمة السياسية لشبكات التواصل الاجتماعي

تسعى الأنظمة السياسية لتحقيق أهدافها عبر توظيفها لشبكات التواصل الاجتماعي، ويتجلى ذلك في:

- استخدامها لشبكات التواصل الاجتماعي كوحدة قياس للرأي العام حول قضية ما، ومعرفة حجم التفاعل الإيجابي والسلبي اتجاه تلك القضية.
- تشكيل لجان إلكترونية لشيطنة المعارضة والتسويق الجيد للنظام ومحاولة تلميع إنجازاته وتضخيمها ليحصل على دعم مستمر.
- مراقبة المعارضين للنظام عبر تتبع (IP)الخاص بكل من يمتلك حساب على في شبكات التواصل الاجتماعي.
- قراءة آراء الجمهور حول قضية معينة ومحاولة الاستثمار فيها لكسب التأييد الجماهيري.
- توجيه الرأي العام اتجاه مصلحة النظام عبر استخدام التعبئة الجماهيرية في شبكات التواصل الاجتماعي.
- محاولة اختراق صفحات وحسابات المعارضين والتبليغ ضدها لحجبها من قبل إدارات شبكات التواصل الاجتماعي بحجة أنها تحرض على العنف والكراهية. (أبو سعود، 2017)

تشمل الدبلوماسية الشعبية مجال واسع من الأنشطة من بينها البرامج الإعلامية كإذاعة صوت أمريكا وقناة الحرة الفضائية، وأيضا البرامج الثقافية والتعليمية التي تهدف لتوفير التأييد

الكامل لسياسات دولها وتحقيق التفاهم بين الثقافات والشعوب، إضافة لممارسة الأنشطة الرسمية وغير الرسمية المصممة خصيصا للتأثير رؤية وسلوك أفراد الدول الأخرى كدعم الاستخبارات والنقابات غير الشرعية وهذا يشمل التأثير على السياسات. (آل سعود، 2010، صفحة 180)

المحاضرة الرابعة

جيوسياسة الحروب وتطورها

جيوسياسة الحروب وتطورها

مقدمة:

يستعمل مصطلح "جيل او أجيال" لتوصيف التطور الحاصل في الحروب وتمييزها من حيث الأدوات المستعملة وطريقة ادارتها من جيل الى جيل، لكن يبقى هنالك اختلاف وتباين بين المحللين الاستراتيجيين والعسكريين في تعريف أجيال الحروب وازمنتها، ونظرا لاختلاف المعايير العسكرية والتكتيكية، وكذا المفاهيم النظرية المستخدمة في التعريف والتحليل، ويتحدث الباحثون اليوم عن 5الى6 أجيال من الجروب في عصرنا الحاضر، نتعرف عليها لنستوعب درجة تعقيد المشهد في تصنيف الحروب.

1-حروب الجيل الأول:

يعرفها الخبير العسكري والكاتب الأمريكي ويليام ليند بانها حروب الحقبة الممتدة بين العامين 1648و1860، والتي عرفت بالحروب التقليدية Conventional War. (ولو انه يمكن ارجاع الفترة الى اول ظهور للحروب بين طرفين يمثلان جيشين).

وأطلقت هذه التسمية على الحروب التي تدور رحاها بين جيشين نظاميين على ارض واحدة وعلى ميدان محدد، حيث تكون المواجهات مباشرة بين خصمين او أكثر، وتستعمل فيها الأسلحة والذخائر والتكتيكات التقليدية على أنواعها، وهذا الجيل من الحروب يتسم ببروز مقومات الفروسية والشجاعة والاقدام على مستوى القادة والافراد (الجنود).

عرفت البشرية مبكرا هذه الحروب التي استمرت حتى فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية، واستخدم خلالها عدد كبير من العمليات العسكرية، كعمليات المناورة والالتفاف لتطويق الخصم وضربه في اجنحته للقضاء عليه وتدميره.

2-حروب الجيل الثاني او حرب العصابات:

يتميز هذا الجيل بما يعرف بحرب العصابات او الحرب الثورية، وتكون عادة بين جيش نظامي تقليدي ومجموعات قليلة تقاتل لتحقيق هدف واحد، وهذا النوع من الحروب شبيه الى حد ما بحروب الجيل الأول، لكن التطور الذي حصل في تقنيات الأسلحة وتكتيكات المناورة و الحركة

ودخول الدبابات والطائرات في الحرب، جعل لها خاصية اكثر دقة واكثر قدرة على احداث تدمير كبير والعدد في القتلى بين اطراف النزاع، تتميز حرب العصابات باستراتيجياتها وفكرها الخاص، فهي تنشا في الصراع المستمر والطويل مما يحتم اتباع أسلوب المفاجأة والمباغتة في القتال ضد الجيوش النظامية (استخدام الو م ا لهذا النوع في حربها بالوكالة ضد الاتحاد السوفياتي في الفيتنام، واستخدمتها روسيا في اسيا الوسطى و الشيشان وغيرها من المناطق، واستعملتها العديد من البلدان في حروبها ونزاعاتها المسلحة ضد الطرف الاخر). واعتماد الضربات الموجعة للعدو في مواجهات صغيرة ومتعددة ومتلاحقة بالظهور والاختفاء، تهدف الى اضعاف من قدرته وتدفعه الى التراجع عن أهدافه، بشروط يفرضها بنفسه، يحدد مكانها وزمانها بما يضمن له النجاح.

تتميز حرب العصابات بأحادية القيادة، اذ يجمع قادتها بين القيادة لسياسية والعسكرية، كما تعتمد هذه الحروب على المساندة الإعلامية بشكل رئيس وكبير، وذلك لكسب الحشد من الأنصار والتأييد والتبرعات وغيرها.

3- حروب الجيل الثالث:

يعرف البعض هذا الجيل بالحروب الوقائية او الاستباقية، التي انطلقت من وحي نظرية "الردع بالشك"، وهي نظرية سياسية عسكرية ظهرت في الو م ل عقب انهيار الاتحاد السوفياتي، ويقصد بالضربة الاستباقية هو شن الحرب ضد كل ما من شانه ان يهدد الامن القومي الأمريكي(وهذا الشكل يعتبر تعدي بفرض منطق الهيمنة والقوة على الدول الضعيفة، فهي تصنف من تشاء بوصف العدو بمجرد الشك، ضاربة عرض الحائط هيئة الأمم المتحدة ومجلس الامن والمطالب الدولية لكف الحروب، فقد كانت للإعلام دور خطير في الدعاية للحرب بنشر أفكار حول ماهية الإرهاب والخطورة المزعومة حول الطرف المشكوك فيه، وتدار المعلومات الإعلامية عبر مختلف الوسائط لتغليف وتوجيه الراي العام المحلي والدولي، إضافة الى اثارة العواطف من مختلف الابعاد، الدينية، الثقافية، الأمنية...الخ، وتشكل الحرب على العراق نموذجا حيا عنها.

4-حروب الجيل الرابع:

يتفق الخبراء العسكريون على ان حروب الجيل الرابع التي عرفت بـ" الحروب اللاتماثلية" " Asymmetric Warfar"، هي حرب أمريكية صرفه (او بالأحرى هي فكرة أمريكية مطورة أساليب وطرق الحروب)، اذ وجد الجيش الأمريكي نفسه يحارب (لا دولة) بعد احداث 11 سبتمبر 2001، او بمعنى اخر كان عليه محاربة تنظيمات محترفة عسكريا ومدربة جيدا ومنتشرة عبر العالم، وتمتلك إمكانات ممتازة ولها خلايا خفية تنشط لضرب المصالح الحيوية للدول الأخرى لإضعافها امام الراي العام الداخلي وارغامها على الانسحاب من التدخل في مناطق نفوذها.

وقد استخدم مفهوم حروب الجيل الرابع في عام 1989 من قبل الأمريكي ويليام ليند William S.Lind.

تستخدم في هذه الحروب وسائل الاعلام الجديدة والتقليدية، ومنظمات المجتمع المدني والمعارضة، والعمليات الاستخباراتية، والشركات الأمنية الخاصة، والنفوذ الأمريكي في أي بلد لخدمة مصالح الولايات المتحدة الامريكية وسياساتها الاستراتيجية، وظهر معها بالتأكيد التوظيف الكبير للميليشيات والمرتزقة.

حروب الجيل الخامس:

يعتبر البعض ان ما وصلت اليه الحروب اليوم، هو ما يسمى بحروب الجيل الخامس التي تعتمد على خلق تناقضات بين السلطة والمجتمع في دولة ما، وذلك باستغلال مختلف الوسائل، وعلى راسها الاعلام المعولم، ويقول احد المحللين ان الجيل الخامس يعتمد في استراتيجيته على " احتلال العقول لا الأرض، وبعد احتلال العقول يتكفل المحتل بالباقي"، فهو اذا يستخدم العنف غير المسلح (القوة الناعمة +القوة الذكية)، مستغلا الجماعات المسلحة وجماعات الجريمة المنظمة فضلا عن اثارة الاثنيات والعرقيات والطائفيات (كما استخدمت فرنسا في استدمارها للجزائر وعملت على استراتيجية فرق تسد وبذلت أموال طائلة على اضعاف الوحدة الوطنية وتشتيتها وتضليلها عقديا)، وتعمل أيضا على خلق جماعات داخلية انتهازية تصنع الحروب

الداخلية اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا، بهدف استنزاف الدولة المستهدفة واضعافها بوضعها في مواجهة صراعاتها الداخلية، بالتوازي مع التهديدات الخارجية العنيفة.

يعتمد صانعوا حروب الجيل الخامس على استخدام التقنيات الحديثة، في مقدمتها التكنولوجيا عموما والاعلام المتطور خصوصا (فنخن نعيش اليوم عصر العولمة الإعلامية المرتكزة على الانتشار الالكتروني عصر تكنولوجيا المعلومات، التي باتت متاحة للأفراد وسهلة المنال بعدما كانت من اكثر المنظومات العسكرية سرية، فبعدما كنا نسمع بالجيش "التقليدي" الحامل للسلاح الناري، فاليوم توجد جيوش الكترونية تضرب بدقة متناهية عبر السلاح الالكتروني والتكنولوجي الحديث، فبواسطته، بات الأهداف سهلة المنال و التحقيق، وخاصة اذا كان العدو دولة متخلفة، فالقدرة على الاختراق الأمني للدولة وللفرد بات سهلا، وهذا يعكس شدة التهديد لحماية خصوصية المجتمعات فضلا عن الاسرار الأمنية للدولة، فحروب الجيل الخامس -على غرار أجيال الحروب السابقة – كان ولا يزال الاعلام اخطر سلاح، فالجيل الخامس من الحروب وعبر التطور التكنولوجي وبروز نظرية العولمة التي يسعى الغرب او بالأحرى النظام العالمي المسيطر الى تجريد كل العالم من خصوصياته القيمية الثقافية.

حتى في العالم الغربي نفسه، والهدف النهائي لتحقيق هذا الهدف (عولمة العالم) هو في حقيقته ليس نهائيا، بل تسعى القوة المسيطرة الى "اخضاع العالم " دولا وشعوبا للمنظومة المراد تعميمها وخلق تبعية جماعية باستخدام القهر النفسي والتغريب ونسف كل ما من شانه إعادة بعث فكرة التكتل حول الخصوصية، وهنا تكمن خطورة استراتيجيات حروب الجيل الخامس عبر تقنيات الحروب السيبرانية الشاملة، واثارة الشعوب وتحريكها وفق الأهداف السياسية لدول أخرى من خلال تحويل ولاءاتهم (الفكر الليبرالي عبر الوظيفية) وإنتاج حكومات الظل، وارتكاب اعمال إجرامية كبيرة للتشكيك في قدرة الدولة على السيطرة الأمنية، وهنا تستغل هذه التشكيلات الاجرامية وبالمساندة الإعلامية المغرضة في فبركة الاخبار وتزييف الحقائق ونشر الذعر و الهلع لترويع المواطنين، كما يمكن الإشارة الى ان اغراق المناطق المستهدفة بالمخدرات يعتبر من الوسائل المستخدمة ولفعالة في حروب الجيل الخامس (ما يذاع في الاعلام الجزائري يوميا).

حروب الجيل السادس:

هي تلك الحروب التي تدار عن بعد، من خلال استخدام الأسلحة الذكية لتأليب المجتمع من خلال التجنيد الكامل لشبكات الانترنت بهدف تهديم اركان الدولة وافشالها، وتتنوع الوسائل الذكية لتشمل استخدام الحيوانات كأدوات للتجسس وإلحاق الضرر عن بعد، وهذا النوع من الأدوات تتبناه وكالة داريا التابعة للجيش الأمريكي. فكل من حروب الجيل الخامس والسادس تشتركان الى حد كبير في تركيزها على التطور التكنولوجي والدعاية الإعلامية وتختلف عن الأجيال السابقة في تجاوزها مجال الحروب التقليدية المقيدة، فهي الان تشمل في ضرباتها القوية غير العسكرية الأهداف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية، فضلا عن تطوير منظومة اسلحة الدمار الشامل، كالحروب البيولوجية والكيماوية وحروب الفيروسات المتطور وغيرها.